# كتابي



واثقة من جمالها! ("مسز دافنبورت"، للرسام "رومني")

١٠ قروش

حلمي مراد



فتاة .. وقطة !          لوحة للفنان « جان باتيست بيرونو »

# كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعــار الكتاب

مصباح الفكر عند الإغريق

الكتاب الرابع والستون ( السنة السادسة ) : يولية ١٩٥٧

الاشتراكات ومجموعة الأعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

# محتويات العدد


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **قرأت وشاهدت لك** ( فى الكتب ، والمسارح ، والحياة ) : **للمحرر** .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٧ |
| **كفن من حرير** : قصة مصرية بقلم **يوسف جوهر** | ٤٥ |
| **كليلة ودمنة ( الروسية )** : للأديب الروسى الكبير **« ايفان ريلوف »** .. .. .. .. .. .. .. .. | ٥٥ |
| **محاكمة سير وولتر رالى** ( المغامر الذى عشقته الملكة أليزابيث ، وأعدمه خليفتها الملك جيمس الأول ) : للمؤرخ الانجليزى **« سير باتريك هيستنجز »** | ٨٣ |
| **ذات العينين الذهبيتين** ( الكوميديا الانسانية ) : للروائى الفرنسى الأشهر **أونوريه دى بلزاك** | ٩٩ |
| **كتاب الشهر ( أعياد المصريين منذ قرن ونصف قرن ) :** ملخصة عن كتاب « أخلاق وعادات أهل مصر الحديثة » ، للباحث المستشرق **«ادوارد وليم لين»** | ١١٩ |
| **الانتقام الرهيب** : قصة تمثيلية كبرى ، للكاتب الفرنسى المسرحى **« ألبير كامى »** .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٤٧ |
| **عالم الغد ( حياة بلا عناء )** : للباحث العالمى **« ا٠م٠لو »** | ١٦٣ |
| **السلوك الجنسى** : الكتاب الذى هز الولايات المتحدة من أقصاها الى أقصاها . للباحث الأمريكى **« ألفريد كينزى وآخرين »** .. .. .. .. .. .. .. | ١٧٩ |
| **مصير البشرية** ( أبقاء ونماء .. أم اندثار وفناء ؟ ) : للباحث العالمى **« ب٠ل٠دى نووى »** .. .. .. .. .. | ١٨٧ |


قرأت وشهدت لك
فى الكتب .. والمسارح .. والحياة!

### القصة الحقيقية لغرام الشاعرين

# اليــزابيث باريت .. وروبرت براوننج

• **عرض** فى القاهرة منذ أسابيع شريط سينمائى جديد يدور حول المسرحية الانجليزية المشهورة « أسرة باريت من شارع ويمبول » التى كتبها الأديب « رودلف بيزير » فى بداية هذا القرن ، والتى ما تزال تمثل على مسارح العالم بنجاح كبير منذ أكثر من ربع قرن . وكان قد أخرج عنها فيلم سينمائى قديم مثلته نجمة السينما الآفلة « نورما شيرر » والنجم القدير « فردريك مارش » . أما هذا الفيلم الجديد فقد اضطلعت ببطولته النجمة الناجحة « جنيفر جونز » التى شهدناها فى كثير من الأدوار الممتازة ، وفى مقدمتها دور « مدام بوفارى » الخالد .

ولا يتسع المجال فى هذه المرة للحديث عن الفيلم السينمائى وانما سأقصر حديثى على استنباط القصة الحقيقية لغرام الشاعرين الخالدين « اليزابيث باريت » و « روبرت براوننج » كما سجلها التاريخ ..

فمن هى « اليزابيث باريت » ؟

## الوالد الطاغية !

• **كان** والدها ممن يقتنون العبيد ، فعامل أبناءه الاثنى عشر كما يعامل العبيد !.. فقد كانت فى قاموسه كلمتان لهما الصدارة على جميع الـكلمات : « الأمر .. والطاعة » .. فرسالته هو أن يأمر ، ورسالة أولاده أن يطيعوا !

**وكان يعطف على أولئك « العبيد » الصغار الضعفاء الذين من لحمه ودمه كما يعطف على كلابه ، سواء بسواء ، لكنه**

**يطالبهم بآخر قطرة من حبهم وولائهم دون ما عضـة أو نباح !**

**وشيد لهم ، ولزوجته ــ دون أن يستشير أيا منهم ــ قصرا فخما على طراز شرقى رائع ، ثم وضع كلا منهم فى « زنزانة ذهبية » .. وأغلق عليهم الباب !**

والعبد لا يفلت من المراقبة الصارمة ، ومن ثم حرمت على « اليزابيث » ضروب اللهو والرياضة التى يمارسها غيرها من الأطفال والصبية ، وصار عليها أن تقنع بألوان « الرياضة الذهنية » . وهنا لم يبد « مستر باريت » أى اعتراض على هوايتها ، بل انه شجع خيالها وسمح لها بأن تمرح بين جدران مكتبته العامرة كما تشاء ، بشرط أن تتجنب قراءة نوع معين من الكتب « المحرمة » !.. بينما ترك لها حرية مطالعة مؤلفات شكسبير ، وأفلاطون ، وهوميروس ، وميلتون ، وفولتير ، وجيته .. الخ .. فعاشت فى « عالم من الكتب والأحلام » ، لا سيما الكتب التى تحكى أحلام هوميروس : حصار طروادة ، وجولات يوليس ( عولس ) ، ومأساة هكتور .. وفى حديقتها قصت من الحشائش صورة ضخمة لهيكتور ، « زرعت » له فيها عينين زرقاوين ، وخدين قرمزيين ، ودرعا من الذهب على صدره !.. ولو أنها لم تكن رسامة أو مثالة ، وانما كانت شاعرة ، ذات روح قوية وجسد هزيل !

**وقد بدأت « اليزابيث » تفاجىء أهلها بأشعارها منذ سن الثامنة . وفى العاشرة نظمت مأساة فرنسية مثلها أخوتها وأخواتها فى جناحهم بالمنزل !.. وفى الثالثة عشرة نظمت ملحمة من أربعة أجزاء عن معركة ( الماراثون ) . وبلغ من زهو أبيها بهذه الملحمة أنه طبع منها خمسين نسخة . وبلغ من زهوها هى بزهو أبيها أنها جعلت اهداء الملحمة اليه !**

وجلب الأب لأكبر اثنين من ذريته ــ وهما اليزابيث وشقيقها ادوارد ــ مدرسا خاصا ، كلفه بأن يلقنهما الآداب

القديمة ، دون الرياضيات ! ــ ( حتى لقد عاشت اليزابيث حتى آخر حياتها تحسد الذين يستطيعون أن يضربوا ثلاثة فى ستة بغير أن يعدوها على أصابعهم ! )

وهكذا نشأت الشاعرة الصغيرة ضعيفة فى الحساب ، بقدر قوتها وتمكنها من الآداب اليونانية .. بل بلغ من شغفها بآلهة جبل الأوليمب أنها صارت شبه وثنية ، تقدم اليهم التضحيات والذبائح فى غفلة من أبيها المسيحى المتدين ، الذى لا شك كان ليصاب بصدمة قاتلة لو أتيح له أن يسمع ابنته تصلى كل ليلة هكذا : « يا الهى ــ اذا كان ثمة اله ــ احفظ روحى ، اذا كانت لى روح ! »

وكان ذلك من بوادر « الحرب الأهلية » التى لم تلبث أن نشبت فى منزل أسرة باريت ، بشارع ويمبول !

## فى غفلة من السجان !

• **على** أن اليزابيث لم ترفع راية التمرد والعصيان الا فى سن السادسة والعشرين ، حين ترجمت أعنف قصائد الشعر اليونانى وأكثرها ثورة على سلطة الآلهة ، وسلطة الآباء !.. على أن ذلك كان تصرفا صادرا بوحى العقل الباطن أكثر مما كان تصرفا اراديا ، فحتى ذلك الوقت لم تكن اليزابيث تدرك أن والدها على خطأ . كانت تحس بالسلاسل التى يقيدها بها ، لكنها تحسب ذلك أمرا لصالحها ، لا لشىء الا لأن أباها قال لها ذلك ! ولم يكن الأب الطاغية مجردا من القلب تجردا مطلقا ، بل كان يصطنع معها اللطف أحيانا ، عندما لا تعارض ارادته فى شىء !.. وكان يجلب لها كل ما يسرها ، بشرط أن يسره ويروقه هو أولا !.. **وكانت قد صارت الآن شبه عاجزة ، عجزا يصعب تحديد كنهه بسبب اختلاف الروايات ، ولكن يغلب على الظن أنه كان نوعا من الشلل الوهمى ، أو لين العظام الناتج عن الافتقار الى الشمس**

**والهواء .. سيما وأن أباها كان قد عودها أن تغلق على نفسها نوافذ حجرتها فلا تفتحها الا نادرا ، ولا تزيح الستائر جانبا كى تسمح للشمس بالدخول !..** وأثناء ذلك كان والدها يؤنس وحدتها فيقرأ لها الكتب ويجلب لها الدواء ، ارضاء لنزواتها فقط ، فانه كان من الذين يعتقدون أن أكل اللحوم أنفع لها من تعاطى الدواء !

على أنه ظل يتصدى « لنزوة » واحدة من نزواتها ، أو رغباتها ، هى ميلها الطبيعى الى مخالطة الأصدقاء والأحباء .. فقد كان الأب يغار غيرة جنونية من حب أبنائه لغيره !.. فلم يكن يدعو انسانا يوما الى غداء أو عشاء ، أو يسمح لأولاده وبناته بأن يدعوا أحدا من جانبهم ، أو يعاشروا شخصا ما !.. ولم يستثن من هذا القرار الجائر ، فيما يتصل باليزابيث ، غير كلبها المدلل « فلاش » ، الذى كان رفيقها الأوحد وتسليتها الفريدة فى « محبسها » بالفراش !.. وكأنما كان الكلب على مذهب سيده ، فقد كان يكره الزائرين ، ويطاردهم بنباحه كلما اقتربوا ، لا سيما ذلك الشاب الذى اعتاد أن يأتى فى غيبة مستر باريت ، والذى كان « فلاش » يلقاه متجهما عابسا .. آه لو استطاع الكلب فقط أن « ينطق » ليحذر سيده منه ؟

لكن مستر باريت ظل زمنا يجهل ــ لحسن الحظ ــ أن ابنته تستقبل فى حجرتها شاعرا شابا ، وأن هذا الشــــاعر الشاب قد راسل ابنته زمنا قبل أن يزورها لأول مرة !.. كان ذلك سر « اليزابيث » الذى حرصت على اخفائه عن أبيها وسجانها ، فقد كان السجان غافلا يغط فى نومه .. وكانت الفتاة ترتجف فزعا لمجرد التفكير فيما عساه أن يحدث حين يفيق السجان من سباته !

## قصة غرام .. بدأت بالمراسلة !

• **وكانت** « اليزابيث » قد حاولت طويلا ألا تشجع الشاعر



« روبرت براوننج » على أن يكاتبها ثم يزورها ، خوفا من عقاب أبيها حين يعلم ، رغم السعادة القصوى التى كانت تنعم بها كلما تلقت من صديقها الشاعر رسالة أو زيارة !

وكانت قصة تعارفهما قد بدأت على أثر نشر ديوان أشعارها ، فقد تلقت على غير انتظار رسالة بتوقيع الشاعر الشاب « روبرت براوننج » يقول لها فيها ، دون معرفة سابقة : « انى أحب شعرك من كل قلبى يا مس باريت .. وأحبك أنت أيضا ! »

**وقفز قلبها وهى تعيد قراءة العبارة الأخيرة !.. كلا ، انها لا يمكن أن تكون أكثر من مجرد « تحية » ، فانهما لم يلتقيا قط !.. ثم لا شك أن مستر براوننج يجهل أنها شبه عاجزة كسيحة ، لا تكاد تبرح غرفتها .. بل يجهل أنها قاتلة أثيمة قادت أخاها الحبيب « ادوارد » الى حتفه بيدها حين أخذته فى رحلة الى شاطىء البحر — رغم معارضة أبيها — فغرق هناك ، وعادت بغيره !.. انها منذ ذلك الحادث ترتجف هلعا من مخالفة رأى أبيها فى شىء ، أو من تحمل مسئولية تصرف لا يرضى عنه .. واذن فينبغى ألا يراها مستر براوننج ، أو يعلم من أمرها شيئا ، كى لا يخيب رجاؤه فيها .. انه طيب القلب جدا ، أطيب منها .. وأقوى .. وأصغر سنا ، بسبع سنوات !.. فانها الآن تدنو من الأربعين ، فلماذا تعوق مستقبل الشاعر النابغ الطموح بصداقتها العاجزة الكسيحة ؟**

.. ثم ماذا يكون موقف أبيها من هذه الصداقة ، على فرض تحققها ؟ انها لا تنسى كيف طرد من بيته شر طردة ذلك

الضابط الشاب الذى جرؤ مرة على أن يدخل البيت ليزور أختها الصغرى « هنريتا » !.. فان الأب لا يطيق أية صلة قد تؤدى الى زواج احدى بناته أو أحد أبنائه ، اقتناعا منه بأن الزواج « جريمة » من أفظع الجرائم التى يرتكبها البشر!.. وهذه ظاهرة تستغرب من رجل لم يكن شقيا فى زواجه . ولكن لعل تفسيرها أن وفاة زوجته جعلته يعتبر نفســه « زوجا » لأولاده ، ويثور ضد كل من تحدثه نفسه منهم بأن يرتكب جريمة تعدد الزوجات أو الأزواج ، بالارتباط بغيره !

وهكذا لبثت « اليزابيث » زمنا تقاوم الحاح براوننج عليها فى خطاباته طالبا الاذن له بزيارتها . وفى قصيدة كتبتها اليه تصف مقاومتها وترددها ، قالت : « مساء أمس قلت لك نعم ، لكنى هذا الصباح أقول لك لا ، فان ما يرى على ضوء الشمعة فى الليل يبدو مغايرا فى ضوء النهار ! »

## الزيارة الأولى !

• **لكنه** لا يكف عن الحاحه ، وهى لا تكف عن تأجيل الزيارة ، الى « عام » آخر ، أو شهر آخر ، أو يوم آخر .. ثم تكتب اليه : « ذات يوم فى الربيع سوف نلتقى » .. فيكتب اليها أن ربيعه قد بدأ مبكرا فى « فبراير » !.. فتجيب بأن ربيعها هى سوف يبدأ متأخرا فى « مايو » !

**وأخيرا جاء « مايو » .. وأذنت له بالزيارة الموعودة ، فى اليوم العشرين من ذلك الشـــهر « بين الســـاعة الثانية والسادسة » ، فان أباها يعود دائما من عمله فى المدينة فى الساعة السادسة ، ويجب ألا يرى هذا الشاب الغريب فى البيت بحال من الأحوال !**

**ووصل براوننج فى الســـاعة الثالثة ، فاستقبله الكلب « فلاش » استقبالا غير ودى ، بالنباح المتواصل .. حتى**

**أسكتته صاحبته معنفة ، فرقد الكلب عند قدميهما يحدجهما بنظرة عدائية وهما يتبادلان الأحاديث ، فى كل موضوع ، عدا الموضوع الرئيسى الكامن فى قلبيهما !**

.. ولكن شيئا فشيئا بدأ « فلاش » يألف زيارات هذا الفتى ، سيما وانها بمثابة «الاكسير» المقوى لسيدته المريضة! .. وتحت تأثير تشجيع الشاعر لها ، نهضت اليزابيث من فراشها ، وهبطت السلم الى حجرة المكتبة !.. بل انها – وقد كانت هذه معجزة المعجزات ! – خرجت معه ذات يوم الى الشارع فى نزهة ، يتبعهما الكلب الأمين ، الذى بدأ يحب الفتى تدريجيا !

وكان من حسن الحظ أن الأب الطاغية لم يعلم بأمر زيارات « براوننج » لابنته ، وحين أبدى هذا رغبته فى أن يتفاهم مع مستر باريت صراحة كى يقنعه بأن يبارك صداقتهما ، عارضت اليزابيث بقولها : « انه لأسهل عليك أن تزحزح نجمة من نجوم السماء بأهداب عينيك ، من أن تزحزح أبى عن رأيه وموقفه » !

وهكذا ، اضطرا الى كتمان سرهما فى أعماق قلبيهما ، وانزلقا سريعا من العطف والود الى الصداقة ، ثم من الصداقة الى الحب !.. والذى لم يجرؤا على البوح به أحدهما للآخر أثناء لقائهما ، صارا يتبادلانه كتابة بعد انتهاء الزيارة وافتراقهما !.. كتب اليها مرة يقول : « آه لو استطعت أن أشرح لك مبلغ سعادتى لو تحقق حلمى ! » . فأجابته وقد فهمت مراده : « آه لو كنت غير ما أنا عليه ، من ناحية .. ولو كنت حرة من كل قيد ، من الناحية الأخرى .. اذن لقبلت هبة سعادتك الكبرى ! »

وكأنها كانت تقول : « لو كنت قوية الجسم ، قوية العزيمة .. » .. ذلك أنها كانت تعتقد أن صحتها تقف حائلا دون استمتاعها بسعادة الحياة الزوجية : « لقد التقينا بعد الأوان ، وقد فات أوان اللقاء ، أيها الصديق – ولا أكثر من

الصديق ! – ان كفن الموت ملتف حول قدمى ، ولو تحركت أو خطوت خطوة أخرى ، لبلغت النهاية ! »

**.. لكنها حتى لو كانت من قوة الجسم بحيث تقبل حبه ، فانها لم تكن تملك الحرية التى تمكنها من ذلك .. فلقد خالفت أباها مرة فأفقدته ابنا ، وهى لا تجرؤ أن تخالفه مرة أخرى فتفقده ابنة !.. لكن «براونج» لبث يلوح لها بفكرة الزواج ، فى الحاح واصرار ، حتى قبلت أخيرا .. لكنها اشترطت أن يتم الزواج سرا ، وقالت له : « لو صارحت أبى بنيتى هذه ، لآثر أن يرانى ميتة عند قدميه ، على أن يوافق ! »**

وكان هذا ما حدث فعلا ، حين وضعته أمام الأمر الواقع وهى تودعه قبل سفرها الى ايطاليا فى رحلة شهر العسل ، بصفتها « مسز براونج » .. فقد علق على المفاجأة بقوله : « ان ابنتى الآن فى القبر .. فلننس الموتى ! »

## شهر عسل .. وغصة !

• **وقلبت** الأقدار صفحة جديدة سـعيدة من حياة اليزابيث .. لكنها سعادة لم تسلم من الشوائب ، فقد لزم أبوها الصمت فأبى أن يجيب على رسائلها المتوالية التى سألته فيها أن يمنحها صفحه وغفرانه !.. وفيما عدا تلك الغصة ، كان هناؤها مكتملا . لم يكن براونج يفارقها لحظة ، وكانت صحتها قد تحسنت الى حد مكنها من السير على قدميها ، ورغم ذلك فان زوجها كان يصر على أن يحملها على ذراعيه كلما صعدا السلم ، سعيدا بحمله !

واستقرا فى مدينة ( بيزا ) بعض الوقت ، حيث قضيا أيامهما فى حرية مطلقة لا يباليان بشىء ، يؤنسهما الكلب الأمين « فلاش » الذى أخذاه معهما فى رحلتهما ، والذى كأنما أدرك أن سيديه ينعمان بشهر العسل ، فصار يمرح ما استطاع فى شوارع ( بيزا ) ، ويعقد الصداقات مع سلالة الكلاب

الايطالية .. فاذا عاد استقبله الزوجان بالضحك والمداعبات واللوم والتقريع ، ثم أعقبا « الدوش » البارد بحمام ساخن يزيل ما علق بجسمه من غبار الطريق !

واستراح الزوجان من متاعب الواجبات المنزلية والمضايقات اليومية ، كما استراحا من الهموم المالية . كان دخلهما وقدره أربعمائة جنيه سنويا يزيد عن حاجتهما فى هذه المعيشة البوهيمية .. ووجبات الطعام ترسل اليهما بانتظام من مطعم قريب : البيض والقهوة للافطار .. والسمان والنبيذ «الكيانتى» للغداء .. والقهوة وفطائر اللبن لوجبة الشاى .. ثم العنب والكستناء المشوية للعشاء !

**ذلك كان الجو الذى تفجرت فيه ينابيع الشعر الذهبى من ذهنى الشاعرين ..! وذات صباح ، دست اليزابيث فى يد زوجها حزمة من أربع وأربعين أنشودة حب نظمتها ، وقالت له : « رجائى اليك ألا تقرأها الا بعد خروجى من الغرفة ! » .. فلما خرجت أخذ يقرؤها الواحدة بعد الأخرى ، وأعاد قراءتها ، فرأى فيها فيض قلب عامر بالأحاسيس ، وتعبيرا عن انتصار الحب يفهمه كل عاشق .. بل رأى فيها كنزا يعز عليه أن يضن به على الانسانية ويستأثر به لنفسه ، فاقترح عليها أن تنشره .. لكنها عارضت قائلة :**

ــ هذه القصائد ينبغى أن تظل سرا بيننا ، كرسائلنا !

**ــ لكنها يا حبيبتى أروع أناشيد حب منذ شكسبير !**

ــ هراء !.. انك تغالى فى تقديرها كما تغالى فى تقديرى ..

**ــ ليس من حقك أن تختزنى عبقريتك ، كما ليس من حقك أن تختزنى مالك .. ان السماء تعطينا المواهب كى ننفقها لا كى نضن بها !**

وأخيرا قبلت أن تنشر نجوى قلبها على عشاق العالم بأسره .. لكنها آثرت أن تخفى الطابع الشخصى للقصائد فأطلقت عليها : « أناشيد مترجمة عن البرتغالية » !.. ورحب بها النقاد

قائلين : « انها من أروع الشعر المترجم فى تاريخ الأدب ! » .. ولم يخطئوا ، فقد كان الديوان بالفعل أروع ترجمة لنار الحب الالهية الى كلمات انسانية ، وأبلغ تعبير عن « الحب الذى يدوم ، وان كان ينبع من الحياة التى تفنى ! »

## سنوات الهناء .. فى ايطاليا

• **ومن** ( بيزا ) ارتحل الركب الى فلورنسا ، ومن فلورنسا الى جبال ( فالومبروزا ) ، حيث أشجار الشوح الشاهقة التى تستنشق أنفاسها من السماء .. لكن رئيس دير (فالومبروزا) طردهما بعد خمسة أيام ، فقد خشى رهبان الدير على أنفسهم من فتنة حواء !

لكن اليزابيث تقبلت الاهانة والمضايقة بصدر رحب ، فكتبت تقول : « لقد طردنا من الجنة !.. أو لم يأخذ «ميلتون» وصف الفردوس من ( فالومبروزا ) ؟ »

وهكذا عاد الركب الى فلورنسا .. وهناك ، فى حجرة رطبة بفندق « بالاتزو جيدى » بلغت سعادتهما القمة ، فقد ولد لهما ابن ، بعد ثلاثة أيام من عيد ميلاد اليزابيث الثالث والأربعين !.. وأدهش الأم أن يجىء الطفل قوى البنية .. أقوى من أن يكون ابنها !

**ومن طفلها الجديد استمدت اليزابيث قوة جديدة . لم تعد تضطجع على الأريكة وتنتظر من يخدمها ، بل صارت أكثر الجميع نشاطا وميلا الى الحركة .. فتوالت رحلات الاسرة الى مغانى ايطاليا الطبيعية الجميلة ، وتسلقها الجبال على ظهور الدواب .. ثم انتقل الركب الى البندقية ، فميلانو ، فجنوا ، فباريس .. وأخيرا الى لندن ، فى محاولة أخيرة من الابنة كى تسترد رضاء أبيها !**

وكانت قد كتبت الى أبيها الخطاب تلو الخطاب .. ومنذ ولد الطفل ملأت خطاباتها بنوادره وأنبائه التى تلين أصلب

القلوب .. لكنها لم تتلق على رسائلها جوابا غير الصمت المطبق !.. وحين وصلت اليزابيث الى لندن رفض أبوها أن يراها ، وأمر خدمه بقوله : « اذا طرقت باب هذا البيت فقولوا لها اننى غير موجود ! »

## العمل الأدبى الذى خلدها

• **وكانت** هذه القسوة الفائقة من أبيها ، الذى كانت ماتزال تكن له حبا أعمى ، صدمة شديدة بالنسبة لاليزابيث .. فبدأت صحتها تتدهور من جـــديد ، ولم تحتمل رئتاها طقس لنـــدن وضبابها ، فكان أن كرت راجعـــة الى باريس ، ومنها الى ايطاليا ، حيث التمست العزاء فى الشعر .. فعكفت ـ رغم ضعف صحتها ـ على أكبر عمل أدبى أنتجته : على نظم رواية شعرية طويلة أطلقت عليها : « اورورا لى » ، وصورت فيها جانبا من حياتها . وقد وصفها براوننج بأنها تفصح عن « طبيعة ملائكية ، وقلب أقرب الى قلوب الآلهة من أى قلب آخر خلقه الله ! »

واتفق أكثر النقاد مع الزوج فى الرأى ، فقال أحدهم : « انه أروع شعر نظمته امرأة ! » . وقال آخر انه لم يكن يتصور « أن انسانا فى هذا العصر يستطيع أن ينظم هذا الشعر !.. اننى نصف ثمل منه ! » .. بل ان الناقد الشهير « جون رسكن » فاق زميليه فى حرارة الاعجاب ، فقال : « ان هذا الشعر أعظم ما كتب باللغة الانجليزية ، بغير استثناء شعر شكسبير ! »

وقرأت اليزابيث أقوال النقاد ، فهزت رأسها وابتسمت .. يا لعمى النقاد ! انهم يحتفون بذبالة مصباح شعرها بينما يغفلون عن سناء شمس شعر زوجها !.. ثم أضافت : « انهم سوف يشيدون به يوما ، فهو يساوى عشرين شاعرة مثلى ! »

**ولكنها لم تعش حتى ترى ذلك اليوم الذى اشتهته ..**

**فقد استمرت صحتها فى الانهيار بسرعة . ولم يكن ينغصها غير صمت أبيها القاسى !.. وذات يوم ، قطع هذا الصمت وصول خطاب منه ، مصحوب بطرد صغير !.. ففضت الخطاب وهى ترتجف ، واذا هو موجه الى زوجها ، وليس فيه سوى هذه العبارة : « فى الطرد المرفق تجد جميع الخطابات التى أرسلتها زوجتك الى .. وسترى من أختامها أنها جميعا مغلقة ، لم تفض ! »**

ومات أبوها بعد اعادته الخطابات بوقت قصير ، فأصاب نبأ وفاته اليزابيث بنكسة لم تشف منها قط !.. وظل براوننج ملازما لفراشها طيلة الوقت .. لقد انقضت على زواجهما أربعة عشر عاما ، بدت لهما أشبه بأربعة عشر يوما !.. شهر عسل متصل ، لم ينته بعد ، فقد كانت أمامهما أيام أخرى من الحب والشعر ، فما أمتع الرقاد هكذا تحت ظلال عينيه .. انها لتمد ذراعيها نحوه ، فيحتضنها .. وتروح فى اغماءة ، تفيق منها فتجد نفسها ما تزال بين ذراعيه .. وتبتسم : « ما أطيبك يا روبرت ! » ، ثم تضيف مغمغمة وهى تروح فى غيبوبة أخرى : « آه لو استطعت أن أظل بين ذراعيك هكذا .. الى الأبد ! »

**ـ ماذا تقولين يا حبيبتى ؟**

وجوابا عليه ، تريح رأسها على خده .. وتغمض عينيها من جديد !

**وحين خاطبها مرة أخرى ، أغمضت عينيها .. ولم يسمع منها الا صدى روحها ، تهتف من العالم الآخر !**

## كيف أحبـــك ؟

**• والآن ، وقد قرأت قصة حياة وغرام الشاعرين الخالدين « اليزابيث باريت » و « روبرت براوننج » ،**

فتعال نقرأ شيئا من أشعارهما التى خلدت اسميهما ..
ولنبدأ بقصيدة للشاعرة (( اليزابيث )) جعلت عنوانها :
(( كيف أحبك )) :

(( لن يكون مستقبلى نسخة من ماضى )) ..
هكذا كتبت مرة ، وبخاطرى أن بجوارى
الملاك المسيطر على حياتى ، وانه أقر
الكلمة ، ورفع بصره فى دعاء ،
الى العرش الأبيض .. عرش الاله ! والتفت أخيرا



واذا بى أراك ـ بدلا منه ـ تؤيدك
الملائكة الكامنة فى نفسك . واذ ذاك تلقيت
ـ أنا التى ابتليت طويلا بأمراض الطبيعة ـ راحة عاجلة
وأينعت لرؤيتك براعم العصا التى أعددتها للرحيل ،
فأنبتت ورقا أخضر ، يرصعه ندى الصباح !
لن أسعى الآن لتكرار النصف الأول من حياتى ،
فدع هنا الصفحات المطوية المليئة بالتأملات ،

يا ملاكى الجديد ، الذى لم يكن مرجوا فى الدنيا !

★ ★ ★

كيف أحبك ؟ دعنى أحصى الطرائق
أحبك الى أقصى عمق وعرض وارتفاع
تستطيع روحى بلوغها فى بعدك عن بصرى ..
الى أطراف الوجود ، وذرى البهاء المثالى !
أحبك الى أقصى ما تمس اليه الحاجة كل يوم ،
الى الشمس والى ضوء الشموع !
أحبك بانطلاق ، كما يناضل الناس فى سبيل الحق ،
أحبك بالعاطفة المشبوبة التى كنت أبذلها
فى قديم شجونى ، وبما كان فى طفولتى من ايمان !
أحبك بوجد لاح أننى فقدته
مع من فقدت من قديسين !.. أحبك بأنفاس





**وابتسامات ودموع العمر كله !.. واذا شاء الله ، فسأحبك بعد الموت ، بعاطفة أشد !**

# النساء والحب فى حياة بوشكين !

• **قبل** أن أقدم لك – فيما يلى – قصة « المقامر » ، كنموذج لأدب « أبو الأدب الروسى » وشاعر روسيا الأعظم « ألكسندر بوشكين » – لمناسبة الكتاب الشائق الممتع الذى تصدره لك ( مطبوعات كتابى ) عن حياته ، فى منتصف الشهر الحالى ، بعنوان : « بوشكين : الأديب ، والعاشق » .. أحب أن أعلل لك البواعث التى جعلت مؤلفة ذلك الكتاب تضيف فى عنوانه الى صفة بوشكين كأديب ، صفته ك « عاشق » ، كأنما كان العشق فى حياته « مهنة » أخرى ملازمة له ، الى جانب مهنة الأدب !

**والواقع أن للمؤلفة كل العذر فى اطلاق هذه التسمية ، فلقد لعبت النساء فى حياة بوشكين دورا هاما من الطراز الأول ،**

**ربما بسبب طبيعته الملتهبة الجموحة التى تسللت اليه مع قطرات الدم « الأفريقى » التى ورثها عن جد أمه الذى كان أميرا أثيوبيا !**

ولو أردنا أن نتتبع — خطوة فخطوة — حياة بوشكين « العاشق » ، وغرامياته التى لا تقع تحت حصر — وان حصرها هو بأنها بلغت حتى يوم زواجه : مائة غرام وثلاثة ! — أقول اننا لو أردنا تتبع هذه الغراميات لأحوجنا هذا البند وحده الى كتاب كامل !.. ذلك أن الشاعر ذا الدم الأفريقى لم يبخل بنشاطه على ميدان من ميادين الغرام : **فكانت له الغراميات الحسيةالمشبوبة ، والمغازلات الرومانتيكية الشاعرية ، والعواطف العذرية ، والصداقات الرقيقة .. وفى رواق النساء اللواتى عرفهن ، نجد خليطا عجيبا من شتى الطبقات : نجد النبيلات الأرستقراطيات اللواتى ينتمين الى أرفع طبقات مجتمع موسكو وسانت بترسبرج فى ذلك العهد .. والى جانبهن نجدعشيقات أخريات للشاعر ينتمين الى طبقة الخادمات والفلاحات !..** ذلك رغم أن بوشكين لم يكن وسيم الطلعة ، أو جذاب القوام ، بل كان ضئيل الجسم ، تفتقر قسمات وجهه الى التجانس والانسجام ! لكن القدر عوضه عن ذلك بعينين حادتى النظرات ، وبمرح وحيوية ، الى جانب الشهرة الأدبية التى كفلت له فى دنيا النساء نجاحا نادر المثال . ويروى صديقه « كوموفسكى » أنه حين كان فى الخامسة عشرة من عمره ، كان يكفى تلامس يده مع يد مراقصته فى حفلات المدرسة ، كى تلتهب نظرته ، وتلهث أنفاسه كالجواد الجموح ؟

**ذلك هو بوشكين « العاشق » — فى سطور — أما بوشكين « الأديب » ، فتعال نتعرف على نموذج من أدبه الرائع فى هذه الأقصوصة :**

# المقـــامر

## للكاتب الروسى الكسندر بوشكين

## - ١ -

• **كانت** احدى ليالى الشتاء الطويلة ، وقد تراجعت فلول الظـلام كسيرة ، وأقبلت طلائع الفجـر الباسم ، حـين التف المدعوون الى مأدبة « نلروموف » ـ الملازم فى فرقة الحرس ـ حول مائدة القمار يلعبون الورق ، ويتبادلون شتى الاحاديث . . فقال المضيف وهو يعطى ورقة اللعب لأحد مدعويه :

ـ كيف حالك هذا المساء يا « سورين » ؟

فأجاب هذا : « لقد خسرت كالعــادة ، منذ بدأ الحظ يدبر عنى . . ولكن ، ماذا ترون فى «هرمان» الذى لم يشترك معنا قط فى اللعب ؟ حقا ان أمره لعجيب ، فهو يسهر معنــا طوال الليــل يرقب عجلة الحظ تدور وتدور بيننــا ، دون ما داع يدفعه لذلك » ! . . وهنــا تدخل هرمان فى الحــديث فقال : « الأمر بسيط أيها السادة : فاللعبة تعجبنى ، ولـكنى لا أود المغامرة فى سبيل الكسب ، فقد أخسر بعض مالى » . . واذ ذاك أردف شخص ثالث: «لاتعجبوا ! فهرمان الماني وقومه معروفون بالميل الى الاقتصــاد . **ولكن ، ألم تلحظـوا ان الـكونتة « أنا فيدروفنــا » لاتلعب قط ؟ . . هــذا هو الأمر الذى يستحق دهشتنا حقا ، فان عجوزا فى الثمانين لاتلمس الورق لهى شاذة بالتأكيد ! »**

ثم أطرق « تومسكى » ـ وكان هو المتحدث ـ قليلا ، وما عتم ان استطرد : « ألم تدركوا السبب ؟ » . فأجاب اثنــان بصوت واحد : «كلا ، فهل هناك سبب خاص يدعوها لذلك ! »

فأجاب تومسكى بقوله : نعم . . فاصغوا إلى : « منذ نحو ستين عاما كانت جدتى « الكونتة انا فيدروفنا » معبودة باريس وموضع اعجاب قاطنيها، حتى اطلق عليها لقب « فينوس الروسية »، فأخذ ريشيليو يتودد اليها ، ولما يئس من مبادلتها اياه حبا بحب حاول الانتحار اكثر من مرة ! وذات ليلة لعبت جدتى الورق مع الدوق « دورليان » وخسرت مبلغا كبيرا ، ولما لم يكن فى حوزتها المبلغ كله فى ذلك الحين ، فقد حاولت عند عودتها الى المنزل اقناع زوجها بدفع المبلغ ، ولكنه أصر على الرفض ، متخذا من اسرافها مبررا لقراره هذا ! واذ ضاقت بها الدنيا طرقت باب الكونت « دى سان جرمان » الذى قيل انه ذو موهبة خارقة فى كسب المال، ولما جاءها الكونت وحدثته بالمأزق الذى لم تستطع الخلاص منه قال : « سيدتى: انى على تمام الاستعداد لاعطائك أى مبلغ تطلبين ، ولكنى لما كنت أعلم عن يقين انه لن يهدأ لك بال حتى أسترد ما أقرضت ، فقد رأيت انه يحسن بك ان تعاودى اللعب لتربحى ما خسرت ! »

وما ان وصل تومسكى الى هذا الحد من الحديث حتى كان الجميع متلهفين الى سماع بقية القصة ، فتوقف قليلا ريثما يشعل غليونه ، ثم استطرد قائلا : « وأسر الكونت الى جدتى ببضع كلمات يتمنى كل منكم لو سمعها ! . . **وفى تلك الليلة بعينها عاودت جدتى اللعب على مائدة الدوق دورليان، معتذرة عن عدم دفع المبلغ بما اعتورها من النسيان ، واخذت ثلاث ورقات ، راهنت على الأولى فكسبت . . ثم ضاعفت الرهان على الثانية فكسبت ، وكذلك كان حظها حين لعبت بالورقة الثالثة ! »**

وهنا صاح أحد الضباط مقاطعا : « مجرد حظ ! » ؛ وقال هرمان : « يا لها من قصة ! » . . بينما سأل ثالث : « وهل كانت الورقات مرقومة ؟ » . فأجاب تومسكى :

– كلا ، ولكن استمعوا للبقية ، فقد كان لجدتى ثلاثة ابناء

أحدهم والدى، ومع هذا لم يتمكن احدهم من استخلاص سر الورقات الثلاث منهـا حتى الآن !.. والأعجب من ذلك انهـا قابلت ذات يوم فيما بعد صديقـا لها خسر كل ثروته فى ليلة واحدة ، وحين علمت بالأمر ووجدته غارقا فى اليـأس اعطته وريقات ثلاثا كى يلعب بها ، بعد ان أخذت منه وعدا قاطعا بألا يجلس الى مائدة القمار بعد ان يسترد ثروته ! وفى اليوم التالى عرض الشاب على غريمـه ان يلاعبه فقبل . واذ ذاك بدأت المقامرة بأن راهن الأول على احدى الورقات بخمسين ألف روبل، فكسب .. **وعندما ترك المائدة الخضراء كان قد استرد ضعف ثروته !»**

وتوقف تومسكى عند هذا الحد من حديثه، ثم أردف وهو يتهيأ للنهوض : « هيا بنا الى النوم أيها الأصدقاء ، فقد حانت الساعة السادسة . »

**- ٢ -**

• فى الوقت الذى كان تومسكى يقص حديث جدته، كانت هذه تجلس امام المرآة لتصلح من هندامها وتستكمل زينتها، فانها رغم كبر سنها كانت تحرص على حضور جميع المراقص والحفلات ، باذلة عناية فائقة فى اختيار ملابسها ، حتى أصبح منزلها كعبة الزوار يؤمه أناس من أرقى الطبقات لقضاء بعض الوقت فى تسلية ومرح . ولكن رغم هذا كانت الكونتة عصبية المزاج ، شاذه الأطوار ، لاتهتم الا بملذاتهـا ولا تغفر لوصيفتها « ليزابيتا ايفانوفنا » أصغر هفوة ، بل انهـا كانت اذا أمرتها باعداد الشاى انتهرتها على تبذيرها فى السكر، واذا طلبت منها قراءة فصل من كتاب اعتبرتهـا مسؤولة عن السـخف الذى يجرى به قلم المؤلف !.. واذا خرجت معها فى نزهة لامتها على سقوط المطـر ، أو هبوب العواصف !.. واذا اصطحبتها الى مرقص أقصتهـا عن مجلسها الى ركن بعيـد تظل المسكينة

منفردة فيه ، لايشاركها أحد حديثا أو يدعوها لرقصة. ورغم ما امتازت به « ليزابيتا » من جمال فاقت به سيدتها ، بل وكثيرات من النبيلات ، لم يكن أحد ليلقى اليها نظرة أو يعيرها أى التفات .. **فثارت كرامتها لهذا الوضع المزرى الذى اكتنف حياتها ، وصارت اذا اشتد بها الألم وعصفت بين جوانحها ريح الهموم، تسلم عينيها للدمع تذرفانه وقلبها للزفرات يرسلها..**

جلست «ليزابيتا» بعد يومين من مأدبة «نلروموف» بجوار النافذة تطرز ، فحانت منها التفاتة الى الطريق دون قصد ، واذ ذاك وقع بصرها على ضابط وقف بلا حراك مثبتا عينيه تجاهها ، فغضت من نظرها وعادت الى التطريز .. وما مرت بضع دقائق حتى اطلت من النافذة بحركة آلية، فاذا الضابط لم يبرح مكانه !.. وكان ردها على ذلك ان ابتعدت قليلا وعادت الى التطريز ، اذ لم يكن من عادتها مبادلة الشبان النظرات والبسمات !

وبعد ساعتين قامت للعناية بشؤون سيدتها ، فلمحت على الرغم منها ذلك الضابط فى مكانه !.. وبدا لها كل ذلك غريبا ، فلم تدر كيف تعلله .. الى ان عادت بعد الغداء الى عملها ، ولكن الضابط كان قد ذهب ، فلم تنشغل بالتفكير فى أمره ..

ومر يومان ، غادرت الكونتة بعدهما قصرها بصحبة وصيفتها ، وما كادت الأولى تتخذ لها مقعدا فى العربة حتى ابصرت « ليزابيتا » الضابط عينه واقفا عن بعد ، وقد التف بمعطف حجب نصف وجهه، ولكنه لم يحجب عينيه المتقدتين .. فاضطربت الفتاة ، دون ان تدرك لذلك الاضطراب سببا !

وواظب الضابط على الحضور الى نفس المكان كل يوم ، يسدد اليها بصره . . فكانت اذا ما رأته انسحبت على الفور والفضول يقتلها ، وشعور غريب يضطرم فى أعماقها بصورة لم يسبق لها ان أحست بمثلها ! **ولم يمض وقت طويل حتى نشأت بين الاثنين صداقة جعلت الفتاة تحس بوجوده حين**

**تجلس الى النافذة ، فتحدق فيه بضع لحظات ثم تعود الى عملها وقد كست الحمرة وجنتيها ، بينما ينصرف الشاب مغتبطا بتلك اللحظات التى تفضلت بها عليه !**

.. ومر أسبوع تبادلت فيه «ليزابيتا» مع الضابط البسمات البريئة الساذجة ، وكان قلبها يخفق كلما رأته . . حتى دخل تومسكى يوما يلتمس من جدته الاذن بأن يقدم لها أحد أصدقائه ، فأدركت الفتاة بفطنتها أن صديقها الضابط هو المعنى بالكلام !

## - ٣ -

• **كان** «هرمان» من أسرة ألمانية أقامت فى روسيا ، فلما مات والده ورث عنه بعض المال ، ولم يشأ ان يقامر به خوف فقدانه .. فظل قنوعا بما يدر عليه من ريع كان يكفيه ، بل ويسمح له أحيانا بالانفاق على اصدقائه اذا ما خرجوا جميعا يتنزهون .. ولكنه رغم احجامه عن المقامرة لم يكن يجد بأسا فى قضاء السهرات مع خلانه يراقبهم وهم يلعبون . . وحين انتهى تومسكى من قصة الوريقات الثلاث ، كان الفضول قد تملكه ، والدهشة عقدت لسانه، فلم يكف عن التفكير فى محيط القصة طوال تلك الليلة .. وفى الليلة التالية خرج يتريض فى شارع « سانت بطرسبرج » وهو يمنى نفسه بالتقرب من الكونتة كى تبوح له بسرها ، سيما وانها كانت فى الثامنة والسبعين من عمرها .. أى ان موتها متوقع من يوم لآخر !

ولم يكن يقطع على هرمان حبل أفكاره أحيانا سوى الشك الذى نسج خيوطه فى مخيلته ، فبات يخشى ان تكون قصة تومسكى دعاية جادت بها قريحة هذا الصديق .. ولكنه مالبث ان سمع هاتفا يهمس فى اعماق قلبه مذكرا اياه بأن وريقاته **الرابحة هى : الاقتصاد والعمل والمثابرة ، فليقصر جهوده عليها ليتضاعف دخله ويغدو من ذوى اليسار !**

مرت هذه الخواطر بذهنه وهو يتنزه فى ذلك اليوم ، الى ان استرعى نظره قصر منيف تجلت فيه آيات الفن وازدحمت أمامه العربات بعد ان قذفت اليه بمن فيها من رجال وسيدات وضباط وآنسات، فمرقوا جميعا من بابه وسرعان ما احتوتهم قاعاته .. فاقترب هرمان من الحارس يسأله عن رب القصر، وما ان اجابه هذا ناطقا باسم الكونتة « انا فيدروفنا » حتى اشتمل هرمان الذهول ، فهتف فى نفسه : تا الله انها جدة تومسكى .. انها صاحبة الوريقات الثلاث! » .. ووقف لحظة مشدوها ، ثم خط طريقه الى بيته، حيث تملكه القلق ففارقه النعاس .. ولكنه حين قهره بعد طول عناء ، أخذت الأشباح تتراقص أمام عينيه : رأى المائدة الخضراء تعلوها أوراق النقد وأكوام من (الروبلات) .. ورأى نفسه جالسا اليها وقد غمره فيض من الربح زخرت به جيوبه !.. ثم استيقظ متنهدا فاذا بكنوزه ليست الا ثمرة كابوس مضطرب!.. فخرج الى الطريق ليزيح تلك الخيالات التى أقضت مضجعه، ولكنه وجد قدميه تقودانه صوب القصر ! .. **كان يبدو كأن قوة خارقة قد اجتذبته الى هناك ، فوقف يتطلع الى النافذة ، وما لبث ان رأى فتاة يزين رأسها شعر أسود متهدل،قد أكبت على كتاب تقرؤه أو حرير تطرزه .. وتحركت الفتاة تجاهه فأخذت عيناه وجها جميلا وعينين نجلاوين يشع منهما بريق خاطف !**

.. وفى تلك اللحظة ، تحدد مصيره . . وكتب القدر نهايته !

## - ٤ -

• **كانت** « ليزابيتا » قد أنهت عملها ، حين نادتها الكونتة لتؤنس وحدتها فى نزهة قصيرة. وبينما كانت تساعد سيدتها على ارتقاء العربة رأت الفتاة ذلك الضابط . . رأته بجانبها يدس ورقة بين يديها ! . . فأخفتها بين طيات قفازها وبدأت

تفكر ، فلم تر أو تع شيئا مما مرت به العربة ! وزادتها حيرة وارتباكا أسئلة الكونتة المتوالية ، التى اكتفت فى الرد عليها بأجوبة مقتضبة ، مما دعا سيدتها الى القول : «ماذا بك اليوم؟ فيم تفكرين ؟ ألا تسمعينني ؟ . انني لا زلت اتكلم بوضوح .. أليس كذلك ؟ »

.. ومرة أخرى لم تصغ «ليزابيتا» الى كلامها ! .. وحين عادت الى حجرتها اغلقت بابها وشرعت تقرأ فى الورقة المطوية أرق عبارات الحب التى صيغت فى قالب عاطفى ، فتملكها شعور طاغ من الفرح ! .. ولكنها وقفت بعد حين تحدق فى الفضاء . لقد كانت هذه اول مرة يحس فيها احد بوجودها ، بل ويظل ساعات طويلة فى انتظار ابتسامة عذبة يفتر عنها ثغرها ، أو نظرة تتحلى بها عيناها . . فكيف لا ترتبك ؟.. وأخيرا وبعد لأى كتبت له هذه الكلمات بيد مرتعشة : **(( آمل أن تكون نواياك طيبة نبيلة .. وانما يجدر بك أن تعرف ان علاقتنا لايمكن أن تبدأ من هذا الطريق . وها أنا ذى أعيد اليك خطابك راجية ألا تلجئنى للندم على تسرعى ! ))**

ثم قذفت بالرسالة من النافذة ، فالتقطها الضابط .. وما أن اتم قراءتها حتى شاع البشر فى قسمات وجهه، فبدا قانعا بأولى خطوات مغامرته !

ومضت أيام وأسابيع ، كان هرمان خلالها يتوسل بمختلف الطرق لايصال رسائله لمحبوبته . . كان يصوغ تلك الرسائل فى عبارات أخاذة، لم تستطع الفتاة مقاومة اغراءها.. فاضطرت للرد عليها ، ومبادلة الشاب ودا بود ! .. وكان الرد يطول يوما بعد يوم ، الى ان احتوى ذات يوم على هذه الكلمات : «سيقام الليلة مرقص فى دار السفارة وستحضره الكونتة ، فتمكث هناك حتى الثانية صباحا ، فعليك — اذا أردت مقابلتى — ان تقبع فى مكانك حتى تطفأ الأنوار فى الساعة الحادية عشرة ، واذ ذاك وجه خطواتك نحو باب القصر وادخله بلا تردد — لأن

الحارس سيكون غارقا فى غطيطه. ثم ارتق الدرج بسرعة حتى غرفة الكونتة ، حيث تجد خلف الأستار بابين ، يقود الأيمن منهما الى حجرتى .. ثم انتظرنى هناك ! »

وحوالى الساعة العاشرة من ذلك المساء ، كان هرمان واقفا أمام القصر ينتظر . كانت الليلة رهيبة ، والريح تعصف بشدة ، والثلج يتساقط بفيض زاخر .. بينما انبعث من المصابيح نور خافت ، فخلا الطريق من المارة ، وساد السكون .. ومرت لحظات ، سمع بعدها صوت عجلات العربة يردده الفضاء وهى تبتعد بالكونته ووصيفتها فى طريقهما الى المرقص . ثم كرت الدقائق وأطفئت الأنوار ، فانتظر هرمان بعض الوقت ، ثم يمم شطر القصر فعبر بابه وصعد السلم بخفة النمر ، حتى وصل الى غرفة الكونتة حيث رأى على ضوء مصباح صغير قطع الأثاث الفاخر منتثرة فى أرجائها ، وبضع صور زيتية تزين جدرانها .. فوقف يتأملها فى صمت وسكون ، وما لبث أن عبر الغرفة الى الممر الذى تقع فى نهايته غرفة الفتاة ، فولجها واغلق خلفه الباب ، فسادها الظلام .. ثم جلس ينتظر !

مر الوقت بطيئا ، وكان الهدوء ناشرا ظله على القصر .. **ثم دقت الساعة اثنتى عشرة دقة ، وعاد السكون الذى لم يعكره سوى ضربات قلب الشاب تطرق أذنيه ! . وبعد وقت سمع دقة واحدة ، ثم دقتين** . ولم تمض لحظات حتى عادت العربة ترسل صوتها فيشتد خفقان قلب الشاب ويزداد اضطرابه ! .. ولما شعر بخطوات على السلم ركز بصره فى ثقب الباب فرأى الكونتة تخلع ملابسها ، وترفع عن رأسها اكليل الورد والشعر المستعار .. ثم تجلس الى مقعد بجوار النافذة ، تناضل الأرق دون جدوى ..

رفعت الكونتة رأسها حين سمعت حركة خلفها ، فرأت رجلا منتصبا أمامها ! وما لبث هرمان أن قال : « لا تنزعجى

يا سيدتي بحق السماء . انى لا أريد بك ضررا ، وانما جئت أنشد منك مطلبا هينا »

ونظرت اليه المرأة العجوز وهى صامتة ، كأنها لا تعى ! .. فأعاد الشاب قوله بصوت عال ، اذ ظنها صماء .. ولكنها لم تتحرك ، فاستطرد يقول : **« انك تملكين أن تسعديني طوال حياتى دون أن يكلفك الأمر شيئا ، سوى ثلاث ورقات »**

وهنا فهمت الكونتة كل شيء ، فأجابت على الفور : « أوه، انها كانت محض صدفة .. أقسم لك على ذلك ! » .. ولكن صوت هرمان قاطعها بقوله : « كلا يا سيدتى ، ألا تذكرين الرجل الذى أعطيتها له، فضاعف ثروته؟ » .. فبدا الاضطراب على وجهها ، بينما عاود هرمان الحاحه : « هلا ذكرت لى ذلك السر ؟ .. لم تحفظينه لأحفادك ؟ انهم فى غنى عن مزيد من المال .. أما أنا فلن تأسفين على اسعادى لأنى كفيل بالانفاق على خير الوجوه .. هيا بربك تكلمى .. أفصحى ! »

وقف ينتظر الرد وقد عيل صبره ، ولما لم تجب انحنى متوسلا وهو يقول : **« ألا تعرفين الرحمة والحب ؟ .. اذا كنت تذكرينهما فانى استحلفك باسم الأبوة والأمومة وبكل ما تقدسين ألا تخيبى أملى ! .. اذكرى أنك كبيرة السن وأن أبنائى وأحفادى سيباركون ذكراك »**

ولكن الكونتة لم تجب ، وحينئذ نهض هرمان واقفا وسدد نحوها غدارة ، ثم أردف : « اذن ، فسأضطرك الى الكلام ! »

اشتد اضطراب المرأة فاهتزت بقوة ، ومدت يديها كأنها تبغى أن تبعد شرا يوشك أن ينقض عليها ، ثم تراجعت الى الوراء بلا حراك ..

ــ هيا لا تكونى كالأطفال .. انى أمهلك لآخر مرة ! .. ما هى الورقات الثلاث ؟ »

ولما لم يسمع جوابا أو حركة ، أمسك هرمان يدها .. فوجدها قد فارقت الحياة ، حاملة سرها معها !

## - ٥ -

• **عندما** دخلت « ليزابيتا » الى حجرتها ، سرها ان لم تجد فيها صديقها الضابط ، اذ أن شعورا من الندم كان قد غمرها فأخذت تلوم نفسها على تسرعها فى استدعائه ! .. وبينما هى سابحة فى بحار الفكر ، فتح الباب فاذا بهرمان واقفا تجاهها .. فارتعدت الفتاة وقالت : « أين .. كنت ؟ »

فرد مطرقا : «فى غرفة الكونتة .. لقد تركتها منذ لحظة.. ميتة ! »

ــ يا للسماء ! ! ماذا تقول ؟

فاستطرد هرمان : «وأخشى أن أكون أنا سبب موتها ! » .. ثم جلس بجوار النافذة وشرع يقص عليها أنباء مغامرته .. **فأدركت ان عبارات الوجد والهيام التى كتبها اليها ، والساعات الطويلة التى قضاها واقفا أمام نافذتها ، لم يملها الحب الصادق ، بل حب المال ! .. المال الذى سيطر على قطب تفكيره فجعله يستخدمها أداة طيعة فى يده ! .. المال الذى صيره مجرما اثيما !**

.. ولم تتمالك الفتاة نفسها من البكاء ، فى مرارة وألم .. ولكنه أخذ يراقبها فى سكون ، دون أن تلين قلبه دموعها التى ذرفتها ، ولا جمالها الذى زاده الحزن سحرا وفتنة .. ولم يلق بالا الى موت الكونتة فى ذاته ، وانما أحزنه أنها دفنت سرها معها !.. وعاد الى الصمت ، فلم يتبادلا كلمة ولا نظرة ، حتى بدت طلائع الفجر ، فانسحب الضابط من حيث أتى .. ولم لبث أن احتواه الطريق !

## - ٦ -

• **مضت** أيام ثلاثة ، دخل هرمان بعدها الدير الذى رقدت فيه الكونتة ليؤدى لها واجب الاحترام الأخير .. وما كان ذلك عن شعور صادق ، وانما كان سره الحقيقى ان الشاب ــ

شأنه شأن كل رجل لم يتسرب الى قلبه شعاع من الايمان — كان شديد التشاؤم والتطير ، فخيل اليه انه لو قصر فى أداء هذا الواجب لحلت عليه لعنة روح الميتة واستحق غضبها .. فرأى ان يرضيها من هذا الطريق !

دخل هرمان القاعة ، فوجد جسدها مسجى على فراش من المخمل الأسود ، وقد أحاط بهخدمها حاملين الشموع.. وبدا المكان رهيبا . **ولما حان دور الضابط تقدم منها فانحنى قليلا ، وفجأة صور له الوهم أن عينى المرأة تتطلعان اليه ، وأنهما فتحتا فتطاير منهما الشرر!..فارتعد هرمان ، واختلج جسمه ، ثم ارتمى على منخلفهوقد غمر وجهه الشحوب ..** وفى نفس اللحظة كانت « ليزابيتا » فى أقصى المكان قد سقطت مغشيا عليها ! .. وحين تمالك نفسه ، خرج هرمان وقد تملكه الرعب والفزع ، فتوجه الى حانة حيث جلس يحتسى كؤوس النبيذ ليرفه عن نفسه المكروبة . ولما حان المساء عاد الى بيته فاستلقى على الفراش وغرق فى نوم عميق ، لم يستيقظ منه الا والليل يغمر الكون فلا يبدد ظلمتهسوى نور القمر المنبعث من النافذة ..

ولم يكد يغسل الكرى عن عينيه حتىاعتدل جالسا ، ومكث بعض الوقت على تلك الحال .. وما لبث أن سمع خطوات شخص يمر بنافذته ويتطلع الى داخل الغرفة ثم يواصل سيره ! .. لم يلحظ الأمر فى البداية باهتمام ، ولكنه ارتعد حين سمع بابمنزله يفتح ، والممر يردد صوتتلك الخطوات، وأوشكت صرخة أن تفلت منهحين رأىامرأة فى ملابس بيضاء منتصبة امامه ! .. عرف فيها الكونتة « أنا » ، فازداد اضطرابه ، وازدرد لعابه بصعوبة اذ سمعها تقول : **« لقد جئتك رغم ارادتى لأشكر لك احترامك لذكراى ، ولأكافئك باطلاعك على الوريقات الرابحة . انها : الثلاثة ، والسبعة ، و « الآس » . ولكن احذر أن تعاود اللعب بعد ان تجمع**

**لنفسك ثروة معقولة . واذا تزوجت وصيفتى « ليزابيتا » غفرت لك ما بدر منك ! »**

نطقت بهذه الكلمات بين دهشته وذهوله ، ثم خرجت من حيث اتت ، وما لبث ان ردد الطريق وقع قدميها !

ولبث هرمان مشدوها بعض الوقت .. ثم اجتاز الغرفة وأيقظ خادمه ، ولكنه عبثا حاول ان يعرف منه شيئا عن الأمر .. فقد كان هذا مستغرقا فى النوم لحظة أن دخلت الكونتة !

## - ٧ -

**• لم** يغمض للرجل جفن طوال تلك الليلة ، اذ اخذت الأفكار تطارده والأحلام تذكره بالثلاثة ، والسبعة ، والآس!.. فحصر مخيلته فى البحث عن مكان للمقامرة ، وحين علم بنبأ عزم فريق من الأثرياء على الالتفاف حول مائدة القمار بأحد الأندية ، يمم شطره وريح الأمل تدوى بين جنبيه .. وهناك وجد علية القوم وكبار الضباط يلعبون .. فجلس يشاركهم اللعب ، وما لبث حين مر به الدور أن أخذ ورقة « الثلاثة » وراهن عليها بمبلغ ٤٧ ألف روبل ! .. فتركزت حوله الأبصار ، وأخذ الجميع يتطلعون اليه ، ثم قال «نلروموف» وهو يغمغم : « لقد فقد الرجل عقله ! » .. وتلاه أحد اللاعبين قائلا بدوره : « أتسمح لى يا سيدى بأن أحذرك مغبة المراهنة بمثل هذا المبلغ الجسيم ؟ .. انها مغامرة مميتة ، فنحن لا نراهن عادة على أكثر من مائتى روبل ! »

لكن هرمان أجاب فى اصرار : « انى أعلم ذلك ، فهل تقبلون لعبى أم لا ؟ » .. واذ ذاك قال صاحب النادى : « لا بأس ، فقد أردنا تنبيهك فقط »

وأخرج هرمان من حافظته عددا من أوراق البنكنوت ، سلمها لمحدثه .. ثم بدأ اللعب ، فكشف الورقة التى بيده ..

وكانت الرابحة !

**سرت موجة من الدهشة بين الحاضرين ، وتسلم هرمان ما ربح ، ثم انصرف تاركا الخاسرين فريسة للذهول ! ..**

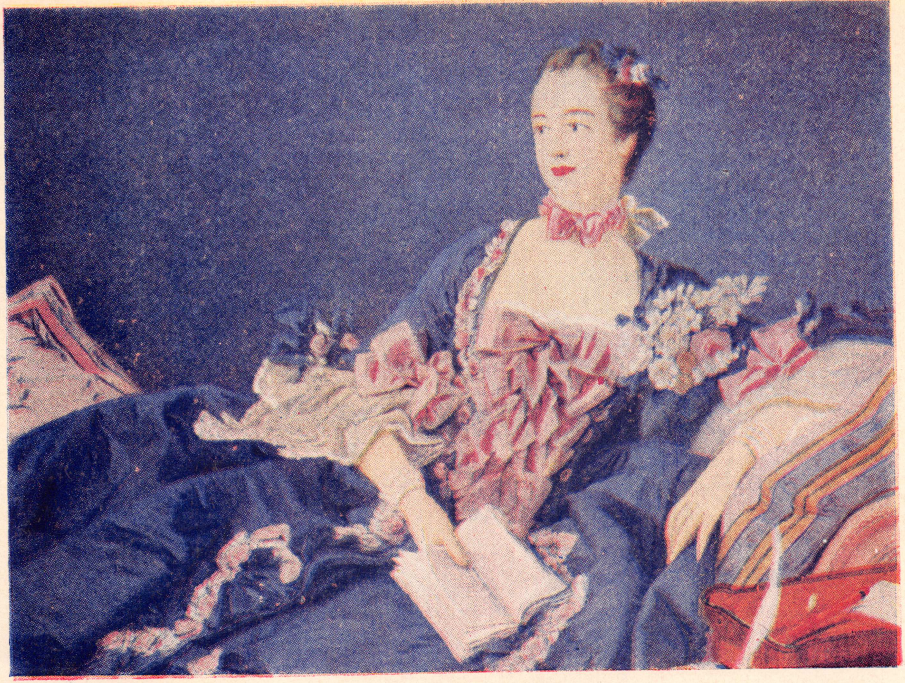
وفى الليلة التالية عاد الى اللعب ، والتأم الجمع حول المائدة الخضراء ، فقامر الضابط بمبلغ جسيم كما فعل فى الليلة السابقة .. وما ان كشف الورقة التى بيده ، وكانت السبعة ، حتى تبين انها الرابحة ! .. **ومرة أخرى جمع أرباحه ، ولم ينس أن يحيى الحاضرين عند خروجه بانحناءة وابتسامة !**

وظهر هرمان فى الليلة الثالثة والأخيرة ، وازدحمت حول المائدة افواج من المتفرجين واللاعبين ،وقد اشتد بهم الحماس والتشوق .. ثم بدأ اللعب ، فأخذ هرمان« الآس » ،واستعد الكل للحظة الفاصلة ، فخيم الصمت على أرجاء القاعة .. ثم أخذ الرئيس الورق بيد مضطربة .. ودار اللعب برهة .. تبين على اثرها ان الورقة الرابحةهى « الآس » ! .. واذ ذاك كشف هرمان ورقته وهو يكاد يفقد عقلهمن الفرح والغبطة.. واذا هو يجدها قد تحولت الى «دام ( سباتى )» ! .. **فاشتد به الذهول ، وزاغت عيناه ، وتصلبت اطرافه ، وهو يحدق فى الورقة ، وقد خيل اليه انالملكة ـ (( الدام )) ـ تفتح عينيها وتغمضهما ، بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة هازئة .. وشعر بالرعب يلجم لسانه ، فقد كانت (( الدام )) شديدة الشبه بالكونتة !**

## - ٨ -

• **وبعد** يومين ، كان زائر مستشفى(أبو كوف) ـ للامراض العقلية ـ يقع نظره فى احدى الحجرات علىرجل فاقد العقل والشعور ، لا يجيب عما يوجه اليه من اسئلة .. وانما يظل يتمتم بصوت خافت :

**(( ثلاثة .. سبعة .. آس )) !**



مدام دي بومبادور          لوحة للفنان « فرانسوا بوشيه »

# لمـــاذا يرتكب القـــاتل جريمتـــه ؟

**• روعت مصر منذ أسبوعين بحادث التلميذ الذى ذبح استاذه فى وضح النهــار أمام باب بيته ، وقد قضى فيه على القاتل بالاشغال الشاقة المؤبدة. ولهذه المناسبة، قرأت لك بحثــا للطبيب والعالم النفســانى « فردريك ورتام » ، عنوانه « لماذا يقتلون ؟ » ، اليك خلاصته :**

**هناك** خطآن يجب الانتباه اليهما فى الدراسة النفسية للقتلة والسفاكين :

الخطأ الاول هو النظر الى القاتل كمــا لو كان لغزا محفوفا بالظلمات . فما اكثر ما نقــرأ وما نسمع عن البواعث الأصلية الكامنة فى النفس ، وعن الثغرات المعتمة فى المخ البشرى، وعن الدوافع العدائية التى تجعل من المرء مجرما، بطريقة خفية .. وقد يكون من المستساغ ان يتناول الناس فى احاديثهم العادية تلك الاغوار العميقة التى ينبعث العنف منها على غير توقع ولا ارتقاب.. ومثل هذه الأحاديث القائمة على الحدس والتكهنات، توحى بأن القاتل ليس قاتلا ، وانما هو — دائما — شىء آخر. **ومثل هذا التعمق الفلسفى لايغطى البواعث الحقيقية فحسب، وانما هو يوفر كذلك نوعا من التبرير الذى يعفى القــاتل من المسئولية، ويلقى اضواء من الخيال والشاعرية على الاجرام .. فى حين ان الاجرام خلو من كل خيال وشاعرية، فهو نكبة من النكبات التى تعتور الحياة الانسانية !**

أما الخطأ الثانى فهو الزعم بأن كل قاتل لابد ان يكون انسانا غير طبيعى ، أو بالأحرى ، انسانا شاذا.. ويظن اصحاب هذا الرأى انهم يصــدرون فى رأيهم هــذا عن ذهن متنور ، وروح

انسانية ، فى حين ان الامر على النقيض ، لان هذا الرأى يعنى ان القتل عمل منفصل عن كل العلاقات الاجتماعية والنفسية المتشابكة التى تتصل به . وليست هذه بالطريقة التى تحمى المجتمع أو تصون الفرد . فان عدم التمييز بين المريض وغير المريض – فى هذا المجال – خطأ لايقل عن الخطأ الذى كانت المجتمعات البدائية ترتكبه بعدم التمييز بين القصد والتعمد من ناحية ، وبين القضاء والقدر من الناحية الأخرى .. ذلك لان اعتبار القتلة جميعا من مرضى العقول ، معناه اعتبار المجتمع مثاليا ، وعدم التسليم بأن من ذوى العقول السليمة من قد تكون لهم نوايا فظيعة .. وقد اورد السير «نوروود ايست»، الاخصائى البريطانى الاشهر فى شئون الاجرام – فى دراسته لشخصية القاتل من الذكور – ان المرء قد يكون منحرفا ، غير متجاوب مع المجتمع ، ولكنه لايعتبر – من الناحية النفسية – مريضا !

وفضلا عن كل هذا ، فان المصابين باختلالات عقلية لايختلفون اختلافا مطلقا عن بقية الافراد . كل ما هنالك ان ادراكهم للخطأ والصواب ربما اختل ، ولكنه لا يتلاشى نهائيا . **وقد حدث منذ عهد غير بعيد ان اقدمت طالبة كانت تدرس الطب على قتل ابن اعز صديقاتها ، فلما قدمت للمحاكمة ، أعلن رسميا انها مختلة العقل . ولكنها – قبل النطق بالحكم عليها – جاهرت فى قاعة المحاكمة بأن : « لكل انسان الحق فى ان يتعرض للعقوبة . واذا كنتم تظنون انكم تصيبون حين تبرئون ساحتى استنادا الى اختلال العقل ، فان هناك من البشر من هم مرضى العقول ، ولكنهم – رغم ذلك – مسئولون عن أعمالهم!»** .. وكان معنى «الحق فى التعرض للعقوبة» انها ندمت وأرادت ان تكفر عن جرمها ، وقد اظهر الفحص والدراسة انها فى جرمها وتوبتها كانت تصدر عن نفس الدوافع التى تدفع السفاكين العاديين الى القتل !

# الانفعالات السلبية التى تدفع الى القتل !



• **والاسـباب** التى تدعو الناس الى القتل لا تختلف فى الواقع عن اسباب ارتكابهم أى خطأ آخر ، فهى تنبعث عن كافة أنواع الانفعالات السلبية : كالطمع والغيرة ، والخوف، والانحراف والكبت الجنسى ، والتعطش الى الانتقام ، والفورات الغاضبة ، وتهييج المشاعر ، والطموح الجامح ، والدواعى السادية ـ أى التى تجعل ايلام الغيرة لذة للمرء ـ والاهانات التى لا قبل للمرء باغتفارها ، والتزاحم والمنافسة فى أى ميدان .. الخ. ولم يؤت أى انسان مناعة ضد هذه الانفعالات السلبية، ولكنها اذا انعزلت عن سواها وتضخمت فى النفس ـ نتيجة المغالاة والمبالغة ـ حتى تفصل المرء عن الروابط العامة، فانها قد توحى بالرغبة فى موت الخصوم ، ثم تثير هذه الرغبة وتحفز على تحقيقها !

ورغبة المرء فى موت شخص آخر ، من الرغبات العادية ، ولكن تعليل تحولها الى تحفز على أمر عسير ، وهو ـ فى اعتقادى ـ عقدة الأمر كله .. وكما هو الشأن فى التفاعلات الكيميائية ، توجد دائما عدة عناصر فعالة ، كما توجد ـ فى

كثير من الاحيان — عناصر مساعدة .. **والكحول من العناصر المساعدة في التفاعلات النفسية، وكذلك الفقر، وتوتر الاعصاب وتفززها بوجه عام، وسهولة اساليب تحقيق التحفز واسلحته!.. ومن أهم العناصر، وجود جو عام مشحون بالعنف، فان العنف كوباء الحصبة، سريع العدوى!**

واذا توفر الانفعال السلبى، والرغبة فى موت شخص، وعامل مساعد، تبقى الحاجة الى عامل آخر مهم : ذلك هو شخصية المرء المنفعل — فى مجموعها — والأحوال الشاملة فى حياته . فالفرق بين الشخص الذى يقدم على القتل ، والشخص الذى يحجم ، لا يقتصر على مجرد حافز او دافع عقلى واحد فحسب ، مهما يكن عنف ذلك الحافز او الدافع . وقد ابدع « بوشكين » فى تصوير الفارق بين الشخصيتين فى مسرحيته عن « موزار وساليرى » . فقد كان الاثنان من الموسيقيين الملحنين ، ولكن الموسيقى والحياة كانا شيئا واحدا — او كلا لا يتجزأ — لدى موزار ، فكان مشغوفا بالاثنين ، ومن المحتمل انه كان يشعر — بين آن وآخر — بأحاسيس الحقد والحسد ، ككل انسان آخر ، ولكنه قط لم يجعل من نفسه عبدا لها ، ومن ثم فانه لم يقدم على القتل قط !

ذلك لان القتل ليس حدثا طفيفا ، وانما هو يحتاج دائما الى حافز قوى عارم ، يطغى على كل مقاومة وعلى كل رادع أو وازع ، وعلى كل منطق وتعقل . والرغبة فى موت شخص ما اذا ما اقترنت بعامل مساعد وبالمهيئات الشخصية ، طغت فى دفعها المرء الى القتل . وهذا هو السر فى ان القتل هو أعظم صراع بين المرء ونفسه ، وبينه وبين المجتمع .. ومن الطبيعى ان العوامل المقاومة تتغلب فى هذا الصراع ، لدى الشخص العادى . **ولكن تزايد اقدام الأحداث والغلمان على القتل يدل على ان الصغار عندما يحيرهم الواقع النفسى والاجتماعى ، يجدون**

**انفسهم غير مهيئين ولا ناضجين بالدرجة التى تمكنهم من هضم هذا الواقع واستيعابه !**

ولقد وصف « جيمس موراى » ـ وهو من اشهر رجال النيابة الامريكيين الذين فهموا وقدروا كثيرا من جرائم الشبان ـ مثالا رائعا لتسلسل الحوادث فى نفس المراهق ، على النحو التالي : تهفو نفس المراهق الى فتاة ، ولكى يخلو له الجو معها ، يتوق الى سيارة ، فيسرق واحدة .. ولكى يلهو مع الفتاة ، يجد نفسه فى حاجة الى نقود . ويتلفت حوله ، فلا يرى سوى صور زائفة لما تبغيه اية فتاة .. صور البطولة والجرأة الزائفة ، فيتدرب على اطلاق النار .. وهكذا

## مستقبل جريمة القتل

• **ولقد** بولغ فى تقدير مايدعى «الحافز الذى لاسبيل الى مقاومته » ، والذى يقال انه يدفع الناس ـ كبارا كانوا او صغارا ـ الى مغالبة كل رادع يصدهم عن القتل . ولكن الواقع ان « الحافز الذى لا سبيل الى مقاومته » لا يكون قاسرا او طاغيا الا بالنسبة للاعصاب المختلة المريضة . **ومن العجيب ان المنكوبين بمثل هذه الاعصاب لا يقدمون على القتل !**

ان الزعم بامكان انبعاث الحافز على القتل فورا ، وعفو الساعة ، امر لا يقوم عليه دليل . فليس بين الحوافز مايفوق « الحافز على العمل » استدعاء للاستعداد الطويل . ذلك لأنه ينشأ عن عدة عوامل ، قد يكون اظهرها اهمية هو اقلها املاء ودفعا اذا ما اجتمع مع بقية العوامل . وبدون هذا « الحافز على العمل » لا ترتكب جريمة القتل !

**والآن ، ما مستقبل جريمة القتل ؟ .. وهل سيظل السبب فى اقدام الناس على ارتكابها مسألة تتضارب بشأنها الآراء ؟ .. الواقع ان المعلومات التى لدينا عن دوافع القتل ، تكفى لمنع هذه الجريمة** . ففى المجتمع السليم النظام نجد ان القتلة من

مختلى العقل أو المصابين بالشذوذ الجنسى ، لايثيرون مشكلة تذكر ، لأن من السهل منعهم من الاقدام على القتل ، اذ ان معظمهم يغدون موضع اهتمام السلطات ، فيتسنى علاجهم او ارشادهم واصلاحهم قبل ان تواتيهم الرغبة فى القتل . ولكن تحسين الأساليب القانونية والنفسية والاجتماعية وما اليها ليس كافيا ، بل ان المهم هو تقليل الظروف التى ينبعث منها الميل الى التخريب والهلاك . **وهذه مسألة تقع على عاتق التربية قبل كل شىء ، وقد اثبت القانون - عبر التاريخ - انه خير اداة للتربية والتعليم فى المجتمع الانسانى .. اذ ان القيود القانونية ، والتحريم القانونى ، لا تلبث ان تصبح - على مر الزمن - من اصول النظام الاجتماعى ، ومن العادات المستقرة الراسخة ..** ونحن نشهد اليوم ازدياد العناء المترتب على مثل هذه العادات ، فى الصراع الخلقى الذى يحتدم فى نفوس علماء الذرة ، اذ انهم يرون فى الطريقة التى تستغل بها ابحاثهم ، ما يتعارض مع القوانين الخلقية العريقة ، التى توطدت فى نفوس البشر

ولقد قال فرويد : « ان استخدام العنف كفيل بأن يكون العامل الحاسم اذا ما تضاربت مصالح البشر » . ولا مراء فى ان هذا القول : « كان صحيحا » ، ولكنى لا اعتقد انه سيظل كذلك دواما . **ومع اننا نعيش فى عصر حافل بالعنف ، الا اننى موقن من ان الأساليب العنيفة لن تلبث ان تتراجع امام اساليب العقل والحكمة ، واذ ذاك لا يظل القتل من المشكلات الخطيرة !**

حدث منذ زمن ان اطلعت على « كتالوج » لهدايا الاطفال ، فاذا فيه رسم لعلبة من علب فراجين الاسنان ، صيغت على شكل بندقية .. ولست اظن ان مثل هذه العلبة تجعل من الطفل قاتلا ، ولكنها واحدة من الاشياء التافهة التى تعمل على عرقلة خطوات التربية والتعليم فى سعيهما الى عالم خال من العنف !

# كفنه ميري !

قصة مصرية بقلم : يوسف جوهر



• **ذات** مساء مر بى صديقى الدكتور فهمي ، واقترح على أن ارافقه فى سيارته لنزور أصدقاء لنا فى بلدة صغيرة قريبة : حكيم المركز ، ومهندس الرى ، ووكيل النيابة ، واثنين او ثلاثة آخرين من اولئك الموظفين الذين يجتمع عقدهم فى النادى كل ليلة للعب ، أو الشرب ، أو التهام الطعام ، ثم التآمر على أحدهم وتناوله بالسخرية والمعاتبة طيلة السهرة .. وانه للون ممتع من السمر الطليق بين اخوان ألفوا أن يحتمل بعضهم بعضا .

ووصلنا بعد ساعة وقصدنا الى النادى ، وهبطنا على اولئك الاصحاب فجأة ، ككل مرة ..

ولم نكد نفرغ من التحيات ويستقر بنا المجلس ، حتى دخل المكان صبى من ماسحى الاحذية .. ولما وضع صندوقه عند قدمى وبدأ عمله ، لفتنى شعره الأصفر الذى اطفأ الغبار لونه ، وخيل الى – وأسارير وجهه الوسيم تبسم – أنى ارى فى عينيه بريق الذكاء .. فأبديت ملاحظة صغيرة ، وأنا أشيع الغلام بنظرة وهو ماض لحال سبيله ، وأعدت عجبى من أن تجود الطبيعة على قروى غليظ من الجفاة الحفاة بمثل هذا الطفل الذهبى الذى يعد فلتة فى بيئته ! .. فعلق وكيل النيابة على ذلك بأن البيئة مظلومة ، وبأن لديه تعليلا لوجود هذه « الفلتات » : **ان بعض الموظفين والفتيان الوارثين يحلون احيانا فى الريف فيعيثون فى الأرض فسادا .. والنساء الفقيرات اللاتى يشتغلن بالخدمة فى بيوت اولئك السادة او تدفعهن اليها بعض الرياح يتعرضن لكثير من الأذى .. ثم يذهبون وتبقى آثارهم تدل عليهم !**

واتسعت حلقة الحديث ، وأخذ كل من الجالسين يروى فى

الموضوع نادرة أو يذكر خبراً . ومع أن صـديقى فهمى كان طويل اللسان ، الا أنه ظل صامتا مستسلما للوجوم .. بل ورغب فى العودة قبل ان ينتصف الليل ، مع أنه هو الذى كان يلح فى المرات السابقة فى البقاء أطول مدة ممكنة !

وانطلقت بنا السيارة ، وقطعنا نصف الطريق وهو حليف الصمت .. وقد كان ذلك خليقـا بأن يغرينى على النعاس ، لكن شعورى بأن قلبه سقط بغتة فى لجةمن الكآبة نبه حواسى وذاد النوم عن جفنى .. فأهبت به : « انك صاحب الاقتراح فى هذه الرحلة ، ونحن منطلقان اليها كنت تدندن بالغناء وكنت مبتهجا . وأرى الآن أن حالك قد تغيرت ! .. فماذا اصابك؟!. لقد كادت تسرى الى العدوى منك ، وبدأ صدرى ينقبض !» . فتنهد ، وقال كالحالم : **« ان حـديث أولئك الاشقياء قد ذكرنى بشىء أحب دائما أن أنساه . منذ خمسة عشر عاما قد ارتكبت تلك الغلطة ! »**

* * *

**• وطلب** منى أن أشعـل له سيجارة ، لأنه كان مشـغولا بالتحـديق أمامه . لـكن هل كان يرقب الطـريق وهو يقود السيارة ، أم كان يرصد الأحداث فى الماضى البعيد ؟ ! ثم مضى يقول بصوت شاحب كأنه صوت مذنب يعترف :

« منذ خمسة عشرعاما تخرجت من مدرسةالطب ، وعينت على الفور ، وطلب الى أن اقوم على شئون مستشفى متنقل فى الأرياف . وذات مساء تقدم الى الخفير الموكل بحراسة الباب وبالقيام بدور المراسـلة بينى وبين تفتيش الصـحة فى المركز المجاور ، وطلب منى فى كثير من التوسل أن أقبل قريبة له فى وظيفة الخادمة التى خلت . فتاة مسكينة مات زوجها منـذ عام ، بعد شهرين من الزواج ، ولم يترك لها شيئا تعيش منه .



وقال انها تنتظر فى الخارج ، فاستدعيتها .. **وجاءت تتعثر فى خجلها ، واذا هى صبية فى السابعة عشرة ، رائعة الحسن، تحتضن طرحتها السوداء وجنتيها الملتهبتين من الحياء كما يحتضن الليل النار الوردية التى تضرم فى العراء طلبا للدفء . فرق قلبى لها ، وأجبتها الى رغبتها !**

« وفى الأيام القليلة التالية انجاب حياؤها ،ووجدت الجرأة لتنظر الى بعينين مفعمتين بالشكر .وكنت أشعر وهى تتطلع الى بكثير من القلق ، فانى لم أكن رأيت فى المدينة مثل جمال عينيها وصدرها . وبدأت أعنف مشاعرى وألوم قلبى حين لاحظت أنى اندفع نحوها وأبتسم لها اكثر مما ينبغى ! وتبينت فيما بعد انها ليست قريبة الخفير عمار ، وانه ادى لها هذه الخدمة لأنه يطمع فى أن يكسب رضاها ويتزوجها . ثم لاحظت أن بينهما شيئا كالحب ..وقد كان عمار سعيدا اذ كان فى وسعه أن يرى فتاته فى كل وقت ويراقبها . وكم اضمرت له الحسد لأنه وهو هذا الجلف الغليظ سيحصل على كل هذا الجمال ! وأحيانا كنت أغضب عليه غضبا عنيفا لأسباب تافهة . وكان يدهش من جفائى المفاجىء وأنا الذى صنعت معه ذلك المعروف الكبير ، لكنه ــ اقرارا بالجميل ــ كان يقابل سوء معاملتى بالاحتمال .و لم يخطر بباله ابدا أننى أحسده على هنائه ، أو أننى أنزل من عليائى لأنظر الى فاطمة الخادمة ! **ولست أدرى لم انتابنى الحنق من غباوته . لقد كنت أصارع**

**رغبة شريرة طاغية تضطرم بين جوانحى ، وكانت ناحية الخير توشك أن تصرع ، فهل وددت بينى وبين نفسى لو أنه يفتح عينيه ويعرف ما بنفسى فأخجل من نظراتهوتوجسه ، وأزجر غرائزى ؟ !**

« لقد ظل غافلا .. حتى ضقت بثقته العمياء ، وأرسلته ذات مساء الى المدينة فى مهمة لا ضرورة لها . وكنت أعرف أن أول قطار يستطيع أن يعود به لا يصل قبل منتصف الليل . ان صبرى كان قد نفد ، ونيتى السوداء قد اختمرت! وما زلت أذكر أننى تصرفت وقتذاك كما يتصرف السارق المقبل على السطو ، فاننى بعثت بعمار الى المدينة بعد ان جعلته يتوهم انى غادرت المستشفى وقصدت الى نقطة البوليس لأمضى السهرة كالعادة مع الملاحظ . . وما كان عمار يستطيع أن يعترض على بقائى ، لكنه المريب يكاد يدل على نفسه ! .. ولم أكد أستوثق أن القطار قد بعد به حتى عدت الى المستشفى !

« وكانت الساعة قد بلغت التاسعة عندما وصلت ،ووجدت أن فاطمة ما تزال ساهرة ، وخيل الى أن شيئا من الخوف يحترق فى عينيها ، فهل أنبأتها غريزة المرأة بأننى سأعود ، واننى تساهلت تلك الليلة مع الممرض وأعفيته من البقاء فى المستشفى ، لسبب ؟ ! لقد ناديتها فلبت مسرعة . وأذكر أن صوتى كان مضطربا .. وكان الليل حارا .. والهواء راكدا .. والنجوم الثابتة فى الفضاء المظلم تنظر بلا معنى ، كأنها عيون طيور سوداء محنطة . ولما استبقيتها وأخضعتها لتلك الرغبة الآثمة ، لم تقاوم .. وانما سقطت فى جو من الذعر والحلم والرهبة .. وأدركت سر استسلامها : **اننى كنت فى نظرها ذلك المحسن الذى لا يليق أن ترد له رغبة .. وذلك السيد الذى يجب أن يتقى غضبه .. وذلك الفتى الجميل ، الرفيع**

**القـدر ، الذى لا يتصور أن يحول شىء بينه وبين ما يتمنى !**
وما رأيت قط امرأة مثلها تركب خطيئتها بلا سرور ، ولا يمنعها من التألم والبكاء الا الرغبة فى المجاملة !

« ونقلت بعد ذلك بشهور ، فتنهدت الصعداء ، لأن هـذا النقل أعفانى من اللقاء الدائم لعينى عمار ، الواثقتين ، المملوءتين حبا واخلاصا !

« وتعاقبت الأعوام ، واندثر هذا الحادث . ولم أر وجـه فاطمة الا بعد ذلك بعشر سنوات ، فى حلم ، اثناء ان كان قطار الليل ينهب بى الطريق الى مقر وظيفتى الجـديدة ، اذ كنت قد رقيت طبيبـا اول لمستشفى المدينـة التى يتبعهـا ذلك المستشفى القروى الذى ألحقت به أول عهدى بالعمل ، وعرفت فيه فاطمة .. وكان نقـلى الى تلك المنطقـة هو الذى أثار فى نفسى صورا من الماضى لاحقتنى فى نومى .. وعندما استيقظت سـخرت من هواجسى التى خيلت الى انهـا ما تزال نضرة كالزهرة . وكأن كل تلك الأعوام لم تنل من جمالها ! »

★ ★ ★

• **وباغت** الصمت صديقى الدكتور فهمى مرة أخرى ، وكنا قد وصلنا ، وغادرنا السيارة ووقفنا امام بابه ، فمـددت له يدى مودعا ، وأنا أحسب أن حديثه قد انتهى .. وكان القمر قد احتجب وأخذ معه ثيابه الفضية ، وتركنـا فى الظلام .. وأحسست ان يده ترتجف فى يدى ارتجـافا خفيفـا وهو يسالنى أن أصعد معـه الدرج ، وأجلس قليلا ، لأنه يخـاف أحيانا من الصعود فى العتمة عندما يكون متعب الاعصاب .. فرافقته ، وأنا أعجب لأمره !

ولما أدار النور رأيت قطرات كبيرة من العرق تبلل جبهته ،

فقلت له ضاحكا : « أتخشى الأشباح وأنت الذى يعبث بأجساد القتلى ويقوم بعملية التشريح فى المستشفى الأميرى كل يوم ؟!»
فأجاب جادا : **« انها ليست مسألة الأشباح ، ولكنها حادثة تشريح واحدة هى التى زلزلت أعصابى ، وكلما ذكرتها أصاب بروع بالغ !**

« كان ذلك منذ ثلاثة أعوام ، لكن الغلام الذى أجريت مشرطى فى جسده الميت كثيرا ما يثب من رأسى ، من تفكيرى المضطرب ، ويقابلنى فى الظلام ، ويحدق فى وجهى بعينين ذابلتين !

« كان ذلك الصبى قد نقل من قرية قريبة مساء يوم وهو بين الموت والحياة .. وقيل لى انه ضحية من ضحايا القسوة الأبوية ، فقد ضربه أبوه بمقدمة الحذاء فى بطنه مرات متوالية. وقد فحصته ، ورجحت اصابة الطحال والامعاء بتمزيقات مصحوبة بانسكابات دموية داخلية .. واثناء الفحص فتح الفتى عينيه قليلا ، وأطلت منهما نظرة ذابلة مفعمة بالألم ، ثم أطبق جفنيه من جديد .. ونحن الاطباء من كثرة مرورنا بالآلام نصاب بنوع من التبلد .. لقد رأيت أن لا رجاء فأجريت علاجا مؤقتا بلا حماس .. اننا عندما نزمن فى المهنة نصاب نحن أيضا بمرض اسمه « عدم الاكتراث » ، فنعمل بلا قلب ، ولا نعنى بمناوأة الموت الذى يحصد ارواح القرويين .. وقد تركت هذا المريض المشرف على التلف لزميلى الآخر ، وقصدت الى عيادتى الخاصة ، ثم انصرفت منها لأتناول كأسا من الوسكى فى النادى

« وفى الساعة العاشرة عدت الى المستشفى فاذا الغلام على طاولة المشرحة ! ولم أكن أتوقع أنه سيموت بهذه السرعة . ومر بنفسى ندم طفيف ، ثم بادرت الى اجراء الصفة التشريحية التى جاءت مؤيدة للتهمة .. فياله من وحش مجرم ، ذلك الأب !



« وخرجت قاصدا الى غرفتى لأكتب تقريرى .. فاعترضتنى فى المشى امرأة قروية وانحنت على حذائى تقبله ، وهى تبكى ضارعة .. انها تعرف ان ابنها قد مات ، وهى تلتمس أن تبقى معه بقية الليل ، فانها فرصتها الأخيرة لرؤيته ووداعه . وحتى نحن العزاب ، الذين لم نكابد حنان الأبوة ، تهز مشاعرنا لوعة الوالدين ، ولذلك فاننى أنهضتها برفق ، وما كاد بصرى يقع على وجهها حتى وثب قلبى ! .. **فان تلك المرأة ، التى زارتنى فى الحلم ، بعد فراقها بعشرة أعوام ، قد عادت الى الظهور .. وتولتنى الدهشة ، وسألت نفسى اهى فاطمة .. أم طيفها هو الذى أرى فى ذلك المشى الكئيب ذى الضوء الشاحب !**

« وقد عرفتنى .. ان الصدفة قد شاءت أن تجمعنا ! ورافقتها بلا وعى الى المشرحة ، حيث انحنت على وجه ابنها واحتضنته ..

« وهناك ، وفى ذلك الصمت الذى يتنفس من رئتى الموت باحت لى بذلك الاعتراف الرهيب : **ان هذا الغلام المسجى ، المزق الأمعاء ، هو ابنى ايضا .. هو ثمرة تلك الزلة .. وقد ولد بعد زواجها بسبعة شهور .. وارتاب الزوج ، لكن الطبيب الذى حل مكانى بدد ريبته رفقا بالتعسة .. واقنعه بانها حالة من حالات الولادة الناقصة !**

« وقد ولدت له بعد ذلك ثلاثة اطفال ، لكن الأول ظل موضع بغضه ، ولم يجد عليه قط بحنانه ، وظل شيء مجهول يدفعه الى اضطهاده ، وها هو الآن رهين السجن بسبب الغلو فى ايذائه .

« اذن فهو ابنى ! .. لم يكن هناك ما يدعو لان تكذب ..

« ولقد تأملت وجهه وصدقتها .. وانفتح فجأة فى أعماقى نبع من الدمع والحنان . ونفسى الصلبة التى الفت ان تنظر الى الموتى بلا اكتراث قد ذابت .. وكم عذبنى الندم لأننى لم أقف الى جانبه وأبذل كل ما فى الطاقة البشرية لانقاذه !

« انه ابنى .. لكنى مزقت جسده بمشرطى بلا اهتمام .. وطيلة حياته لم أحصل من عينيه الا على نظرة واحدة ذابلة لم تكن موجهة الى .. ولم أعبأ بها .. **أما بعد أن عرفت فقد أحسست أننى بحاجة لأن أرى عينيه ، وهو حى ، ولو برهة ، وأن اسمع صوته ، ولو لحظة !**

**« لكن كل شيء كان قد انقضى ، ولم يعد فى وسعى أن أؤدى له أية خدمة الا أن أضع فى يد أمه بعض النقود لتشترى له كفنا من الحرير ، هو أول وآخر هدية قدمتها له !**

« وقد ذكرنى به حديث الليلة .. وتهكم اولئك الاخوان بالخطايا العابرة

« وكلما أذكره ، أضطرب .. ولا أقوى على عبور الظلام وحدى .. لأنى أراه واقفا فيه ينتظرنى ، ويمقتنى بتلك النظرة الذابلة ! »

وسكت فهمى ، ومد يده ليمسح قطرات العرق التى كانت تغطى جبهته

# كتب الأولون



# كنوز الكتب القديمة

**عزيزى القارىء ..**

قرأت معى فى الأعداد الماضية، من روائع الكتب القديمة ، هذه الكتب على التوالى :
. ديكاميرون . دون كيشوت
. الالياذة . اميل . حى بن يقظان . روبنس كروزو . غرام الاخوين . يوتوبيا . الجمهورية
. الكوميديا الالهية . الاوديسة
. العالم كما يسير . غرام مشبوب . رباعيات عمر الخيام
. عفاف ( كوزى سانكتا )
. رسالة الغفران . نظرية التطور . رأس المال . العقد الاجتماعى . الابطال وعبادة البطولة . أسرار انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية . الامير
. خفايا العلوم الفرعونية
. وصية ريشيليو السياسية
. مصير البشرية . السياسة

وهاك اليوم كتابا له «شقيق» ذائع الصيت فى الفارسية !




تلخيص : أمين سلامه

## هذه الحكايات .. لها أهداف كبيرة !

◆ تعتبر الحكايات الرمزية ـ التى يتمثل أبطالها فى كائنات غير بشرية ـ من أهم مصادر الأدب الشعبى فى أية أمة ، فضلا عن انها غالبا ما تكون ذات أهداف أدبية وتربوية .. وسياسية فى بعض الاحيان ! ولعل أشهرها لدى قراء العربية ، هى حكايات « كليلة ودمنة » التى ترجمت عن الادب الفارسى .. و « حكايات ريلوف » ـ التى نقدمها لك اليوم ـ لا تقل عن « كليلة ودمنة » روعة ولا غاية . فهى من أعظم التحف الخالدة فى الأدب الروسى، كما انها تصور طبائع الشعب الروسى عامة ، بغض النظر عن العصر الذى يعيش فيه ، ونظام الحكم الذى يخضع له ، حتى ليقول الكتاب الروس فى وصفها : « اذا شئت ان تفهم شعبنا، فاقرأ ريلوف »

و « كتابى » اذ يقدم لك أبدع « حكايات ريلوف » ، يمهد لهابفصل موجز عن المؤلف ، الذى خلد بها اسمه

## ايفان ريلوف .. صاحب الحكايات !

◆ عندما اغتيل القيصر بطرس الثالث ، وخلا الجو لكاترين الكبرى كى تنفرد بحكم روسيا ، ظهر فى هضاب أورال قوزاقى شديد الشبه بالقيصر القتيل ـ يدعى « بوجاشيف » ـ فجمع حوله جيشا من الأنصار ، وسار بهم صوب ( موسكو ) .. وكان بين العسكريين الذين آزروا كاترين فى محنتها ، ضابط يدعى « الكابتن ريلوف » ، أبدى من البسالة فى الدفاع عن أحد الحصون الهامة ماجعل « بوجاشيف » يقسم على ان يقتل « ريلوف » ، وكل رجل فى أسرته !.. وكان من جراء هذا القسم ان اضطرت زوجة ريلوف يوما الى ان تخبئ طفلها « ايفان » ـ الذى كان فى الرابعة من عمره ـ فى آنية كبيرة من الفخار ، لانقاذ حياته .. وما خطر لها قط انها أنقذت بذلك انسانا قدر له ان يكون من أقطاب الأدب الروسى !

وكان « ايفان ريلوف » ـ مؤلف « الحكايات » ـ فى الحادية عشرة من عمره ، عندما توفى أبوه ، فتوفرت أمه على تربيته ، رغم ضآلة مواردها . وبلغ من

تشجيعها اياه ، انها كانت تسهر الليل تصغى اليه وهو يقرأ لها بالفرنسية ، رغم انها لم تكن تفقه منها كلمة !٠٠ على ان « ايفان » لم يلبث ان فقدها حين بلغ العشرين من عمره ، فوجد فى حزنه عليها باعثا على ان يزداد اقبالا على القراءة ، مما مكنه من ان يتبحر فى اللغات الفرنسية والألمانية والايطالية ، كما أجاد العزف على « الكمان » ٠ ونازعته نفسه الى الكتابة للمسرح ، فوضع تمثيليتين فكاهيتين لم تصيبا نجاحا كبيرا ٠٠

وواتاه النجاح الحقيقى يوم ترجم احدى قصص « لافونتين » ، فشجعه ذلك على ان يؤلف قصصا سرعان ما لقيت اقبالا من الشعب الروسى ٠٠ وكان القوم اذ ذاك يطالبون بالاصلاح ، وينتقدون الفساد الحكومى ، فساهم « ريلوف » فى هذا المضمار بأشعار مليئة بالكنايات والتوريات ، كما وضع قصصا رمزية لانتقاد الفساد ٠٠ وكانت قصة « عندما أصبح الثعلب قاضيا » ـ التى تجدها بين ما انتقيناه لك من حكاياته ـ مثالا لذلك ٠٠ كما ان قصة « جدول الماء » تبين كيف ان الضعيف ينسى مبادئه اذا ملك فينقلب طاغية !٠٠ وكانت قصته «الذئب بين أوكار الكلاب» تسجيلا لحملة « نابليون » على موسكو !

وقدر القيصر اسكندر الأول قيمة « ريلوف » ، فعينه فى منصب رفيع بمكتبة الامبراطورية فى ( سان بطرسبورج ) ، كما خصته الامبراطورة مارى بمقعد حول مائدتها ٠٠ وأصرت على نقله الى قصرها فى ( بافلوسك ) عندما مرض ، لتستطيع العناية به ٠ ثم عاش ردحا فى دار صديق له يدعى « اولينين » ، كان يشغل منصب المدير العام للمكتبة الامبراطورية ٠ ومما يروى عنه اذ ذاك ، انه كان قليل العناية بهندامه ومظهره ، وقد دعى يوما الى حفلة تنكرية ، فاحتار فى اختيار الصورة التى يتنكر فيها ، فما كان من « آنا » ـ ابنة اولينين الصغرى ـ الا ان قالت له : « هون عليك ! لو انك اغتسلت ، وحلقتشعر لحيتك ، وارتديت ثيابا نظيفة ، لما عرفك أحد ! »

وعندما توفى ريلوف ، شيعت جنازته فى احتفال رسمى شعبى ٠٠ واكتتب الروس ـ كبارا وصغارا ـ بنفقات اعداد تمثال كبير لتخليد ذكراه ، أقيم فى ( سان بطرسبورج ) ـ التى تعرف اليوم باسم ( لينينجراد ) ـ وسجلت على قاعدته نماذج من قصص ريلوف ، بينها حكاية « الشحاذ والثراء » ، التى تعتبر من أكمل الدراسات للنفس البشرية

## الفلاح الذى نجا من بين أنياب الدب !



• **سار** فلاح مع خادمه عائدين الى دارهما ، حين مالت الشمس الى المغيب . وكانت طريقهما تمتدخلال غابة كثيفة . وفيما هما سائران ، انقض دب – من الظلام الذى خيم على الأشجار – فأمسك بالفلاح ، وراح يتلفت حوله بحثا عن بقعة ملائمة ، يخلو فيها الى عشائه الشهى !

ورأى الفلاح ان الموت قريب منه ، فصاح صارخا ، وهتف بخادمه ضارعا : « أسرع الى نجدتى ياصديقى العزيز ! اغثنى يا رفيقى المحبوب! » . **فاستجمع الخادم قواه ، وطوح بفأسه فى الهواء ، ثم هوى بها على رأس الدب فشجه .. واعمل فى الوحش الطعن بالمذراة ، حتى خر صريعا على الأرض .**

وما ان زال الخطر عن الفلاح ، حتى التفت الى خادمه وأخذ يعنفه بصوت عال ، فسأله هذا : « ماذا جرى ؟ . ماذا ترانى فعلت ؟ »

– ماذا حدث أيها المعتوه ؟ لقد قتلت هذا الدب بطريقة أتلفت بها فراءه ، فلن يكون ذا نفع لى على الاطلاق !

## أجدر بالضعيف ألا يتظاهر بالقوة !

• **ركب** الغرور حملا ، فأراد ذات يوم ان يضحك من باقى القطيع . ومن ثم ارتدى جلد ذئب ، وتسلل بين أقرانه من الحملان .. وقبل ان يجد فرصة ليشهد الذعر الذى دب بين أفراد القطيع ، اذا بكلاب الحراسة تنقض عليه ، وقد كشرت عن انيابها لتفتك به وتمزقه اربا !

ولكن الراعى شاهد الحمل تحت جلد الذئب ، فصاح فى الكلاب ، واذ ذاك كفت عن الهجوم .. **وتهالك الحمل المسكين، الضعيف ، ثم خر مغشيا عليه من هول الموقف !**

ما أجدر الحمل العاقل بأن يدرك ان من الخير ألا يظهر فى صورة الذئب !

## كل مسخر .. لما خلق له !

• **وقف** أحد الرعاة الى جانب جدول ، وراح يندب حظه التعس،اذ غرق له حمل ـ كان حبيبا اليه ـ فى النهر المجاور .. وتأثر الجدول لحزن الراعى ، فهتف بالنهر مؤنبا :

ـ ما أقساك أيها النهر ، وما أشد أنانيتك !.. لو استطاع الناس ان يجتلوا أغوارك كما ينفذون بأبصارهم الى أعماقى ، لارتجفوا لمنظر كل تلك الضحايا التى ابتلعتها بنهم!.. وأحسبك ستغوص ـ اذ ذاك ـ فى الثرى خزيا، وتسعى لأن تتوارى فى فجوة مظلمة .. لو ان القدر منحنى من المياه الزاخرة، والقوة الساحقة ، مثل ما حباك، لاستخدمتها بطريقة غير طريقتك .. لحاولت ان أكون زينة للطبيعة ، ولما آذيت أحدا ، وكأنى فرخ وديع !.. لأرسلت مائى لينساب رقيقا بين الحدائق والبيوت، وليجلب حياة جديدة وهناءة لكل واد وكل مرج ، دون أن أسلبها عودا واحدا من العشب .. ثم يتسلل مائى وادعا لطيفا الى المحيط !

هكذا تكلم الجدول وهو يؤمن صادقا بكل كلمة فاه بها !

**ولم ينقض أسبوع واحد ، حتى دهمت قمة التل - التى ينبع منها الجدول - عاصفة مطيرة ، فتدفق الماء سيلا ، وتضخم الجدول فصار أعتى من النهر ، وفاض الماء معربدا على ضفتيه ، واندفع جارفا فى طريقه اشجار البلوط العتيقة، حتى لقد كان لتهشم اغصانها صوت يسمع على مسافة بعيدة!**

وقدر لنفس ذلك الراعى البائس - الذى رثى الجدول لحاله - أن يغرق مع ما كان قد تبقى من قطيعه فى مياه الجدول المتدفقة .. ولم يبق لكوخه المتواضع أثر !

## احتفظ ببعض الأصدقاء .. لأوقات المحن !

• **انطلق** ذئب ينشد النجاة ، وفى أعقابه الصيادون والكلاب يطاردونه بكل قواهم ، حتى بلغ قرية ، فرأى قطة منكمشة فوق احدى الأشجار ، فصاح بها : « أنبئينى بسرعة ، أيتها الصديقة : من من الفلاحين هنا رحيم القلب ، يؤوى المكروب ويغيث الملهوف ؟.. أتسمعين نباح الكلاب ؟.. لابد من أن أختفى فى أحد الأكواخ ! » .. فأجابت القطة : « اذهب الى كوخ نيقولا ، فهو مشهور بالشفقة والطيبة »

**- نيقولا ؟! انه حانق على منذ الربيع الماضى، اذ سرقت منه حملا !**

- جرب اذن كوخ ايفان ، فانه رحيم القلب

**- قد يكون رحيم القلب حقا، ولكنى فجعته فى احدى عنزاته فى الأسبوع الماضى !**

- واحسرتاه ، انك فى موقف لا تحسد عليه.. ولكن ، لعل بطرس ينقذك ، فأسرع واختبىء فى كوخه !

**- لست أجرؤ على الاقتراب من بطرس ، فقد قتلت أحد عجوله منذ شهر !**

فصاحت القطة : « ما هذا ؟.. لقد أغضبت القرية كلها ،

فلا فائدة من ان تنشد العون هنا ، فليس فلاحونا بلهاء حتى ينقذوك فيجلبوا على انفسهم الوبال ! »

## الذبابة المغرورة !

• **حطت** ذبابة على عـربة الملك ، فلاحظت الغبار الـكثيف الذى كان يتصاعد حولها ، والناس الذين وقفوا ـ على بعد ـ يصفقون ويهتفون .. ولم تتمالك الذبابة ان قالت : **(( يا لكثرة الغبار الذى أثرته حول العربة! .. وما أشد تصفيق القوم بى!))**

وبعد قليل ، طارت الذبابة وحطت على ظهر أحد الجياد .. وتصادف ان اشـتـد تصفيق الناس فى تلك اللحظـة ، فقالت لنفسها : « ها هم أولاء يحيوننى ، لأننى أجـر العربة بسرعة عظيمة ! »

## السكوت وقت الأكل .. من ذهب !

• **ذهب** ثلاثة من الفلاحين الى المدينـة فى بعض الشئون . وفيما كانوا عائدين، دهمهم الليل، فعرجوا على نزل فى الطريق، وطلبوا طعاما وفراشا للمبيت

ولم يكن بالمنزل أكثر من قـدر من حساء الكرنب ، وبعض الخبز، وإناء صغير ملىء الي نصفه بالعصيد.. فتأمل الفلاحون هذا الطعام القليل فى حيرة ، ولكنهم لم يلبثوا ان رأوا انه خير من ان يبيتوا على الطوى .. وكان بينهم ماكر داهية، رأى ان يحتال ليستأثر بالطعام كله ، فهتف بصاحبيه : « من المرجح أن يدعى صديقنا توما الى الانخراط فى الجيش » .. فتساءل الآخران : « لماذا ؟.. ومتى ؟ »

**ـ هناك أنباء عن حرب مع الصـين ، فان الامبراطور طلب الى أهلها ان يدفعوا جزية عن الشاى !**

وما ان سمع الفلاحان الآخران ذلك ، حتى اشتبكا فى نقاش حاد عن الحرب ، ومتى يتأجج سعيرها ، ولمن تكون الغلبة ..

وبينما هما يتبادلان وجهات النظر ، كان الثالث قد أتى على العشاء وحده !

## مكافأة .. متأخرة !

• **تلقى** سنجاب دعوة ليعيش فى البلاط الملكى للأسد ! وقال له الأسد فى رقة ولطف : « ستصبح عضوا فى الأسرة الملكية ، وعند ما تحال الى المعاش ستنال قدرا عظيما من البندق مكافأة لك »

وسر السنجاب بذلك العرض ، وكان « فخورا » حقا بخدمة ملك الغاب ، فراح يبذل جهده لارضاء مولاه: فكان يجرى هنا وهناك حاملا رسائل الملك ، ويقفز من شجرة الى شجرة فى سرعة فائقة ، كى ينجز أعماله الكثيرة التى شغلت كل وقته ، حتى انه لم يعد لديه متسع ليتناول غذاءه !



**أما السناجيب الأخرى ، فكانت تتمتع بالبندق واللهو .. ولم يكن لدى سنجابنا الملكى وقت يشاركها فيه نعيمها ، فقد كان دائما فى خدمة الملك .. حتى ادركته الشيخوخة، واضناه العمل، ولم يعد يقوى على الجرى بسرعة كما كان يفعل فى اول عهده بخدمة الملك ، فاعتقه سيدة من الخدمة ، وأعطاه حملا كاملا من البندق**

وكان البندق من أجود الانواع ، فقد جمع من أفضل الأشجار، وكانت كل بندقة منه كبيرة ولذيذة، فما رأى الغابة

يوما أطيب منه !

ولكن السنجاب لم يسعد بهذا الجزاء .. اذ كان قد فقد ـ مع الكبر ـ أسنانه !

## لا تهادن (( ذئبا )) .. حتى تسلخ جلده !

• **حاول** الذئب أن يتسلل الى حظيرة الأغنام ـ ذات ليلة ـ فسقط بين أوكار الكلاب ، وسرعان ما هبت هذه تطلق نباحا عاليا ، وتدفع ابواب اوكارها ، متحمسة للانقضاض على الذئب . . واذ ذاك تصايح الحراس : (( البدار ! لقد تسلل لص الى المكان ! ))

وبادروا الى اغلاق الأبواب كلها ، وأخذوا يجوسون خلال المكان وقد حملوا مشاعل قوية ، فاذا بهم يبصرون الذئب منزويا فى ركن مظلم ، وقد انتفش شعره ، وبرزت أنيابه الحادة ، وتطاير الشرر من عينيه موحيا بأنه على أهبة الاستعداد للفتك بالجميع . . ولكنه ما كاد يتبين انه وسط مساكن الكلاب ـ وليس فى الحظيرة ـ حتى عمد الى المداهنة ، قائلا : (( أصدقائى الاعزاء : **علام هذه الضجة ؟ اننى زميلكم القديم ، بل اننى أخوكم ! وما أتيت الى هنا فى ثياب الغدر ، وانما فى ثياب صديق لايفكر قط فى الأذى ! فلننس الماضى ، ولنعقد صلحا فيما بيننا . وانى لاعاهدكم على ان لا أقرب بعد اليوم خرافكم .. بل اننى لاقسم بشرفى ـ كذئب ! ـ على ان أصبح لكم حارسا وحاميا .. ! ))**

وهنا قاطعه كبير الحراس قائلا : (( صه أيها الذئب .. فمع انك أشهب الفراء ، وانا أبيض الشعر ، الا اننى أدرك طبيعة الذئاب ، ومن ثم لا أهادن ذئبا حتى أسلخ جلده ! ))

## لا قيمة للمعاهدات .. مع (( الكلاب )) !

• **استمتع** كلبان بوليمة طيبة ، ثم افترشا الثرى آمنين

تحت أشعة الشمس ، وراحا ـ فى رقدتهما الناعمة ـ يتجاذبان الحديث فى مودة .. فتناولا شظف الحياة التى قدر على الكلاب ان يعيشوها ، وتكلما عن السادة ـ صالحهم وطالحهم ـ وعن الطهاة ، الدنىء منهم والكريم .. فقال أحدهما لزميله : « أهناك ما هو أفضل من التآخى والتآزر والصداقة لكلبين مثلنا ) !. اننا من اسرة واحدة ، واننا لنحرس بابا واحدا .. فلماذا نتشاجر ونتنازع ؟.. لنقسم سويا على ان نصبح بعد الآن صديقين ، يدافع كل منا عن الآخر وقت الحاجة ، ونتقاسم طيب الرزق دون ما طمع ولا مشاجرة ! »

فأجاب الآخر : « أحبذ مثل هذه الصداقة . . وهاك كفى توكيدا لعهدى ! فلا منازعة ولا قتال بعد الآن ، فنحن أخوان منذ الساعة ! »

وفى تلك اللحظة ، قذف أحد الطهاة بقطعة من العظم ، فوثب نحوها الكلبان يريد كل منهما أن يحظى بها دون زميله ، وأعملا أنيابهما وأظافرهما ، وتقاتلا قتالا داميا . . وقد تلاشت الصداقة والأخوة !

## البخيل .. والكنز .. والجنى !

• **حرص** عفريت من الجن على ان يحرس بنفسه كنزا من الذهب دفينا فى جوف الأرض . ولكن ملك الجن لم يلبث ان امره بالرحيل الى بلد فى أقصى أطراف المعمورة .. وكان عليه ان يبقى هناك سنوات عديدة ، فاشتدت به الحيرة ، اذ لم يدر كيف يحتفظ بكنزه خلال هذا الغياب الطويل ، فان بناء مخزن حصين ، والبحث عن شخص أمين لحراسته ، مهمتان تحتاجان الى وقت طويل .. فماذا تراه يفعل ؟

وبعد تفكير وتدبير ، خطرت للجنى فكرة طارئة . فقد كان يعرف ان صاحب البيت ـ الذى دفن الكنز فى ارضه ـ بخيل ، فلم يكن من الجنى الا ان أخرج الذهب من مكانه ، وحمله الى

البخيل ، فقال له : « أيها السيد الكريم . لقد أمرت بأن أرحل الى بلد بعيد ، فرأيت — تعبيرا عما أكنه لك من احترام — ان أهبك هذا الكنز هدية .. **فانفق منه كما تشاء : كل واشرب وامرح ، ولن أسألك سوى شرط واحد ، هو ان توصى بأن اكون وريثك الأوحد** .. والآن ، أتمنى لك كل هناء ، فانى راحل ! »

وانصرف الجنى بعد هذه الكلمات . وما لبث ان عاد بعد سنوات ، فأسرع يتقصى ما جرى لكنزه .. فماذا رأى ؟ .. رأى منظرا جعل قلبه يرقص طربا !.. **كان البخيل مسجى على صندوق الكنز ، وقد مات جوعا .. وكان الكنز كاملا ، لم يمس !**

وهكذا استرد الجنى كنزه وهو قرير العين ، مغتبط لأنه لم يتكبد دانقا فى حراسة كنزه طيلة سنى غيابه !

## كرم .. فى غير موضعه !

• **مرت** سحابة كبيرة ممطرة فوق قطر مجدب يكاد ينشق أديمه بسبب الجفاف والحر اللافح .. بيد انها مرت مسرعة، فلم ترسل قطرة واحدة الى تربة تلك البلاد ، وانما واصلت السير حتى بلغت البحر ، فأمطرته وابلا

وراحت السحابة — بعد ذلك — تتشدق بفضلها ، وهى تتحدث الى جبل ، فقال لها : « ما جدوى كرمك هذا ؟ .. لو انك أسقطت وابلك على الأرض الجافة ، لأنقذت كل المقيمين فى المنطقة من المجاعة .. أما البحر ، ففيه من الماء الكفاية، ولن تزيده هديتك شيئا يذكر ! »

## مكان الصعلوك .. ليس بين الملوك !

• **ضاعت** ماسة ، وظلت فترة ملقاة بجانب الطريق ، حتى عثر عليها تاجر فأخذها وباعها الى الملك . وأعجب بها الملك

فأمر بأن تحاط باطار من الذهب ، وتوضع فى تاجه

وسمعت حصاة ـ كانت مستقرة بجانب الماسة طيلة وجودها فى الطريق ـ بما نال جارتها من العز والشرف ، فثارت حفيظتها .. وما ان رأت الحصاة رجلا مقبلا فى الطريق، حتى صاحت قائلة : **(( ايها القروى الكريم . أرجو ان تتكرم فتنقلنى الى المدينة ، فقد سئمت البقاء فى هذا المكان بين التراب والوحل .. لقد كانت الى جوارى هنا ماسة، ثم قدر لها أخيرا ان تنقل الى قصر الملك، فاذا الناس يتحدثون اليوم عن مكانتها وصيتها ، وان لم أدر لذلك سببا ، فما هى الا حجر مثلى تماما!. بربك خذنى معك الى المدينة ، فليس من شك فى اننى سوف أحتل مكانا رفيعا هناك ))**

والتقط الرجل الحصاة فوضعها فى عربته وواصل سيره نحو المدينة . وكانت الحصاة وقتئذ فى غاية السرور ، تفكر فى انها قد توضع الى جانب زميلتها القديمة ، فى تاج الملك !

بيد أن الحظ لم يبتسم لها .. فبدلا من ان توضع فى تاج الملك ، استخدمت فى رصف الطريق !



## الرجل الأحمق .. وظله !

• **أبصر** رجل أحمق ظله خلفه، فحاول ان يقبض عليه !.. وتقدم بضع خطوات نحوه ، ولكن الظل نأى عنه . وأخذ الرجل يضاعف من سرعة سيره، فيزداد الظل اسراعا فى النأى.. وانطلق الرجل يجرى ، ولكن ظله كان يزداد سرعة كلما أسرع هو

واستشاط الأحمق غيظا – فى النهاية – فدار على عقبيه وقال للظل : « الآن سأجرى أنا منك »

وبينما كان يجرى ، حانت منه التفاتة الى الخلف ، فألفى الظل يجرى وراءه !

وهكذا شأن الحظ .. فهو يعامل الناس – فى كثير من الأحيان – بهذه الطريقة !

## ان الأفاعى وان لانت ملامسها ..!

• **تسللت** حية الى كوخ قروى وتوسلت اليه أن يسمح لها بالمعيشة هناك ، قائلة : « لن تكون حياتى فى كوخك حياة كسل ، بل اننى سأعنى بأطفالك ، فأغذيهم وأهتم بتربيتهم . ان المشهور بين الناس ان الأفاعى ناكرة للجميل، وان وجودها فى منزل مجلبة للمتاعب . وقد تكون هناك حيات شريرة ، ولكننى لست منهن ، بل اننى طوال حياتى شريفة ، لم ألدغ مخلوقا قط . وأعاهدك على ان أنيابى لن تؤذى أحدا ما. ولكم يسعدنى ان أربت على فرخ صغير ، أو أهدىء من روع فتاة يائسة . على اننى – فوق هذا وذاك – اتمنى ان أرعى الأطفال الصغار »

**أجاب القروى : « قد تكونين صادقة فيما تقولين ، ولكنى أخشى اذا قبلت صداقتك، ان تجيئنى حية أخرى، ثم تتوالى الحيات ، وسرعان ما تكون هناك مئات الأنياب ، على استعداد لأن تلدغ أطفالى الصغار . لذلك فلست أرى بوسعى أن**

**أستسيغ فكرة اقتناء حية فى دارى !**
وهكذا تخلص القروى من زائرته !

## الذئاب .. لا تخاف الراعى الغبى !

• **أراد** ذئب ان يدرب ابنه على البحث عن الطعام ـ كما يفعل هو ـ فأرسله ذات صباح يتجول خارج الغابة ، عسى ان يجد فرصة طيبة فى أحد الحقول لصيد خروف شهى لطعام الافطار .. وسرعان ما عاد الذئب الصغير الى والده ووجهه يتهلل بشرا ، وصاح قائلا : « هيا اسرع يا أبت لأريك مكان صيد دسم . فهناك قطيع كبير من الأغنام على سفح ذلك التل ، وما علينا الا ان ننتقى ما يطيب لنا ، ونخطفه ! »

فقال الذئب الكبير : « رويدك يا ولدى ، يجب أولا ان أعرف نوع الراعى الذى يحرسها ! »

فأجاب الأبن : « يشاع عنه أنه فى غاية المهارة والنشاط ، ويقوم بحراستها على خير ما يكون . لقد حمت حول القطيع كله وألقيت نظرة فاحصة على كل مكان، ولكنى لم ألق بالا الى الكلاب ، فانها تبدو سمينة خاملة .. وأنا على يقين من أننا لن نعانى منها متاعب تذكر ! » .. فهز الأب رأسه وقال : « **ان ما تقوله لايوحى الى بمحاولة النيل من هذا القطيع . فأنت تقول ان راعيها ماهر نشيط. ولو صح هذا، فلا بد أنه اختار لحراسة قطيعه كلابا رشيقة سريعة العدو** .. تعال لأريك قطيعا يحرسه عدد كبير من الكلاب، ولكن راعيه رجل أحمق .. ومن ثم فليس هناك ما نخشاه !.. فحيثما تجد راعيا غبيا ، فثق بأن الكلاب ليست بذات شأن ! »

## القناعة كنز لايفنى .. دائما !

• **اعتاد** احد المتسولين أن يتنقل من باب الى باب ، وقد حمل مخلاته على كتفه . وكان في تجواله يحدث نفسه قائلا :

« ما أغرب طبائع البشر .. ان الغنى لايقنع قط بثروته ، ومهما تكن كثرة ماله، فانه دائما يطلب المزيد ! لقد كان ساكن هذا البيت تاجر غنى ، لم يقنع بما كان لديه من مال ، فأعد أسطولا من السفن للاتجار مع الخارج ، طمعا فى أن يحصل على ثروة جديدة.. ولكن سفنه غرقت ، وابتلع اليم كل امواله.. وهناك ، فى المنزل القائم عبر الطريق ، كان ثمة رجل جمع مليونا ، ولكنه اشتهى مليونا آخر ، فأقبل على المضاربة . ، وكان ان خسر كل شىء ! .. ما أجدر الناس بألا يستسلموا للحماقة ! »

واذ ذاك ، التقى المتسول بالحظ وجها لوجه ، فبادره هذا: « رويدك ! طالما تاقت نفسى الى مساعدتك ، فافتح مخلاتك وتلق كل ما تشتهى من قطع ذهبية ، ولن ألزمك بغير شرط واحد : **اذا سقطت قطعة واحدة من المخلاة ، استحالت جميع القطع ترابا .. ان مخلاتك تبدو عتيقة ، فتأكد من انك لن تأخذ فيها اكثر مما تحتمله هى ! »**

وبادر الرجل الى فتح مخلاته ، وهو يكاد يجن فرحا، واذا بالقطع الذهبية تنهمر انهمارا .. وتساءل الحظ : « أيكفيك هذا ؟ » .. فصاح المتسول : **« ليس بعد ! ليس بعد ! »**



ـ ولكن .. لاتنس ان المخلاة بالية .. ألا تخشى ان تتمزق ؟

**ـ لا ، لا ! استمر ، فالمخلاة تحتمل أكثر وأكثر !**

ـ لابد انها اصبحت ثقيلة، فحذار !

**ـ بضع قطع أخرى فقط!.. أضف حفنة أخرى !**

ـ الآن ، اوشكت المخلاة ان تمتلىء الى حافتها .. الا يحسن

ان اكف ؟

**ــ أضرع اليك أن تزيدنى قليلا !**

وانشقت المخلاة فى تلك اللحظة، فسقط الذهب على الأرض، وصار ترابا .. وبقى المتسول فى مكانه وليس معه سوى مخلاة فارغة ، ممزقة ، لا نفع لها !

## (( عدالة )) .. الفيل !

● **حدث** يوما أن نصب فيل ملكا على جميع الحيوانات . وكلنا نعرف ان الفيل ــ بصفة عامة ــ حيوان وادع حكيم . ولكن لكل قاعدة شواذ !.. فقد كان فيلنا طيب القلب ، حسن السيرة والسريرة ، لايفكر فى ان يؤذى أحدا قط . ومما لا ريب فيه ، انه كان على شىء من الحمق !

وفى ذات يوم، أتته الخراف الوادعة تشكو الذئاب وهجومها عليها ، وتمزيقها جلودها . فأرسل الفيل يستدعى الذئاب . حتى اذا مثلت بين يديه ، صرخ فيها قائلا : (( أيتها الذئاب اللعينة ! منذا الذى سمح لك بسرقة فراء الأغنام ؟ ))

فأجابت الذئاب : (( الا أسمح لنا بشرح الأمر ، يا صاحب الجلالة !.. لقد كان من المباح لنا ان نأخذ من الأغنام بعض الصوف لندفىء به أجسامنا فى الشتاء .. ولكننا لم نأخذ من كل خروف أمسكنا به سوى جلد واحد .. أفبعد ذلك تشكونا الخراف ؟ ))

فقال الفيل : **(( حسنا .. هذا صحيح، ولكنى أنذركم بأننى لن أسمح بظلم .. فأحذروا ان تنزعوا اكثر من جلد واحد ، عن ظهر كل خروف ! ))**

## الثرى البخيل .. الذى اشتهر بالكرم !

● **عاش** فى المدينة رجل واسع الثراء، حفلت خزانته بالملايين ولكنه لم يكن يتصدق على الفقراء بدرهم ، فكان كل امرىء

ينعى عليه شحه . وفى ذات يوم ، أراد أن يسترضى جيرانه ، فأعلن انه سيقيم مأدبة مساء كل سبت للفقراء والمحتاجين .. وانتشر النبأ ، فلما رأى الجيران أبواب الغنى مفتوحة على مصاريعها ، قالوا : « مسكين هذا الجار ! سرعان ما سيحل به الخراب ! »

**ولقد أخطأ الجيران فى رثائهم لحال الرجل ، لأنه كان يطلق كلابه المتوحشة فى ليالى الولائم ، فكان الفقراء الذين يفدون طمعاً فى القوت ، يقنعون بالنجاة بجلودهم !**

ومع ذلك فقد ظل كل امرىء يقول ان الرجل بالغ السخاء ، رغم ان كلابه كانت تصد المحتاجين عن جوده !

## الصديق المغرور .. يؤدى بصديقه الى القبور !



• **ضل** جحش أعمى طريقه وسط غابة كثيفة ، وقد جن الليل ، فوقف المسكين بين الأشجار خائفاً ، لايدرى أيذهب

يمينا أم يذهب يسارا .. وشاء الحظ ان تكون ثمة بومة على مقربة منه ، فتطوعت لأن ترشده . وكل امرىء يعلم مقدرة البومة على الرؤية فى الظلام .. ولذلك فقد كان بوسعها ان ترى الأحراش والجداول والحفر والطرق الوعرة والدروب السهلة ، كما نراها نحن فى وضح النهار !

وقبل أن يطلع الفجر ، كانت البومة قد أفضت بالجحش الى طريق الأمان .. فكيف يفارق أحد مثل هذا المرشد الطيب ... لذلك توسل الجحش الى البومة ان تمكث معه ، لتهديه خلال النهار .. ووافقت البومة ، فقبعت فوق ظهر الجحش فى عجب وخيلاء ، وكأنها السيد الحاكم بأمره .. وهكذا انطلق الصديقان فى طريقهما !

**وعندما اشرقت الشمس ، بدأ نورها يغشى عينى البومة ، وتعذر عليها الابصار ، ولكنها كانت من الغرور بحيث أبت ان تفرط فى مركزها الجديد رغم انها لم تعد صالحة لأن تقود الجحش** .. وفجأة ، صاحت فى الجحش : « حذار ! .. اذا انحرفت الى اليسار فسوف تهوى فى بركة ماء ! »

وأسرع الجحش ينحرف الى اليمين، واذا به يسقط فى هوة سحيقة ، فيلقى حتفه !

## الضجيج .. ليس دليل النفع !

• **انطلق** برميلان فى الطريق ، وقد امتلأ أحدهما خمرا ، بينما سار الآخر فارغا . وكان الأول يتدحرج ببطء هادئا .. أما الثانى فكان يقرقع ويجلجل، محدثا ضجة كقصف الرعد، حتى ان المارة كانوا يفسحون له الطرقات منزعجين

ومع ان الناس لم ينتبهوا الى البرميل الصامت ، الا انه كان أعظم قيمة « من زميله » الصاخب المدوى !

## المكنسة .. القذرة !

• **احتسى** خادم فضلة من خمر لعبت برأسه ، فأخذ مكنسة قذرة وشرع ينظف بها ملابس سيده !

وتاهت المكنسة فخرا بما أصبحت تستخدم فيه ، فطفقت تعمل بكل شدة. ولما كانت محملة بالأوساخ، فانها كانت تزيد الملابس اتساخا ، كلما ازداد احتكاكها بها شدة !

## البجعة والسمكة والسرطان .. لا تتعاون فى عمل !

• **اتفقت** بجعة وسمكة وسرطان ـ ذات يوم ـ على جر عربة محملة . وأخذت كل منها تبذل قصارى جهدها ، فلم تزحزح ثلاثتها العربة عن مكانها ! .. فكيف كان ذلك والحمل فى الواقع جد خفيف ؟

ان السبب بسيط : كانت البجعة تحاول الطيران الى أعلى، والسمكة تجر فى اتجاه النهر ، بينما كان السرطان يسير الى الخلف !

## من الأفيد للفلاح : الحصان أم الكلب ؟!

• **عاش** كلب وحصان معا فى منزل أحد الفلاحين ، وخدما سيدهما سنين طويلة . وذات يوم اختلفا فى تقدير أيهما اكثر نفعا ، فقال الكلب : « خفف من غلوائك أيها الحصان. لو كان الأمر بيدى لأخرجتك من المزرعة ، فليس لك من عمل سوى جر المحراث أو العربة نهارا .. **أفهذا كل ماتفخر به ؟ .. كيف تجرؤ على أن تقيس عملك بعملى ؟ .. اننى لا أستريح ليلا ولا نهارا ، فأنا بالنهار أحرس الأغنام والماشية فى الحقل ، وبالليل أحرس البيت » .**

فأجاب الحصان فى رزانة وثبات : « بالصواب نطقت، فأنت تقوم بالحراسة ليلا ونهارا. لكن تذكر أنه ما لم أجر أنا المحراث، لما وجدت أنت ما تحرسه ! »

## الصخرة التى تجهل قيمة المطر !

• **قالت** الصخرة : « عجبا للناس ! ما هـذه الضجة التى يثيرونها من اجل ذاك المطر الذى انهمر ؟ . . **انه لم يمكث سوى ساعات قلائل ، ولكنهم مع ذلك لا يكفون عن الحديث عنـه ، وكأنه بركة حلت بالارض ! اما انا فقـد مكثت قرونا فى مكانى وادعة متواضعة ، فلم يفكر أحد فى ان يشكرنى . . انه لغبن فادح ! »**

وسمعتها نملة ، فصاحت : « كفى عن هذا التذمر الأخرق ياصخرتى ، فان المطر ـ وان لم يمكث الا قليـلا ـ قد سقى زرع الفلاح بعد اذ اوشك ان يذوى ظمأ . . اما انت ، فانك لم تبذلى نفعا خلال القرون الطويلة التى مكثتهـا على سطح الأرض ، ومن ثم فلا يدين لك الفلاحون بشىء يشكرونك من أجله ! »

## الدب . . وخلايا النحل !

• **انتخبت** الوحـوش الدب ليعنى بخـلايا النحل ، عندما أقبل الربيع . . ولو انهم تذكروا شغفه بالشهد لاختاروا من هو خير منه !. . ولكن منذا الذى يتوقع الحكمة من الوحوش ؟ . . كما ان تفقد الخلايا ليس بالمهمة التى تروق لكل فرد !

وتقبل الدب المهمة راضيا . ولكن سرعان ما ارتفع الضجيج وعلا الصخب . فقد حمل الدب جميع أقراص العسـل الى بيته .

**واحتكمت الحيوانات المحنقة الى القضاء ، ففصل القـاضى الدب من منصبه ، وحكم عليه بأن يمكث الشتاء كله فى وكره لا يبرحه . . ولم يذكر شيئا عن العسل !**

وهكذا قضى الدب الشتاء فى بيته سعيدا ، يلعق العسـل ، ويمنى نفسه بأقراص جديدة فى فصل الربيع !

## مالك الذهب حكيم .. ولو كان أرعن !

• **كانت** « غرارة » خاوية ملقاة بجانب أحد الأبواب، لا تلقى اكتراثا من أحد ، بل كان الخدم يمسحون فيها أقدامهم كلما دخلوا البيت ..

وجاء يوم رأى فيه سيد البيت أن يستخدم تلك «الغرارة» لغرض آخر ، فأمر باحضارها وغسلها جيدا .. ثم ملأها بما كان لديه من ذهب ووضعها داخل خزانة مكينة ، فعزت بعد هوان ، وسعدت بعد بؤس .. وما كان لنسمة ان تهب عليها، ولا لذبابة أن تقترب منها !

**وذاع خبر تلك «الغرارة» فى المدينة كلها، فجرى ذكرها على كل لسان ، وأصبح الزائرون يربتونها بعطف ورقة ، ويرمقونها بنظرات التبجيل والاحترام . حتى اذا ما فتحت فى حضرتهم وأبصروا محتوياتها ، اثنوا عليها عاطر الثناء.. فركبها الغرور، وشمخت بأنفها ، وتعالت على كل شىء سواها ، فأصبحت تدلى برأيها .. تتكلم عن هذا وتتحدث عن ذاك ، وتصدر احكامها على غيرها .. فهذا ماهر ، وذاك غبى ، وما الى ذلك !**

وكان جميع من يقفون حولها يصغون اليها بانتباه ، فقد كانت ــ رغم خطل آرائها ــ تضم ذهبا وفيرا

ثم حان اليوم الذى استخرجت فيه من « الغرارة » آخر قطعة ذهبية ، فطرحت جانبا كما كانت من قبل ، ولم يعد احد يعيرها التفاتا !

## الطحان الأحمق !

• **بدأ** الماء يتسرب من ثقب صغير فى خزان الطحان . ولو ان الرجل عالج الثقب من البداية، لما نشأ عنه أى ضرر . ولكنه لم يعن بالثقب الصغير وتركه ، فأخذ يتسع شيئا فشيئا ، ويزداد انسياب الماء خلاله .. فاذا قال أحد للطحان : « انتبه! يجب ان تبادر الى اصلاح الخزان !» ، هز كتفيه وقال متثائبا:

« لا بأس ! لست بحاجة الى بحر من الميــاه .. ان لدى منها ما يكفيني طيلة حياتي »

**وفى ذات ليلة ، كان الطحان ينام ملء جفنيه ، واذا بالمـاء يتدفق من الخـزان كالسيل الجارف ، فوقع المحظور : لقـد توقف حجر الطاحون عن الدوران، فتعطل العمل فى المطحن .. وهب الطحان من نومه وهو يتميز غيظا وكمدا، واخذ يفحص الخزان ، ويفكر فى طريقة يمكن بها ايقاف ذلك التيار الجارف، بيد ان الزمام كان قد أفلت من يده !**

وبينما هو فى تفكيره ذاك ، أقبلت دجاجة لتشرب من الماء ، فصاح الطحان فى غضب : « أيتها الدجاجة الحمقاء ، ألا ترين ان هذا هو كل ما تبقى لى من الماء ، أفترغبين فى شربه؟ » .. ثم أمسك بقطعة من الخشب وهوى بها على الدجاجة فقتلها ، وكذلك فعل بكل دجاجة حذت حذوها !

وماذا يجدى هذا ؟.. لا أحـد يعلم ! لقـد فقد الطحان دجاجاته ، كما فقد ماءه وطاحونه !

## النصائح .. لا تجدى !

• **تسلل** لص ذات ليلة الى بيت قـروى ، فسرق كل ما وقعت عليه يداه. واستيقظ القروى فى الصباح ، فألفى نفسه فقيرا معدما.. ولم يجد فى محنته سوى ان يلجأ الى أصدقائه، ويطلب منهم العون . فأخذ كل واحد منهم يقـدم له نصيحة رائعة . قال احدهم : « لماذا كنت تتباهى بثرائك ؟.. ما هذا من الحكمة فى شيء ! ». وقال الثانى : « يجب أن تنام مستقـلا بجانب مخزن أمتعتك ! » .. واقترح الثـالث : « أن أفضـل ما تعمـله هو ان تقتنى كلبـا للحراسة .. ان لدى جـروين سأهديك أحدهما .. فلئن أقدمه لجار طيب ، خـير من ان أغرقه فى النهر ! »

وهكذا تباروا فى اهداء النصائح ، ولكن احدا لم يفكر فى ان يفتح كيس نقوده !

## عندما أصبح الثعلب قاضيا !



• **شكا** فلاح سرقة فرخين من دجاجه ، واتهم خروفا بالسرقة.. ثم رفع الأمر للقضاء، وكان الثعلب هو القاضي !

وروى الفلاح كيف انه افتقد الفرخين في ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام ، فلم يجد منهما سوى العظام والريش.. وكان الخروف هو المخلوق الوحيد الذى شاركهما الحظيرة!

ودافع الخروف عن نفسه قائلا انه قضى الليل بطوله وهو نائم ، واستشهد بجميع الجيران على انه لم يقدم قط على مثل هذه السرقة ، ولا ارتكب اثما . فضلا عن انه لم يذق اللحم فى اى وقت من الأوقات

وأنصت الثعلب ، ثم أصدر حكمه قائلا: « **لايسعنا ان نقبل أعذار الخروف ، فان جميع الأشرار يحذقون انكار آثامهم . لقد كان الخروف مع الفرخين فى الليلة المذكورة ، وما كان بوسعه ان يقاوم الاغراء ، فكل امرىء يعرف ما للحم الدجاج من طعم لذيذ !**.. لذلك أحكم على الخروف بالاعدام ، على ان تستولى المحكمة على جسمه . أما صوفه ، فيعطى للفلاح ! »

## العمل النافع وحده .. هو الذى يستحق الثناء !

• **اعتاد** فلاح ان يقبل على حرث حقله فى ساعة مبكرة ، فيظل يومه فى عمل مرهق ، حتى يتصبب جبينه عرقا. وقد عرف عنه جيرانه هذا الاجتهاد ، فكانوا اذا مروا به ينادونه فى ود ، ويصيحون : « ليكن الحظ الحسن عونا لك ! »

وسمع قرد ما كان يقال فى مديح الفلاح ، فتاق الى ان

يحظى هو الآخر بالثناء، وعول على ان يعمل كى يقف الناس اذا مروا به — ويبدوا اعجابهم بمهارته !

**لهـذا بحث القـرد عن كتلة ضخمـة من الخشب ، وأخذ يدحرجها هنا وهناك طول النهار ، حتى بلل العـرق جسمه وشعره ، ولكن أحدا لم يجد عليه بكلمة اطراء واحدة ، فضاع تعبه سدى !**

لا تعجب ياسيد قرد .. ان عملك مضن حقا، ولكنه لاينفع أحدا !

## لا سلام للذئاب .. ما دامت فى أفواههم الأنياب !

• **وقف** طائر « الوقواق » يغرد على غصن شجرة — ذات صبح — فأقبل اليه الذئب وناداه من أسـفل الدوحة قائلا : «وداعا ياصديقى كوكو. لقديئست من ان اجد السلام والبهجة فى هذه الغابة .. فالحيوانات تكرهنى وتنفر منى كما لو كنت عدوها اللدود » .. فسـأله الوقواق : « والى أين أنت ذاهب ياسيدى الذئب ؟ »

**— الى مكان قصى، رجاله فى وداعة الحملان ، وكلابه لاتنبح فى وجوه الذئاب ، وحيواناته تعيش جميعـا فى سلام ووئام ! تصور — أيها الصـديق — كم سأصبح سـعيدا فى تلك البلاد الجـديدة .. لن أظل مختفيا فى المخابىء نهـارا ، ولن أحرم نعمة النوم ليلا !**

— أتمنى لك رحلة موفقـة ياسيدى الذئب ، ولكن أنبئنى : هل عـزمت على ان تخلف وراءك أسنـانك الحـادة وعاداتك القديمة ؟

— ما هـذا الهراء ؟ .. كلا ، بالطبـع .. يجب ان آخـذ أسنانى معى !

— اذن أقولها كلمة وستعر ف صدقهـا : لن تجد سلاما فى الأرض الجديدة !

## يتحاسبون .. والنار مندلعة حولهم !

• **أثرى** ثلاثة من التجار بعد ان اشتركوا معا فى تجارة لبضع سنوات ، فخطر لهم يوما ان يتقاسموا الأرباح ، وهى مهمة قل ان تتم دون خلاف .. وفيما كان التجار الثلاثة فى جدال بصدد نصيب كل منهم ، اذا بصيحة تنبعث مدوية : « حريق ! »

وصاح واحد منهم : **« هلم ننقذ بضائعنا ومتجرنا ، ففى وسعنا ان نسوى حسابنا فيما بعد »**

فصاح الآخر : « لن أبرح مكانى حتى توافقا على اعطائى تلك الألف التى أطلبها ! » . وقال الثالث : « ان ما اعطيتمانى يقل عما استحق بثلاثة آلاف ، فأرجعا الى الدفاتر تجدا اننى على حق ! »

ـ هراء !.. كيف قدرت نصيبك على هذا النحو ؟.. اننا لن نقبل طلبا كهذا

وظل الثلاثة فى جدال ، ناسين ان هناك حريقا، حتى أحاطت بهم النار ، وعزت عليهم النجاة، فاختنقوا بالدخان وهلكوا بين بضائعهم !

## النبيذ .. والعادات القبيحة !

• **سأل** رجل جاره ان يعيره دلوا لبضعة أيام ، ولم يكن لدى الجار سوى دلو يستخدمه فى نقل الماء ، ولكنه لم يتردد فى ان يقدمه لجاره .. فما لبث هذا ان رده بعد أمد وجيز ، وقد ملأه ماء ، جريا على عادة القوم

على ان صاحب الدلو لم يكد يتناول بعض الماء ، حتى ألفى له طعم النبيذ ، فسكبه ، وترك الدلو فترة فى الهواء ، ثم غسله ولم يدع طريقة لتنظيفه الا اتبعها ، ولكن دون جدوى . **فقد ظل طعم النبيذ عالقا بالدلو ، فاضطر ـ فى النهاية ـ الى ان يستغنى عنه**

وجدير بالآباء أن يتذكروا هذه القصة .. فان الأطفال اذا تعلموا عادة قبيحة ، ظل أثر منها عالقا بنفوسهم مدى حياتهم!

## السارق يسرق .. ولو بعد حين !

• **سرق** الذئب خروفا وانطلق به الى بقعة منعزلة عن الغابة ، حيث انقض عليه فمزقه اربا ، وشرع يلتهمه فى نهم ، ويطحن عظامه بأنيابه .. ولكنه - رغم جوعه - لم يأت عليه فى وجبة واحدة ، بل احتفظ بما تبقى لعشائه ، واستسلم لاغفاءة بعد هذه الأكلة الدسمة !

وبينما كان الذئب نائما ، تسلل فأر بين الأشجار ، فشم رائحة اللحم الطازج ، واذا نفسه تشتهى مذاقه . فما كان منه الا ان استولى على شريحة ، وانطلق بها مسرعا الى جحر فى جذع شجرة .. ولكن الذئب استيقظ فى تلك الأثناء فرآه ، وفى الحال اطلق صراخا تردد فى جنبات الغاب : **« قف أيها اللص !.. النجدة !.. لقد خرب بيتى .. لقد سرق كل ما أملك ! »**

وهكذا ينسى السارق ذنبه - وان عظم - ويقيم الدنيا ويقعدها اذا ما سطا احد على نذر من بقايا سرقته !

## الملق لايغير من الواقع شيئا !

• **التقى** الديك بالوقواق فى غابة ، فبادره قائلا : « كثيرا ما تمنيت ان أعرب لك - ياعزيزى الوقواق - عن اعجابى بصوتك .. وكم اطرب لعذب انغامك ، حتى لأتمنى أن أقضى العمر أصغى لشدوك ، فليس فى الغاب بأسره من يصدح مثلك ، ولا أكاد أطيق صبرا اذا أنت كففت عن الشدو ! »

فأجابه الوقواق : « شكرا ياصديقى العزيز .. وجدير بى

ان أنبئك بأننى دائما ما أطرب لصياحك، وأعتبر صوتك أجمل ما سمعت من أى طائر ! »

وهنا قال عصفور كان ينصت الى حديثهما : **« ان لكما ان تتبادلا المديح حتى يبح صوتاكما، ولكن هذا لن يغير من الواقع شيئا .. فليست لغنائكما اية قيمة ! »**

فلماذا تملق الوقواق الديك؟ .. السبب واضح، فان الديك قد سبق الى تملق الوقواق !

---

الجريمة..
والعقاب



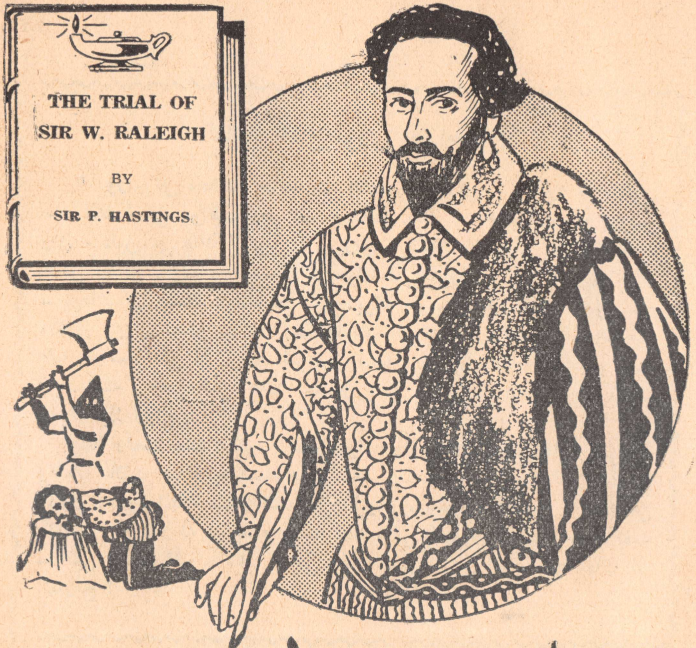
المحاكمات
الكبرى
في الماضي والحاضر

عزيزى القارىء

قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة ملكة الجمال الباريسية ، فمحاكمة السفاحين (( بيرك )) و (( هير )) ، ثم محاكمة (( سقراط )) .. ومحاكمة (( آن بولين )) ، فمحاكمة (( دريفوس )) .. ومحاكمة (( ستافسكى )) .. ثم محاكمة (( مرجريت فهمى )) ، فمحاكمة ملك انجلترا (( شارل الاول )) ، فمحاكمة قاتل راسبوتين .. ثم محاكمة (( لويس السادس عشر )) .. ومحاكمة قاتل عشيق زوجته .. و (( جريمة درب العشاق )) ، ثم (( جريمة حارة التونى )) ، واخيرا محاكمة المتآمرين على حياة (( رمسيس الثالث ))

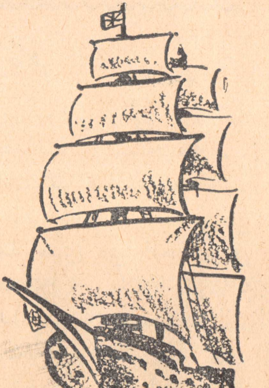
واليوم أقدم لك المحاكمة التى جللت القضاء الانجليزى بالخزى والعار !

وفى الأعداد القادمة تقرأ معى فى هذا الباب مزيدا من القضايا والمحاكمات الشائقة ، سواء من الغرب أو الشرق




# محاكمة
# سير ولتر رالى

المغامر الذى "عشقته" الملكة اليزابيث،
وأعدمه خليفتها الملك جيمس الأول!



للمؤرخ الانجليزى سير باتريك هيستنجز

## الذكاء الذى أودى بصاحبه !

◆ وراء كل محاكمة خالدة فى التـاريخ قصة .. وكثيرا ما تنطوى هذه القصة على عواطف وطرائف لا تخطر ببال .. وقصة « سير وولتر رالى » دليل على ذلك . فقد كان « رالى » خليقا بأن يعيش حياته مغامرا خامل الذكر ، وشاعرا مغمورا ، ومؤلفا غير معروف ، لولا أن ألهمه ذكاؤه – يوما – ان يبسط عباءته على سطح بركة ماء ، لتتمكن الملكة «اليزابيث» الأولى من ان تخطو دون ان يمسها الماء الراكد .. وكانت هذه المجاملة البارعة سببا فى ان قربته اليزابيث منها ، وأنزلته مكانة لم تؤثر بهـا رجلا قبله ، وهى التى كانت تتشدق بأنها « تزوجت العرش » ، فظلت عمرها بلا زواج !

ولقد رفعت هذه الحظوة « سير وولتر رالى » الى ذروة الجاه والثراء ، ولكنها ملأت حياته بسلسلة من المتاعب والمصائب ، كانت الغيرة سببها الأول : غيرة الملكة عندما أقدم على الزواج ، وغيرة الحاسدين لما بلغه من مكانة .. ثم قدر له ان يدفع رأسه ثمنا ، فى النهاية !.. وكانت محاكمته – التى يقدمها لك « كتابى » فى هذا الفصل – من أغرب المحاكمات فى التاريخ !

## حياة باهرة .. وموت « باهر » !

◆ **لعل** أبرز الظواهر فى حياة « سير وولتر رالى » ، أنها كانت مليئة بالارتفاعات الشاهقة والانخفاضات السحيقة .. أو مايمكن ان نسميه – تجاوزا – ب « المطبات » الشديدة !.. كانت حياة مفعمة بكل طريف ، اذ قدر لصاحبها أن يبدى من الحذق فى القبض على سيفه ، بقدر ما أبدى من الحذق فى القبض على قلمه .. فقد كان جنديا مظفرا ، وملاحا بارعا ، كما كان سياسيا قديرا ، وشاعرا مجيدا ، وروائيا مبدعا .. وكان مفطورا على حب المغامرة ، وعلى الجرأة والاقدام ، كمـا كان وسيما ، مكتمل الرجولة . وأكسبته هذه الميزات وتلك

حظوة لدى الملكة اليزابيث لم ينلها قبله انسان ، ولكنها ــ فى الوقت ذاته ــ كانت نقمة عليه ، اذ انتهت به الى أتعس ميتة !

وكما بهرت حياة « وولتر رالى » المجتمع الانجليزى ، فكذلك بهرته وفاته ، اذ جاءت نتيجة محاكمة من أغرب المحاكمات التى حملها الينا التاريخ .. **محاكمة أسفرت عن الحكم عليه بالاعدام ــ بوصفه خائنا ــ دون ماقرينة تؤكد ذنبه ، ودون ما استناد الا الى مالفقه له غرماؤه .. ولكن الملك جيمس ــ الذى خلف اليزابيث ــ عفا عنه ، واستبقاه سجينا فى « برج لندن » ، معتقل الامراء وعلية القوم ..** وفى هذا السجن قضى سير وولتر اثنتى عشرة سنة ، ثم أطلق سراحه فى ظروف لاتقل غرابة عن ظروف محاكمته .. أطلق سراحه لمجرد رغبة الملك فى ايفاده ليبحث له عن مورد للثروة !

ولكن الموت بسيف الجلاد كان يكمن له بالمرصاد ، اذ انتهى مصيره الى تنفيذ الاعدام فيه ، لأنه أخفق فى العثور على الثروة التى كان ينشدها جيمس !

## يتزوج دون اذن الملكة .. فيسجن وعروسه !

• **ولد** سير وولتر رالى فى سنة ١٥٥٢ . ويبدو أنه كان مفطورا على حب المغامرة ، وعلى الشغف بالسيف وبالعلم وبالقلم معا . فقد قضى سنوات وهو يحارب فى فرنسا ــ فاكتسب صيتا عريضا كجندى شهم ــ ثم تحول الى دراسة القانون ، وأخذ يقضى فراغه فى نظم الشعر . بيد انه لم يلبث ان ارتد الى الجندية ، واشترك فى حروب دارت فى ايرلندا ، فأبدى فيها من الشجاعة والاقدام ما أذاع صيته . وما ان بلغ الثلاثين ، حتى كان قد استقر فى لندن ، واتجه الى السياسة فحالفه

التوفيق فيها ، واستطاع أن يكتسب حظوة لدى الملكة اليزابيث الاولى

وعلى الرغم مما كان يقال من ان اليزابيث وهبت نفسها لمنصبها ، و « تزوجت العرش » ، الا ان الشائعات كانت تتناثر عن غراميات لها .. **وقيل ان باب الهوى هو الذى أفضى بسير وولتر رالى الى المكانة التى اكتسبها لديها ! وقد ساعد على تأكيد ذلك ، ماحدث حين اقدم الشاب على الزواج دون ان يستأذن الملكة ، بل دون أن يخبرها .. فقد أعلنت موقفها ازاء تصرفه هذا ، بأن زجت به وبعروسه فى سجن « برج لندن » !**

وكانت هذه النقمة كفيلة بأن تقضى على الشاب المغامر ، لولا أن لان قلب اليزابيث له من جديد . وسجل التاريخ ـ اذ ذاك ـ ان « الحكمة » تفوقت على « الهوى » لدى « الملكة العذراء ! »، فأفرجت عن الشاب من أجل الصالح العام .. فقد حدث أن قام فى (دارتسماوث) شغب خطير ، اثاره ملاحو البارجة «ديفون»، احتجاجا على ما رأوه من غبن واقع عليهم عند توزيع الاسلاب التى كانوا قد غنموها من احدى السفن البرتغالية الكبيرة .. وعند ما اخفق المسئولون فى قمع الشغب ـ قبل ان ينقلب الى ثورة جائحة ـ تذكروا ان ملاحى «ديفون» كانوا يتعلقون بسير وولتر رالى ويكادون يعبدونه ، ومن ثم



رأت الملكة أنه خير من يهدىء هياجهم .. وصح ماتوقعت ، فاسترد المغامر الشاب مكانته وحظوته لدى اليزابيث !

## يرحل الى الدنيا الجديدة .. بحثا عن مدينة الذهب !

• **وتعتبر** هذه الفترة أزهى فترات حياة سير وولتر رالى ، وقد عاد – خلالها – يخصص جزءا من وقته لتلك المغامرات التى اقترنت باسمه . ولعل أروعها ، وأشبهها بالخيال ، هى تلك التى حملته الى أمريكا بحثا عن الذهب !.. فقد تناهت الى علمه أسطورة تزعم وجود مدينة مسحورة فى ( جيانا ) ، أطلق عليها البعض اسم ( مانوا ) ، وأطلق عليها بعض آخر اسم ( الدورادو ) ، أى « الرجل المكسو بالذهب » ، نسبة الى رجل كان يستحم بالذهب لفرط توفر هذا المعدن النفيس فى تلك المنطقة من الدنيا الجديدة !

ولقد ظلت هذه الأسطورة تتردد فى خيال المغامر الجرىء ، حتى حملته فى سنة ١٥٩٥ – وقد بلغ الثالثة والاربعين من عمره – الى أن يقود حملة الى مصب نهر ( اورينوكو ) بأمريكا ، بحثا عن المدينة المسحورة !.. **ومع ان الحملة باءت بالفشل ، الا أنها دعمت الفكرة الخيالية فى ذهن سير وولتر ، وجعلت منها يقينا راسخا .. على انها – من ناحية أخرى – أدت الى اضمحلال نفوذه لدى الملكة اليزابيث ، لاسيما وأنها كانت قد قربت اليها شخصا آخر ، أوفر قوة وأنضر شبابا ، هو « ايرل اسيكس » !**

ومن ثم فقد أصمت اليزابيث أذنيها عن كل رجاء لوولتر رالى ، الذى كان حب المغامرة يكوى فؤاده ، ويقض راحته ، ولا يدع له فرصة للاستقرار .. وبلغ من انصراف اليزابيث عنه ، أنها لم تصغ الى ماراح ينذرها به من خطر أسبانيا على بريطانيا !

## يدمر الأسطول الاسبانى .. فتنقم عليه الملكة !!

• **على** أن الذعر لم يلبث أن حمل اليزابيث على أن تعير انذارات سير وولتر اذنا . فما أن علمت بأن الاسبان كانوا يتأهبون بالفعل لغزو انجلترا ، حتى قفزت الى ذهنها صور الاسطول الاسبانى العظيم ( الارمادا ) ، فأذكت روح الصراع فى نفسها التى كانت الشيخوخة قد دبت اليها .. ومن ثم قررت الملكة أن تسبق الاعداء الى الهجوم ، فجهزت حملة كبيرة ضدهم . ومع أن سير وولتر رالى كان بين قادتها ، الا أنه لم يكن القائد الاول لها ، اذ عقدت الملكة لواء القيادة لمنافسه ومزاحمه .. ايرل اسيكس ، أصغر من نعموا بالحظوة لديها !

وكان الهدف الاول للحملة هو تدمير الاسطول الاسبانى الذى كان قابعا فى ( قادش ) . ولكن القائد الشاب أبى الا ان يغزو المدينة برا ، فتولى سير وولتر مهاجمة الاسطول بحرا .. **وبينما منى ايرل اسيكس بفشل ذريع ، ظفر سير وولتر بفوز باهر ، يعتبر من أعظم ما أحرزته البحرية الانجليزية فى عهد اليزابيث . ولكن النحس أبى الا ان يشوه عظمة هذا الانتصار ، اذ أقدم الاسبان على حرق السفينة التى كانت محملة بالكنوز والاموال المدخرة لاسطولهم ، فلم يقدر للانجليز أن يظفروا بأسلاب أو غنائم** . ومن ثم اعتبرت الحملة فاشلة ، رغم أنها دمرت الاسطول الاسبانى . وتبلورت نقمة اليزابيث فى الغضب على « رالى » — وليس على القائد الاول للحملة — ومن ثم لم يعد سير وولتر الى سابق حظوته لدى مولاته !

## القائد الفاشل يدس لمساعده .. « البطل » !

• **ولم** يفت كل هذا فى روح المغامر الدؤوب ، بل ظل يسعى لدى الملكة حتى أقنعها بايفاد حملة بحرية جديدة ضد الاسبان ،

اذ عاد ملك اسبانيا - فى سنة ١٥٩٧ - يبنى أسطولا جديدا لغزو انجلترا . ومرة اخرى ، قدر لوولتر رالى أن يخرج فى حرب بحرية ، ولكنه فى هذه المرة أيضا - التى كانت المرة الاخيرة من نوعها كذلك - لم يكن القائد الاول ، بل كان مساعدا لايرل اسيكس .. الشاب المدلل لدى اليزابيث !

ومن جديد ، أخفق أسيكس فى كل خطة ومحاولة ، بينما ظفر رالى - شخصيا - بانتصارات مشرفة وان لم تنقذ الحملة من الفشل !.. وقابلت اليزابيث هذه النتيجة بثورة عارمة وسخط جائح .. **ولكنها لم تصبهما على قائد الحملة ، وانما صبتهما على (( رالى )) المسكين ، بزعم أنه كان الموحى بالمشروع كله !.. ولم يكن مسلكها غريبا ، فقد راح اسيكس يوغر صدرها ضد الرجل الذى كان أثيرا قبله بالحظوة لديها .. لاسيما وقد كان فى نقمتها على سير وولتر اعفاء له - وهو المسئول الاول - من اللوم !**

والمصائب - كما يقول المثل - لاتأتى فرادى ، اذ انضم الى اسيكس فى الدس لسير وولتر رالى سياسى كان شديد الغيرة من هذا الاخير ، قويا فى عدائه له .. ذلك هو (( روبرت سيسيل )) ، الذى خلف أباه (( لورد بيرجلى )) ، كوزير للملكة !

## البطل يصبح سفاحا .. فى نظر الملك الجديد !

• **على** ان تقلب اليزابيث ، ودسائس اسيكس وسيسيل ، لم تنل كثيرا من مكانة سير وولتر رالى فى الاوساط السياسية ، فظل قطبا من أقطابها ، وواصل الرسالة التى آلى على نفسه أن يؤديها .. رسالة التنبيه الى خطر أسبانيا ، اذ كانت الغريمة الكبرى لانجلترا فى ذلك الحين . ولم تجد هذه الدعوة فى الاوساط السياسية آذانا صاغية ، بل ان أثرها الوحيد تمثل فى اشتداد عداء (( روبرت سيسيل )) لوولتر رالى !

وما لبثت اليزابيث ان ماتت ، فخلفها « جيمس الاول » على عرش انجلترا . واذا كانت اليزابيث قد اعتزت بشجاعة رجال جيشها وبحريتها ، فان جيمس كان ــ على النقيض منها ــ يكره رجال الحرب ، ويؤثر ان يكون مسالما . **لذلك فلا عجب فى أن انقلبت بطولة سير وولتر رالى ، فى نظر الملك الجديد ، الى قتل وسفك دماء !.. وبقدر ماكان جيمس مسالما ، فانه كان سهل الانقياد للوشاة والدساسين ، ومن ثم فقد سهل على « روبرت سيسيل » أن يغريه على ان يحرم سير وولتر رالى من كل المراكز السامية التى كان يضطلع بها !**

ولابد أن أعداء « رالى » العديدين ــ الذين كانت الغيرة تنهش قلوبهم ــ قد أدركوا اذ ذاك ان عهد المجد والرخاء قد انقضى بالنسبة لغريمهم .. ولكن من المحقق أن أحدا لم يخطر له ان النهاية قد تتخذ الشكل الذى أسفرت عنه الاحداث !

ففى سنة ١٦٠٣ ، اعتقل رالى بتهمة الخيانة العظمى !

## اتهام « رالى » بتدبير مؤامرة لاغتيال الملك !

• **وتكاد** القرائن التاريخية تجمع على أن المدبر الاول لهذا الاتهام ، هو « روبرت سيسيل » ، الذى كان قد أصبح رئيسا لوزراء جيمس الاول !

وكان الاتهام مؤلفا من شقين : الشق الاول بنى على مؤامرة دبرها اثنان من قساوسة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، لم يؤتيا من الذكاء قسطا يؤهلهما للتآمر .. ومن المحقق ان رالى لم تكن له أية علاقة بهذه المؤامرة !

وأما المؤامرة الثانية ، فقد دبرها « لورد كوبهام » ــ الذى كان يحمل لقب « حارس الموانىء الخمس » ــ وقيل انها كانت تتضمن اغتيال الملك !.. ولم يكن ثمةماينم عن أية علاقة لرالى بالامر ، سوى خطاب أرسله الى « سيسيل » وذكر فيه

أنه كان يلتقى أحيانا بلورد كوبهام ، فاذا بهذا الخطاب يوقظ قوى الخبث والدهاء لدى رئيس الوزراء ، ويوحى اليه بحيلة طالما استخدمت لانتزاع الاعترافات من المتهمين بالخيانة .. **فقد عمد (( سيسيل )) الى ايغار صدر كوبهام ، بأن زعم له ان (( رالى )) قد اتهمه بأنه المدبر الاصلى للمؤامرة !.. وأثار هذا الزعم حنق كوبهام ، فشاء أن يدفع الاتهام عن نفسه ـ فى سورة الغيظ ـ فاتهم رالى بأنه هو المحرض الاول ، والمدبر الوحيد للمؤامرة !**

واذ نمى هذا الى « رالى » ، أدرك لفوره أهمية حمل اللورد كوبهام على ان يدلى بالحقيقة كاملة .. وكان « كوبهام » اذ ذاك سجينا فى « برج لندن » ، فى حين أن « رالى » لم يكن قد اعتقل بعد . ولم تكن ثمة وسيلة للاتصال بنزيل البرج ، ولكن ذكاء « رالى » الخارق أوحى اليه بأن يلف رسالة حول ثمرة من ثمار الفاكهة يلقيها خلال نافذة سجن « كوبهام » !..



وأفلحت الحيلة، وتلقى السجين رسالة رالى التى ناشده فيها ان يسحب الاتهام الكاذب الذى عزاه اليه ، وان يجهر بالحقيقة فيما يتعلق بعلاقته بهذا الاتهام. **فكتب كوبهام ـ ردا على ذلك ـ رسالة طويلة تحايل بدوره على ارسالها الى رالى ، وقد اقر فيها بان اتهامه اياه لم يكن ينطوى على كلمة حق واحدة ، وانما كان من وحى الغيظ والانفعال .. وذكر انه نادم على ما بدر منه !**

## الخصم الذى رضى بأن يحاكم خصمه !

• **وما** ان استحوذ رالى على هذا الاعتراف الذى كتبه كوبهام بخطه ، والذى فضح فيه سراتهامه ، حتى أحس بأن فى وسعه أن يواجه اعداءه فى قوة وثقة .. ولكن المغامر السياسى ، كان كذلك شاعرا .. والشعراء يهيمون فى الاحلام ، فلا يقدرون مافطرت عليه بعض النفوس من شر !.. **بل ان أحلام رالى قصرت عن أن تتصور مدى مرارة الحقد الذى انطوت عليه جوانح « سيسيل » نحوه ، ولا مدى كراهية الملك له .. الكراهية التى تولدت عن وشايات سيسيل ودسائسه !**

لذلك كانت الصدمة قاسية على رالى عندما ألفى نفسه يعتقل ، ثم يقدم للمحاكمة أمام أربعة قضاة ، وعدد من المستشارين – كان أكثرهم ممن يكنون له أعنف العداء – وروبرت سيسيل نفسه !.. وتولى النائب العام « كوك » عرض القضية فى براعة فائقة .. فان غياب القرائن الثابتة جعله يعمد الى البلاغة والتلاعب بالالفاظ ، فراح ينعت المتهم بأنه « خائن خبيث عريق فى الخيانة » .. وانه « شخص مقيت ، تكرهه انجلترا كلها بسبب الخيانة الافعوانية اللئيمة » !

والى هنا كان رالى لايزال يحلق فى أحلام الشعراء ، مطمئنا الى الدليل المادى الذى حصل عليه من كوبهام ، فما لبث أن أبرز الرسالة التى سحب فيها كوبهام اعترافه ووصفه بمجافاة الحقيقة . **ولكن « كوك » طعن قيمة هذا الدليل ، زاعما ان الرسالة انتزعت من كوبهام بالضغط وبوسائل غير شريفة ولا مشروعة !** والواقع ان الذين حضروا محاكمة رالى ، استطاعوا ان يتبينوا بجلاء ان ادانته كانت أمرا مقررا من قبل ، مهما تكن أسباب الدفاع التى يثيرها !

## حكم بالاعدام .. يجلل القضاء الانجليزى بالخزى !

• **وهذا** ماحدث بالفعل . فبعد ان اتخذت المحاكمة مجراها — ذرا للرماد — قضى بادانته ، وحكم عليه بالاعدام ، وبأن تمزق جثته اربا !.. ولعل أصدق وصف لهذه المحاكمة ، هو هذا الذى صدر عن أحد القضاة الذين اشتركوا فيها ، اذ صرح قبيل موته — ارضاء لضميره — بهذه العبارة : **(( لم يجلل القضاء الانجليزى بالخزى قط كما جلل فى محاكمة السير وولتر رالى)) !**

على ان الحكم الذى صدر لم يكن خاتمة هذه المحاكمة العجيبة .. فقد رأى الملك جيمس — لسبب قد لايتسنى معرفته أو تبريره فى أى عصر — ان يعفو عن المسجونين السياسيين فى ذلك الوقت .. وأمر بايداع رالى سجن « برج لندن » بقية حياته !

**ولعل الاعدام كان أرحم وأفضل لرالى من هذا العفو .. فقد قدر له ان يقضي اثنتى عشرة سنة من عمره فى ((زنزانات)) البرج الرطبة الموبوءة !..** وفى تلك الاعوام الاثنى عشر ، كتب رالى أعظم مؤلفاته : « تاريخ العالم » !.. وظلت روحه الدؤوب على نشاطها — رغم السجن — فلم تكف عن العمل والابتكار ، بعد أن أبى الامل فى استرداد حريته أن يتخلى عنه ، حتى فى أحلك ساعاته !

## السجين يلوح للملك بذهب أمريكا .. من سجنه !

• **وفى** سجنه ، استطاع رالى ان يفكر بشىء من الواقعية ، فيدرك ماطبعت عليه نفس جيمس الاول من جشع ، ومن تقلب .. واوحى اليه تفكيره بأن يستغل هاتين الصفتين فى استرداد حريته !.. وكانت فكرة المدينة المسحورة لاتزال راسخة فى

ذهنه ، رغم كل مامر به من محن ، فسعى حتى رفع الى جيمس مشروعا التمس ان يسمح له بأن ينفذه بنفسه .. ولم يكن ذلك المشروع سوى : البحث عن الذهب الذى ذكرت الاسطورة القديمة أنه دفين على مقربة من نهر ( أورينوكو ) فى أمريكا .. **ولكى يضاعف من اغراء الملك على الموافقة ، تعهد فى مشروعه بأن يتولى الانفاق من جيبه الخاص على البعثة ، وبأن يكون الذهب الذى يعثر عليه من نصيب الملك وحده !**

ولم يجد جيمس من اعتراض على المشروع ، سوى ان الحكومة الاسبانية لن تحجم عن ان تقاوم ما استطاعت أية محاولة لمغامر انجليزى فى السطو على منطقة كانت تعتبرها من املاكها .. فقد كانت اسبانيا تفرض نفوذها ــ فى ذلك الحين ــ على أمريكا الجنوبية !

على ان جيمس مالبث ، بعد طول تردد ، ان قرر ان النفع المرتقب من وراء المشروع يفوق الاخطار التى كانت تحف به ، وانه لن يخسر شيئا من جراء المحاولة ، بل من المؤكد ان يفيد منها اذا هى كللت بالنجاح !

## الملك يوافق .. والمغامر يبدأ مغامرته !

• **وفى** مارس سنة ١٦١٦ ، اصدر الملك جيمس أمرا بالسماح لوولتر رالى بأن يغادر « برج لندن » ، وبأن يرحل الى الخارج تحت الحراسة ، على ان لايعتبر هذا عفوا عنه أو اعفاء من العقوبة ، بل يظل رالى « خائنا مدانا » معرضا للقبض عليه فى أية لحظة ، واعادته الى السجن !

ولعل رالى لم يكن ليطمع فى أكثر من ذلك ، فقد تقبل هذه الحرية المنتقصة ، وارتضى القيود التى أحيطت بها .. وشرع فى المغامرة التى تعتبر أكثر مغامرات التاريخ غرابة !.. وكان اذ ذاك فى السادسة والستين من عمره ، ولكن هذه السن لم

تقعد به عن اعداد وقيادة مشروع كان أقل مايوصف به ان كل الاحتمالات التى تحيطه ليست فى صالح القائم به على الاطلاق !

واستطاع رالى أن يجد من الأصدقاء الباقين على الود من ساعدوه على تدبير مبلغ كاف من المال لمشروعه ، فشيد سفينة خاصة له ، وحشد أسطولا مؤلفا من اثنتى عشرة سفينة أخرى ، يعمل عليها مايقرب من ألف رجل

ومن الطريف أن رالى أطلق على سفينته ــ سفينة القيادة ــ اسم « المصير » ، اذ كان مصيره معلقا بنتائج مغامرته !

## المصائب .. فى ركاب الباحث عن الذهب !

• **وقد** لايكون من المهم هنا ان نورد فى اسهاب ذكر هذه المغامرة ، اذ يكفى ــ فى هذا الصدد ــ ان نذكر ان النحس قد حالفها منذ مطلعها .. فقد أبحر رالى وأسطوله فى منتصف سنة ١٦١٧ ، فاذا بهم يلتقون بطائفة من معاكسات القدر ، كانت كافية لان تحطم عزيمة أى رجل غير سير وولتر رالى .. فهو لم يكن منطلقا لاداء خدمة لمليكه فحسب ، وانما كان فى طريقه الى اشباع هواية متغلغلة فى أعماقه ــ وهى المغامرة وركوب الاخطار ــ ولتحقيق فكرة أحالها الزمن الى عقيدة راسخة فى نفسه ، وهى فكرة العثور على ذهب « الدورادو » .. ثم انه ــ فوق هذا وذاك ــ كان يدرك ان حريته واسترداد مكانته وكرامته متوقفان على هذه المغامرة !

وتوالت المصائب عليه : فقد أصيب بحمى كادت تورده حتفه . كما ان ملاحيه كانوا كثيرى التمرد ، وأثبت ضباطه أنهم غير أهل لأن يثق بهم أو يعتمد عليهم .. حتى اذا بلغ نهر ( اورينوكو ) ــ فى النهاية ــ وجد نفسه مضطرا الى ان يشتبك فى صراع مع الاسبان .. **وكأنما لم يكتف القدر بكل هذه**

**الكوارث ، فأضاف اليها ألوانا اخرى : اذ فشل رالى فى العثور على المنجم المنشود ، كما فقد ابنه الحبيب فى أثنـاء الحملة .. ثم توج الاخفاق كل صراع بينه وبين الاسبان وأهل المنطقة !**

ولم يجد ـ فى النهاية ـ بدا من ان يقرر العودة الى انجلترا ، لاسيما وان ضباطه أخذوا يتخلون عنه ويهجرونه تباعا ، كما ان رجاله أمعنوا فى التمرد عليه

## تنفيذ الاعدام .. بعد ١٥ سنة من صدور الحكم !

• **وفى** منتصف سنة ١٦١٨ ـ اى بعد عامين من بدء الرحلة ـ تسللت الباخرة « المصير » الى ميناء ( بلايموث ) ، وحيدة ، مهجورة .. وأقبل أصـدقاء رالى وزوجته يستحثونه على الفرار الى فرنسا ، لينجو من نقمة الملك جيمس . **وهنا تتكشف ناحية جديدة من نفسية الرجل ، فقد أبى ان يختم حياته بعمل ينطوى على النكث بالوعد ، وعلى الجبن والغدر ، بل رحل الى لندن وهو بلا حول ولا نصير ، ورغم ماكان قد عرفه من ان جيمس وعد الاسبان برأسه ـ رأس رالى ـ استرضاء لهم ، وطلبا لمهادنتهم !**

ولم يكن جيمس ليتحرج من تحقيق هذا الوعد ، بل كان كل ماشغله هو التفكير فى أنسب الطرق لاعدام رالى !.. وذهب فى الاهتمام بذلك الى درجة تأليف لجنة سرية لدراسة الطريقة المناسبة ، ولابتكار أصلح الحجج والاسباب لتنفيذ الاعدام .. واستغرقت اللجنة فى هـذه المهمة العجيبة ، ثم انتهت من دراساتها ومداولاتها ، الى ان الحجة المثلى لاعدام رالى هى تنفيذ الحكم الذى صدر عليه منذ خمس عشرة سنة ، عندما أدين بتهمة الخيانة العظمى !

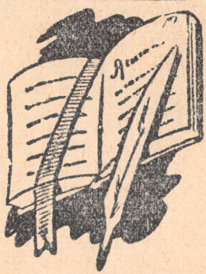
**ولعل العدالة لم تشهد ـ فى كافة عصور التاريخ ـ قضية كهذه ، يدان فيها المتهم بالخيانة العظمى فيقضى باعدامه ، ثم**

**يترك – فى السجن – اثنى عشر عاما ، يفرج عنه بعدها على أمل ان يبحث لمولاه عن ثروة .. حتى اذا أخفق فى العثور على الثروة المنشودة ، قطع رأسه !**

ولقد أبدع القدر فى اخراج مشهد الاعدام ، بما يتلاءم مع حياة سير وولتر رالى ، اذ شاء ان يتم اعدامه فى يوم موكب عمدة لندن ، وهو يوم اعتاد فيه الناس ان يتدفقوا على العاصمة الانجليزية من كل فج .. وبذلك قدر لاكبر عدد من الناس أن يحضروا اعدام الرجل الذى بهرتهم أعماله فى الحياة !

---

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارئ ..

قرأت معى فى الأعداد الماضية قصص: أموك ◆ قلب عذراء ◆ مرتفعات وذرنج ◆ التلميذ ◆ أحدب نوتردام ◆ جريمة حب ◆ جين اير ◆ أيام بومباى الأخيرة ◆ مانون ليسكو ◆ حديقة الله ◆ عندما تحقد المرأة ◆ آسيا ◆ الحب الأول ◆ تاييس ◆ بلاد العميان ◆ نادى الانتحار ◆ كوخ العم توم ◆ الزوج والعشيق ◆ البوهيمية ◆ فتاة لها ماض ◆ شيرى ◆ الجريمة والعقاب ◆ لحن كرويتزر ◆ أميرة مصر ◆ الأمطار ◆ أفروديت ◆ جيجى ◆ الشيطان فى الجسد ◆ ليبوريللا ◆ كانديد ◆ أشجان فرتر ◆ فرانشسكا ◆ لوريت ◆ المعطف ◆ يوميات زوجة ◆ الأفق المفقود ◆ النار الخالدة ◆ الوحل ◆ أبناء وعشاق ◆ اليهودى التائه ◆ صباح الخير أيها الحزن ◆ علاج الحب ◆ العانس ◆ آدم بيد ◆ أحزان الشيطان ◆ شذوذ ◆ قلب البطل ◆ السنة الاولى ◆ القرصان الفرنسى ◆ على ضفاف البحيرة السوداء ◆ تاراس بولبا ◆ عبادة وخيانة

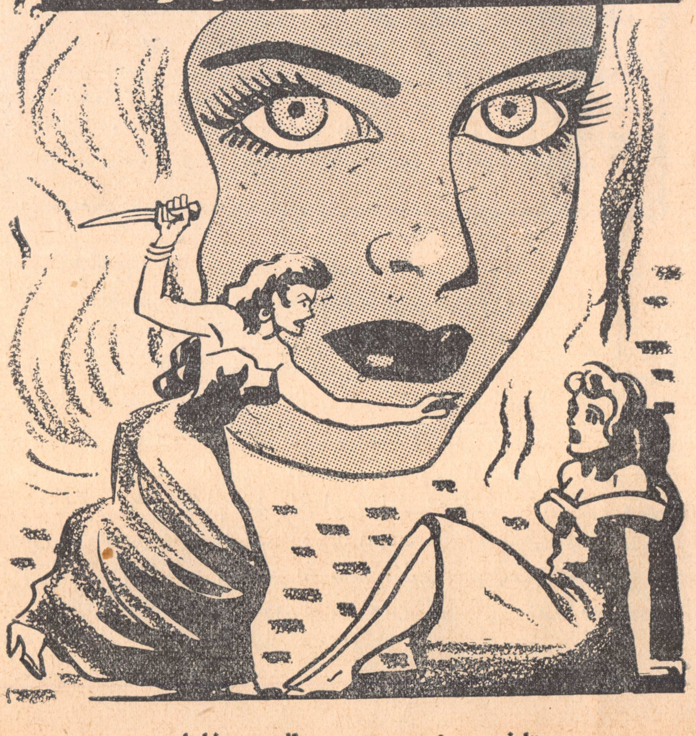
واليوم ، تقرأ معى احدى روائع بلزاك الشامخة :




الكوميديا الإنسانية !

# ذات العينين الذهبيتين

للروائي الفرنسي الأشهر "أونوريه دى بلزاك"



تلخيص : محمد بدر الدين خليل

## السيدان اللذان يحكمان باريس !

◆ ان حب المرأة للمرأة أعتى وأعنف من حب الرجل للمرأة ، أو حب المرأة للرجل ! » ٠٠ هذه هى الفكرة الطريفة التى عالجها الكاتب الفرنسى الأشهر « أونوريه دى بلزاك » ، فى هذه القصة الكلاسيكية الرائعة ، التى أوردها فى أعظم مؤلفاته : « الكوميديا الانسانية » ٠٠ وهو فى سردها يمزج الحقيقة بالخيال فى أسلوب شاعرى رائع ، ويعمد - فى تمهيده لاحداث القصة - الى تحليل المجتمع الباريسى فى براعة ودقة هما وليدا الخبرة والدراسة والتعمق ، فيبين الجهاد الشاق الذى تخوضه كل طبقة من طبقات هذا المجتمع ، فى سبيل ارضاء السيدين العاتيين اللذين يستبدان بحياة كل باريسى اليوم كما كانا يستبدان بها عندما كتب « دى بلزاك » هذه القصة منذ أكثر من قرن من الزمان والآن ٠٠ الى القصة لتتعرف الى هذين الجبارين ، ولتعرف سر انحلال فرنسا ، و ٠٠ لتنعم بأحداث مغامرة من أعجب المغامرات !

◆ **اجتمع** فى باريس - فى عهد الامبراطورية - ثلاثة عشر رجلا ، تملكتهم مشاعر واحدة ، وعزيمة واحدة على الوفاء لفكرة واحدة ، وأمانة كافية لكى لا يشى أحدهم بالآخرين ولو تضاربت مصالحه مع مصالحهم ، ودهاء كاف لأن يخفوا الروابط المقدسة التى وحدت بينهم ، ومقدرة كافية لكى يقدموا على أى شىء ، وحظ كاف لأن يوفقوا فى كل خطة تقريبا .. فقد كانوا فى مناعة من الخوف ، وما ارتجفوا قط أمام أمير أو كبير ، أو أمام فضيلة او سلطان !.. وكان كل منهم يتقبل الآخرين على علاتهم ، دون ان يحفل بفوارق اجتماعية . وأخيرا - لكى لاينقص شاعرية هذه القصة شىء من الغموض - ظل هؤلاء الثلاثة عشر مجهولين ، وان كان كل منهم قد حقق أغرب ما قد يخطر بالبال من أفكار تعتبر من قبيل الوهم والخيال !

وكان هؤلاء الثلاثة عشر ـ الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «المفترسون» ، والذين اتخذوا من رجل يدعى « فيراجوس » زعيما لهم ـ من المتهوسين ، الذين اوتوا قلوبا حساسة شاعرية ، ولكنهم ضاقوا برتابة الحياة ، وانساقوا ـ بقوى جاذبة خفية ـ الى المتع الحسية التى أيقظت فى نفوسهم ضراوة طال قمعها . وكانوا جميعا يعيرون كل واحد منهم ما لديهم من قوى ومقدرات يقف أمامها المجتمع عاجزا . . **لايطيعون سوى وفائهم بعضهم لبعض ، ولا يعترفون بقانون ، ولا ينصاعون الا لحاجاتهم الخاصة ! . . يعيشون ـ وسط الناس ـ فى عالم خاص بهم ، مزدرين المجتمع المنافق الوضيع الذى قدر لهم ان يوجدوا فيه ، موقنين من مقدرتهم على ان يخضعوا كل شىء لنزوات قلوبهم الثلاثة عشر . . كانوا أصحاب عقيدة ودين . . عقيدة اللذة والأنانية ، التى تسلطت على ثلاثة عشر رجلا ، فجعلتهم يؤسسون رابطة كرابطة المسيح وتلاميذه ، ولكن . . لخدمة الشيطان ! . . رابطة رهيبة ، ولكنها رفيعة فى متانتها ووفائها !**

من هذه العصبة ، كان « هنرى دى مارساى » . . وبين أيدى هذه العصبة التى لاتنسى ولا تغفر ، كانت «باكيتا فالديه» خليقة بأن تقع فريسة وضحية ، لولا ان هبط عليها الانتقام من مصدر آخر لا يقل فظاعة ورهبة !

* * *

• ان منظر أهل باريس ـ فى صورتهم العامة ـ لمن أبشع المناظر : قوم ضامرون ، هزيلون ، صفر الوجوه ، مغبرو السحنة ، تنضح مسام وجوههم المتقلصة بالغريزة ، والشهوة ، والسموم التى تحملها عقولهم ! . . **بل انها أقرب الى الأقنعة منها الى الوجوه : أقنعة تمثل الضعف ، وأقنعة تمثل القوة ، وأقنعة تمثل الفرح ، وأقنعة تمثل النفاق ! . . ما الذى يبتغيه**

**هؤلاء الناس ؟.. انما يبتغون احد أثنين : الذهب أو اللهو !..** ان بضع نظرات الى صميم باريس كفيلة بأن تبين أسباب القترة التى تعلو سحنهم فكانهم موتى : الشباب منهم متداع، والمتداعون منهم يصطنعون لطلعتهم لون الشباب.. ان كلمات قلائل تكفى لتبرير هذه القترة البشعة التى تعلو الوجوه الباريسية، فالواقع ان باريس جحيم بكل ما للجحيم من نار ودخان !

ان الباريسى – فى تكالبه على الاهتمام بكل شىء – لايلبث ان ينتهى الى عدم الاهتمام بشىء، ومن ثم فلا يسيطر على وجهه شىء من المشاعر، مما يحيل هذا الوجه الى سطح مغبر داكن كواجهات البيوت التى تراكم عليها الغبار والدخان !. والواقع انك لا تجد فى باريس عاطفة واحدة تقوى على ان تصمد لتطورات الأمور، اذ ان تيار الحياة يجرف العواطف فتستسلم له، ويمتزج بعضها ببعض، فاذا الحب شهوة، والحقد نزوة .. **لا قريب سوى الورقة المالية، ولا صديق سوى المصرفى الذى يقدم القروض مقابل رهن !..** وتتجلى ثمار هذا فى «الصالون» وفى الطريق، حيث لايعتد احد بانسان، فليس هناك من هو مطلق النفع، ولا من هو مطلق الضرر .. وليس هناك ما يستحق ان يعنى القوم به، بل انهم يتقبلون الحياة والدنيا على علاتهما . فما الحافز الذى يسيطر على هذا البلد المجرد من الخلق، ومن الايمان، ومن الشعور، رغم ان فيه اصل ونهاية كل خلق وايمان وشعور ؟.. ان هذا الحافز هو : الذهب واللهو !.. وعلى ضوئهما تعال نرتد هذا القفص المزوق، او هذه الخلية ذات البالوعات السوداء !

ان العامل الذى يستخدم يديه ولسانه وظهره وذراعه واصابعه الخمس كى يعيش .. هذا الرجل الخليق بأن يكون أول من يدخر أصول حيويته، يستنفد قواه، ويجعل من زوجته جارية لاحدى الآلات، وينهك قوى ابنه ويربطه الى

احدى العجلات .. انه يقبل على دنيا باريس وهو طامع فى الأجور السخية، فيرقب الفرص ويعمل ويعانى ويجوع ويعرق، ثم ينسى المستقبل فى نهمه الى اللهو ، معتمدا على ان ذراعه اليمنى لن تخذله فى العمل .. **ومن ثم فهو ينفق أجر أسبوعه على الملاهى وبائعات الهوى .. انه يشقى خمسة أيام من كل أسبوع ، ليصبح سيدا ليومين !.. ومع ذلك فان ملاهيه مصدر ارهاق لصحته وأعصابه وحيويته !.. انه لا ينعم بها سوى يومين ، ولكنها تسلبه خبز الغد ، وقوت الأسبوع ، وثوب الزوجة ، وأسمال الطفل !** .. وفى باريس ثلاثمائة ألف فرد من هؤلاء الذين يبسطون أيديهم للصدقات ، وللأجور المكتسبة ، أو بالأحرى الذين يكسبون النقود بطرق مشروعة أو غير مشروعة..ولولا «الكباريهات» التى تمتص مايكسبون، لكان من المرجح ان تتعرض الحكومة للانقلاب فى يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، عندما يبدأ العمل للأسبوع الجديد ! .. ولكنهم - لحسن الحظ - يستيقظون من لهوهم معدمين ، فيعودون الى العمل ، والى اكل الخبز الجاف، تحفزهم الرغبة فى الكسب من جديد !

* * *

• **على** ان بين ابناء هذه الطبقة رجالا كاملى الخلق والطموح . . « نابليونات » مجهولين ، يكتب لهم الحظ أن يكونوا مقتصدين ، ويمنحهم بعد النظر وسعة الأفق . . ثم يلتقى الواحد منهم بزوجة ، فيجد نفسه أبا ، وبعد سنوات من الحرمان القاسى ، يستقر فى حانوت يستأجره .. فاذا لم تعترض طريقه علة ولا رذيلة، واذا انتهى الى الاثراء، فسأعرض عليك صورة لحياته . . ولكن ، لنقدم تحياتنا اولا الى ملك النشاط الباريسى ، الذى ينصاع له الزمن والفراغ ، فهو فى الليالى ينتج ابناء لفرنسا، وفى النهار يضاعف شخصيته لخدمة

مواطنيه ، وللمجد ، وللهو !.. **انه البائع المتجول الذى يكدح من أجل زوجته ، وبيته ، والمجلس القومى، ورزقه، والحرس الوطنى ، والاوبرا ، والله !** . . فهو يستيقظ فى الخامسة من كل صباح ، فيطير كالعصفور ـ مهما تكن حال الجو ـ الى المجلس القومى ليتسلم نصيبه الذى تعهد بتوزيعه من الصحف . . ويتلقى هذا القوت السياسى متلهفا، فلا تحين الساعة التاسعة حتى يكون وسط اسرته ، يداعب زوجته وهو يجرع قدحا من القهوة ويزجر أطفاله . وبعد العاشرة بربع ساعة ، يظهر فى دار البلدية ، حيث يعكف ـ حتى الرابعة ـ على تسجيل المواليد والوفيات، دون ما ابتسامة او دمعة .. لا شىء يثقله، بل هو يمضى فى الحياة متلقيا وطنيته من سطور صحيفته . فاذا حانت الساعة الرابعة ، تحرر من ربقة العمل الرسمى ، فيرتاد اشهر متاجر المدينة وهو طروب .. وفى السادسة ، يظهر فى الاوبرا ليتخذ مكانه بين « الكومبارس » ، وليتقمص اية شخصية.. ولكنه يرتد ـ فى منتصف الليل ـ الى شخصية الزوج الطيب ، والأب الحنون.. ثم ينام ، فيسرع فى نومه كما يسرع فى حياته !

**ان هذا الرجل يضم موجزا لكل شىء : من تاريخ وأدب وسياسة وحكومة ودين وعلم عسكرى ، فهو دائرة معارف متحركة ، كباريس ذاتها ! .. وهو يعمل لكى يتيح لابنه وابنته تعليما يفوق ماتلقى ، صاعدا بطموحه فوق مستواه !..**
وهذا الطموح ينقلنا الى الطبقة الثانية من المجتمع الباريسى : طبقة الذين يجدون شيئا يمتلكونه : التجار ومن اليهم ممن لهم ودائع بسيطة فى المصارف ، والمحتالون ، والسماسرة ، والموظفون الكتابيون : كتبة البوليس ، وكتبة المحامين . وكتبة الموثقين ، وكل العاملين والمفكرين والمضاربين من القسم الأدنى فى الطبقة الوسطى .. اولئك الذين يتولون نسج مصالح باريس ، ويسهرون على اقواتها ، ويجمعون النقود والأقوات

التى تنتجها الطبقة العاملة ، ويمدون أيديهم الى الشرق فيجلبون خيراته ، ويقبعون متربصين لكل صفقة وهم فى نهم الى الكسب ، ويمتصون المال من بؤر المرض ! .. **ومع انهم لا يقبلون على الخمر – كما يفعل العمال – الا انهم يشبهونهم فى تبديد قواهم وارهاق اجسادهم وعقولهم ، وفى الشهوة التى تأكلهم ، والسرعة التى تنهكهم !** .. وما هذا الضنى كله الا ليرقوا بأولادهم فوق مستواهم . واذن ، فكل طبقة تسعى الى الرقى الى الطبقة التى تعلوها !

وهذا ينقلنا الى الطبقة الثالثة فى ذلك الجحيم الذى يسمونه باريس .. لقد اوتيت هذه الطبقة معدة تهضم مصالح المدينة وتحيلها الى ما يسمى « أعمال » ، بفضل جهود امعائها وأجهزتها المثلة فى ذلك الحشد من المحامين والأطباء والموثقين والمستشارين ورجال الأعمال والمصرفيين وكبار التجار والمضاربين .. هنا نجد من دواعى الانهيار الخلقى والجسدى فوق ماوجدنا فى الطبقتين الأخريين ، فان هؤلاء القوم يتسابقون الى الكسب ، والى الصفقات ، والى انتهاز الفرص العابرة ، فينهكون قواهم ، وينهارون قبل الأوان .. **الوقت هو الطاغية المتحكم فيهم ، وكم يتخلى عنهم ويهرب منهم ، فليسوا يملكون ان يمدوه او ان يقصروه !** .. واى نفس تستطيع ان تبقى نبيلة نقية ، وأى وجه يستطيع ان يحتفظ بجماله ، فى حياة كهذه ، تضطر صاحبها الى ان يحمل هموم الشعب فيحللها ويزنها ويقدرها ويخضعها لقاعدة من القواعد ؟ .. واين يترك هؤلاء القوم قلوبهم ؟ .. لست أدرى ، ولكنهم يدعونها جانبا عندما ينزلون فى الصباح الى هوة الشقاء ، التى تجعل الأسرة على « كف عفريت » .. الى ميدان الأعمال والمضاربات ! .. **فى كل ساعة من ساعات اليوم تجد رجل المال يدوس عميله ، والموثق يدوس الميت صاحب الوصية ، والمحامى يدوس الضمير** .. يستعيضون بالكلمات عن الأفكار ، وبالعبارات عن

المشاعر ، ويطبقون القواعد والقوانين على كل شيء ، تطبيقا أعمى ، ويعيشون فى جميع الأوقات تحت ضغط الأعمال . فاذا عادوا الى دورهم ، وجدوا ان اعمالهم تتطلب منهم الذهاب الى المرقص او المسرح او المجتمعات ، حيث يكسبون معارف وعملاء ، وحيث يتقربون الى كبار يحتمون بهم !

وفى مثل هذا التبديد الفظيع للقوى الذهنية ، نجدهم يضعون القواعد الخلقية للمجتمع ! . . ان غباءهم الحقيقى يستخفى وراء اختصاصاتهم ، فهم يلمون بمهامهم ، ولكنهم يجهلون كل شيء خارج نطاقها ! ولكى يحتفظوا بخداعهم لأنفسهم ، نجدهم يدققون فى فحص كل شيء ، ويقسون فى انتقاد كل شيء ، ويغرقون مداركهم فى مجادلات لا تنتهى .. وهم يعتنقون آراء اجتماعية وأدبية وسياسية يتعصبون لها حتى يتفادوا التفكير وابتكار الآراء ، كما يشكلون ضمائرهم وفقا لمواد القانون ، وينتهون الى ما ينتهى اليه ابناء الطبقتين الأخريين : **وجوه شاحبة ، ذات أصباغ خادعة ، وعيون جامدة نهمة ، وأفواه تنطق بالشهوة وانحلال الفكر .. ان هؤلاء الرجال ــ رجال الأعمال ــ يجتذبون المال اليهم ليختزنوه ويكدسوه كوسيلة تمكنهم من الارتباط بالأسرات الأرستقراطية!**

وفوق هذه الطبقة نجد دنيا الفنانين .. والوجوه فيها ــ هى الأخرى ــ تنم عن الارهاق ، والأعصاب المكدودة .. فان الحاجة الى الانتاج تتسلط عليهم ، ليجدوا ما يمكنهم من الانفاق على نزواتهم ، وعلى اشباع جوعهم الى اللهو والمتعة .. **وعبثا يحاولون الجمع بين الدنيا والمجد ، او بين المال والفن ..** ان الشهوة تدمرهم ، وكل شهوة فى باريس تنحصر فى احد اثنين : الذهب ، أو اللهو !

ومن ثم فان اسارير باريس توحى بفورات الخير والشر ، وبالصراع والنصر ، ولا يسعها ان تكون متمسكة بالخلق او الود او النظافة ، الا كما تتمسك بها تلك الآلات التى تمخر

البحار ، والتى تعجب بها عندما تثير الأمواج حولها ! ..

وهكذا نرى ان جهاد العمال الدائب ، والنفوذ المفسد الذى تفرضه المصالح الخاصة على شقى الطبقة الوسطى ، وجموح أفكار الفنان ، والاسراف فى اللهو لدى ابناء الطبقة العليا .. كل هذه تفسر القترة البشعة التى تعلو أسارير باريس !

على ان ثمة فريقا من المخلوقات آثرها الحظ بأن تكون هى المنتفعة بكل هذا النشاط العارم الذى يكتنف الأعمال والمصالح والفنون ، والذى يتحول الى ذهب دافق .. هذه المخلوقات هى .. النساء !

* * *

• فى صباح أحد الأيام البديعة – فى مطلع الربيع – سار فى طريق ( التويلرى ) الواسع ، شاب لم يكن يقل عن ذلك الصباح جمالا ، أنيق الملبس ، رضى الخلق ، تنم طلعته عن انه كان ثمرة غرام بين اللورد « ددلى » والحسناء الذائعة الصيت « مركيزة دى فورداك » ! .. **فقد ولد هذا الشاب الجميل – وكان يدعى هنرى دى مارساى – فى فرنسا بمجرد ان وفق اللورد ددلى الى تزويج المركيزة من سيد مسن يدعى « دى مارساى » ، قبل ان ينسب الطفل اليه مقابل استئثاره الى نهاية عمره بريع عقار قيمته مائة الف فرنك ، خصص لابنه المزعوم !** .. وقد مات السيد المسن دون ان يعرف زوجته ، التى ما لبثت ان تزوجت المركيز دى فورداك ، دون أن تحمل اى هم من ناحية ابنها .. فان الانتصارات التى كانت باريس تتيحها لحسناء مثلها ، سحقت عاطفة الأمومة فى أعماقها ! كما ان اللورد ددلى لم يهتم من ناحيته بالصغير الذى جاء نتيجة زلة سريعة ، لا سيما وان الآباء لا يحبون – فى الغالب – سوى الأبناء الذين يعرفونهم حق المعرفة .. **وهى نعمة تكفل الطمأنينة**

**للاسرات ، وتثبت ان الأبوة عاطفة تنمو على تغذيةصناعية من المرأة ، والعادة ، والقانون ! !**

وهكذا لم يعرف هنرى المسكين لنفسه أبا ولا أما . . حتى الأب المزعوم أسلمه الى اخت له عنيت بتربيته على النفقة الضئيلة التى أمدها بها ، وعهدت به – دون مقابل – الى راهب تولى تعليمه ، واهتم بمستقبله ، اذ امتلأ قلبه عطفا عليه . وكان راهبا عالما ، لقن الصبى فى ثلاث سنوات ماكان حريا بأن يتعلمه فى المدرسة فى عشر سنوات ، ثم حمله على ان يدرس الحضارة فى كل نواحيها ، وغذاه بتجاربه ، وقاده الى بعض الكنائس – التى كانت مغلقة فى ذلك العهد – والى ما وراء « كواليس » المسارح ، بل والى بيوت الغانيات ، فعرض عليه المشاعر والانفعالات البشرية .. كما لقنه العلوم السياسية فى « صالونات » الطبقة الراقية ، وشرح له نظم الحكم .. وقد استجاب الطفل لهذه الرعاية ..

ومات الراهب – وهو أسقف – فى سنة ١٨١٢ ، مطمئنا الى انه ترك فى الدنيا طفلا اوتى قلبا وعقلا يفوقان ما لدى اى رجل فى الأربعين من عمره .. **ومنذا الذى كان يتصور ان يجد قلبا من البرونز ، وعقلا من الفولاذ ، تحت مظهر فاتن القسمات ؟ !**

ولم يكن هذا كل ما فعله الراهب الطيب للصغير ، بل انه حرص على ان يعرفه بنفر من خيرة المجتمع الباريسى ، تعادل معرفتهم المائة الف فرنك التى كان الفتى يمتلكها .. فهى ثروة فى حد ذاتها . وبايجاز ، كان الفتى فى سنة ١٨١٤ صورة من راعيه الطيب : يجمع بين الطيبة والدهاء ، وبين اللطف والمكر ، وبين الضعف والقوة ! .. ولقد حالت الحرب التى كانت ناشبة فى اوربا اذ ذاك ، بين هنرى دى مارساى وبين معرفة ابيه الحقيقى ، كما انه كان يجهل امه .. وعندما ماتت عمته – الأم الوحيدة التى عرفها – ذرف عليها بضع

دمعات انانية ، اذ كان يبكى اشفاقا على نفسه ! .. ولكن الكاهن الطيب كان قد دبر كل مايقى الفتى اية حاجة الى البكاء ! ..
**وهكذا لم يكن هنرى دى مارساى - حوالى نهاية سنة ١٨١٤ - مرتبطا بأية عاطفة تقيده بأى التزام فى الدنيا ، بل كان حرا طليقا كالطائر !** .. ومع انه كان اذ ذاك فى الثانية والعشرين ، فانه كان يبدو وكأنه لم يتجاوز السابعة عشرة .. حتى الد غرمائه كانوا يعتبرونه أجمل شاب فى باريس ، فقد ورث عن ابيه عينيه الزرقاوين الماكرتين الفاتنتين ، وعن أمه شعرها الفاحم السواد ، وبشرتها الوردية الناعمة .. وورث عن الاثنين جمال القسمات ، والمظهر الارستقراطى الرفيع . وكانت اية امرأة تراه لا تتمالك ان تفقد وقارها .. فقد كان يثير فى قلوب النساء تلك الرغبات اللائى كن ينسينها لاستحالة ارضائها !

وكانت تكمن - تحت الحياة الغضة الشابة ، وتحت الغيض الناعم النمير الذى كان يجرى فى عينى هنرى - شجاعة الاسود ، وخفة القرود ، ووداعة الحملان ، وبراعة فى العزف على « البيانو » - كانت كفيلة بان تمكنه من ان يكون فنانا اذا حلت به كارثة - وصوت كان خليقا بأن يدر عليه آلاف الفرنكات .. **ولم يكن يشوه من كل هذا سوى رذيلة واحدة : تلك هى انه لم يكن يثق فى رجل او امراة ، ولم يكن يؤمن باله او شيطان !**

واستكمالا لعناصر هذه القصة ، نذكر ان اللورد ددلى كان كريما فى توزيع نتاجه ، فكانت « تحفته » الثانية شابة تدعى « ايفيمى » ، ولدت من سيدة اسبانية ، ونشأت فى جزر ( الانتيل ) فاكتسبت كل ما فى المستعمرات من ميول مدمرة ، ولكن القدر شاء لها ان تتزوج من نبيل اسبانى يدعى « دون هيجو » - مركيز سان ريال - الذى استقر به المقام فى باريس ، بعد ان احتلت جيوش الفرنسيين اسبانيا ، وأقام فى شارع ( سان لازار ) .. **ولم يكن من عادة اللورد « ددلى » ان يبصر أطفاله بالصلات التى تربط بينهم .. وهذا لون غير**

**ملائم من الحضارة ، له كثير من الميزات التى تحملنا على ان نفضى عن مثالبه !** وقد حدث ان وفد اللورد على باريس فى سنة ١٨١٦ ، هاربا من القضاء الانجليزى ، فما ان رأى هنرى ، حتى سأل عنه ، وما ان سمع اسمه حتى هتف : « آه ، انه ابنى ! »

★ ★ ★

• **هكذا** كانت قصة الشاب الذى رأيناه يسير فى طريق ( التويلرى ) حوالى النصف من شهر ابريل سنة ١٨١٥ .. وكانت الفتيات والنساء من المارات لا يتمالكن ان يلتفتن ويطلن تأمله وكأنهن يحفرن صورته على صفحات اذهانهن ! .. أما هنرى ، فكان يرقب المارة — بدوره — من طرف خفى ، وكأنه لايرى ولا يسمع شيئا . وفجأة ، تأبط ذراعه شاب وحياه فى ود وألفة ! . . والواقع ان شباب باريس لا يشبهه شباب مدينة اخرى .. انه فريقان : شاب على شىء من المواهب ، وشاب لم يؤت شيئا منها ، او — بالاحرى — شاب يفكر ، وشاب ينفق !.. وفى وسع ذى النظر الثاقب ، ان يدرك ان الفارق بين الشابين فارق خلقى محض ، ولكن المظهر لم يكن ينم عنه .. فقد كانا فى الظاهر سواء ، تربط بينهما رغبة واحدة فى التغيير المستمر ، وميل واحد الى انتهاج كل طريفة فى زينتيهما ، وازدهاء واحد بترديد حماقات اللامعين من الممثلين ، واقبال واحد على المقامرة كهواية من هوايات المجتمع!.. ومع ذلك فقد كان النوعان مختلفين : فبينما يؤمن واحد منهما بأنه يعرف شيئا ، او لا يعرف شيئا ولكنه يفهم كل شىء ، ويقرض كل شىء لمن فى غير حاجة ، ولا يعير المحتاج شيئا .. اذا بالثانى يدرس فى السر افكار الآخرين ! .. ان الشابين سواء فى الظاهر ، ولكن احدهما لم تعد له اية افكار مخلصة لأن نفسه كالمرآة يتلفها طول الاستعمال ، فى حين ان الآخر

يدخر فى ادراكه للحياة ، وان بدا ـ كالأول ـ انه يبعثر افكاره! .. الأول يكرس حياته لنظام معين دون ما اقتناع ، بينما يحسب الثانى حساب المستقبل ويرى فى الوفاء عنصر النجاح .. الأول ينكر على الآخرين كل موهبة ، ويتأمل أفكاره وكأنها جديدة ، وكأن الدنيا خلقت بالأمس ، وهو مسلح بثقة لا حد لها بنفسه ـ وان كان ألد عدو لهذه النفس ـ فى حين ان الآخر يتذرع بعدم الثقة فى الناس ، ومن ثم فهو يقدرهم حسب اقدارهم ، ويروح ـ اذا ما اسلم رأسه للوسادة ـ يزنهم كما يزن البخيل دراهمه !

وكان الشاب الذى فرض نفسه على هنرى دى مارساى ، من النوع الأول .. وكان قادما من الريف ، ولا يزال يدرس فن تبديد ميراث آل اليه ، دون ان يؤتى من الذكاء ما يمكنه من ان يفهم انه كان أضحوكة من راحوا يساعدونه على تبديد أمواله ! .. ولقد تعلم فى باريس ـ لقاء بضعة آلاف من الفرنكات ـ كيف يحكم من ثياب المرأة ومشيتها على الطبقة التى تنتمى اليها ! .. **ولقد ضمه دى مارساى الى ثلته ليفيد منه فى الدنيا ، كما يفعل المضارب الحاذق حين يستخدم كاتبا امينا !** .. وكانت صداقة هنرى دى مارساى بمثابة مرتبة اجتماعية لبول دى مانرفيل ـ وهو اسم الشاب ـ فكان يومض فى اشعة هنرى ، وكان يشعر بأن صداقته له مبعث زهو وفخار ، كما كان يهابه ولا يفتأ يقول : **« ان دى مارساى من صنف لا تجد واحدا منه فى كل الف .. ولن اعجب اذا رايته يوما وزيرا للخارجية ! »** .. اما هو ، فلعل قصى ما كان بوسعه ان يصير اليه ، هو ان يصبح نائبا !

وهتف بول : « يدهشنى يا عزيزى ان اراك هنا يوم الاحد! اهناك مؤامرة خفية ؟ » .. وكان جواب هنرى : « ليس فى الأمر خفاء ، كما ان تردد امرأة على ( التويليرى ) فى ايام الآحاد ليس بأمر ذى بال ، لدى الارستقراطيين ! » .. ويفضى هنرى

الى صديقه بسره : فبينما كان يتمشى فى تلك البقعة ــ فى يوم الثلاثاء الماضى ــ اذا به امام شابة لم يكد بصره يقع عليها ، حتى سمر فى مكانه وسمرت فى مكانها .. **وسرى بينهما نوع من المغناطيسية الحيوانية ، وكأنما كانت الفتاة تهتف فى أعماقها : « انت معبودى ورجل أحلامى ! ألا خذنى ، فأنا لك ! » .. وهتف هو الآخر ــ فى أعماقه ــ بنداء مشابه ! .. كانت اشبه بشعلةمن نار ، وكان اروع مافيها عينان صفراوان كعينى النمر ، تسكبان نظرات كأنها جدول من ذهب !**

وصاح بول اذ ذاك : « اننا كثيرا ما نراها هنا يا عزيزى ، ونحن نسميها « ذات العينين الذهبيتين » ! .. ماأكثر ماراْيناها فى صحبة امرأة تفوقها مائة ألف مرة .. لها عينان سوداوان لم تعرفا البكاء ، وانما ألفتا الاحراق .. وسمرة سراكشية تبعث الدفء فى الرجل ! » .. ولكن هنرى لا يلقى بالا الى حديث صديقه ، اذ كانت الفتاة قد ملكت عليه لبه ، فهى الوحيدة التى مثلت فى الحقيقة فتاة احلامه .. ويمضى قائلا : « ولقد رايتها يوم الجمعة ، اذ اوحى الى شعورى بأننى ساجدها هنا فى نفس الساعة .. ولم يخطىء حدسى ! .. وطاب لى ان اتبعها دون ان تفطن الى ، فقد كانت كل حركة من حركاتها كافية لأن توقظ كل رغبة فى المتعة ! .. ولقد التفتت خلفها فلمحتنى ، واذا بنظراتها تنم عن وجد .. ثم فطنت ــ لأول مرة ــ الى السيدة الاسبانية التى كانت ترعاها وتحرسها ، فكأنها افعى فى ثوب آدمية .. ولا بد انها تحظى بأجر كبير لقاء حراستها لهذه المخلوقة البديعة ! »

* * *

• **وأقبلت** الفتاة فى تلك الأثناء ، فما أن رأت هنرى ، حتى تضرج وجهها ، وأومضت عيناها .. ثم أغمضتهما وهى تمر بجواره . **ولكنها ــ رغم نظرات الرقيبة التى كانت تتبعها ــ**

**تعمدت أن تمسك بيده فتضغطها أثناء مرورها ، ثم التفتت خلفها وابتسمت فى وجد ..** وتبعها الشابان وهما لا يتمالكان نفسيهما من الاعجاب بهذا الجمال الفتان .. وكانت الفتاة تلتفت بين آونة وأخرى ، فترمى هنرى بنظرة محسورة . وما لبثت أن صعدت الى عربة مغلقة ، وقف لدى بابها رجلان فى زى خاص . وما أن استقرت داخل العربة ، حتى تعمدت أن تلوح بمنديلها ، وكأنها تهتف بهنرى : « ألا اتبعنى ! » .. ولمح الشاب عربة قريبة ، فقفز اليها متناسيا صديقه ، وأمر الحوذى بأن يتبع العربة الأخرى ، حتى رآها تستقر أمام منزل من أفخم منازل شارع ( سان لازار )

وفى اليوم التالى ، كان « لوران » ــ وصيف هنرى ــ قد عرف أن ذلك منزل لنبيل أسبانى يدعى « دون هيجو » ، مركيز سان ريال .. ولم يلق « لوران » عناء فى أن يكتسب ود ساعى البريد الموكل بالحى ، وفى أن يفك عقدة لسانه ، فعرف أن زوجة المركيز فى لنـــدن ، وان « ذات العينين الذهبيتين » تدعى « باكيتا فالديه » .. وقال الســاعى : « لن أكون كاذبا اذا قلت لك أن ليس فى باريس باب محفوف الغموض مثل باب السيد سان ريال ، فلا سبيل لأحد الى أن ينفذ الى داخل البيت » .. فقد كانت تفصله عن سائر الدور ساحة تعقبها حديقة واسعة . وكان يحرس الباب الخارجى شيخ أسبانى لا يعرف كلمة فرنســية ، وقد أوتى عينين حادتين .. ولو قدر لمتسلل أن يتجاوز الباب الخارجى ، لصادف بابا داخليا ، يلتقى عنده بنفر من الخدم يسأله رئيسهم فى دقة المحققين البارعين ، بينما يبدو على الباقين أنهم لا يفقهون كلمة فرنسية واحدة ، فلا سبيل الى انتزاع كلمة منهم . واستطرد ساعى البريد قائلا : « فاذا كان مولاك مغرما حقا بالآنسة باكيتا فالديه ، واستطاع أن يقهر كل هذه العقبات ، فلن يقوى على الدونا كونشـــا ماريالفا التى تصحب الفتاة

دائما ..

وأقنعت هذه البيانات هنرى بأنه مقدم على معركة مع عدو مجهول ، بدا أنه موفور الخطورة والدهاء . وذهب فى اليوم التالى مع صديقه بول الى حدائق التويلرى ، ولكن باكيتا فالديه لم تظهر فى ذلك اليوم . على أنه رآها فى اليوم التالى ، فما أن وقعت عيناها عليه ، حتى نضحت أساريرها بالوجد المشبوب !.. وراح يحوم حولها ، ولكن يقظة الرقيبة الاسبانية حالت دون كل محاولة .. الا أنه أحس — فى احدى المحاولات — بالفتاة تمسك بيده ، فكأن تيارا كهربائيا سرى فى كيانه ، ولكن « الدونا كونشا » قطعت عليهما متعة هذه اللحظة ، وتبادلت بضع كلمات بالاسبانية مع الفتاة ، لم تلبث هذه بعدها أن صعدت الى العربة وهى مهمومة !

وانقضت أيام لم تظهر فيها الفتاة فى حدائق التويلرى ، فكاد هنرى أن يجن . ولما كان القصر المجاور لقصر سان ريال ملكا لأحد اصدقاء هنرى — ويدعى البارون دى فوسانجان — فقد أوحى ذلك للعاشق المدله بفكرة جريئة ، اذ استعان بساعى البريد على أن يصطنع أختاما شبيهة بتلك التى كانت تختم بها الرسائل التى اعتادت « باكيتا » أن تتلقاها من لندن .. ثم كتب لها معبرا عن وجده المشبوب ، وانتحل اسم « ادولف دى جوج » ، وعنوان صديقه بول ، وسأل فاتنته أن تلقى بردها — فيما بين الساعة الثامنة صباحا والساعة العاشرة من مساء اليوم التالى — فى حديقة البارون دى فوسانجان !

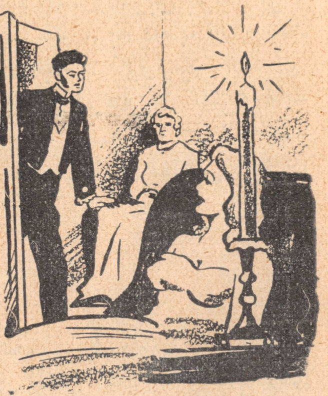
ولازم هنرى مسكن بول طيلة النهار التالى ، والأمل يراوده . وفى حوالى الساعة الثانية من بعد الظهر ، فوجىء بعبد أفريقى صارم الأسارير ، يفد على المسكن فى صحبة مترجم عام ممن يعرضون خدماتهم عند دور القضاء . وبهت هنرى ، ولكن جرأته لم تبارحه ، فاستقبلهما فى استهتار . وما لبث المترجم أن نقل له الرسالة التى جاء العبد بها اليه : « يجب أن تكون

فى الساعة العاشرة والنصف من مساء الغد فى طريق مونمارتر ، على مقربة من المقهى .. وهناك ، ستجد عربة يجب أن تصعد اليها ، وأن تقول للحوذى بالاسبانية « كورتيجو » ، أى عاشق .. **وأن الشخص الذى أوفدنى ليرجو أن تلتزم غاية** الحيطة والحكمة - من أجل سلامتك وسلامته - لأن ثمة خناجر مشهرة فوق رأسك ، ولن تحجم عن أن تغوص فى قلبك قبل أن تستطيع أية قوة انقاذك ! »

* * *

• **ولم** يزد الانذار الشاب الا تحمسا للمغامرة .. فما أن حانت الساعة الموعودة حتى كان فى المكان المعين ، وهناك رأى رجلا أسمر أخذ يرمقه فى حذر - كما كان يفعل العبد فى اليوم السالف - وما أن ذكر له كلمة السر ، حتى فتح له الرجل باب العربة ، ثم انطلق به فى سرعة ، وشغل الشاب بانفعالاته عن أن يتبين الطريق ، حتى استقرت به العربة أمام منزل معتم ، عتيق ، فقاده الحوذى - فى الظلام - الى طابق علوى لم تكن تضىء مدخله سوى شمعة كشفت عن أثاث ضئيل ، عريق فى القدم .. وتكشفت الستر عن قاعة بدا من أساسها أنها قاعة جلوس ترك البلى والغبار آثارا واضحة على أثاثها .. وعلى أريكة مكسوة بمخمل عتيق ، جلست امرأة عجوز فى ثياب تنم عن فقر ..

وكان وجود المرأة وجو الحجرة كافيين لأن يطفئا جذوة الحب فى فؤاد الشاب ، لولا انه لمح باكيتا على أريكة عريضة ، فى ثوب أظهر مفاتنها ، وقد راحت ترسل نظراتها - التى اختلط فيها اللهب بالذهب - الى الشاب ، وتتحرك فى حرية .. وكان هذا اللقاء كأول لقاء بين عاشقين تفرى الصبابة



فؤاديهما . فقد اقبل كل منهما على الآخر ملهوفا ومتحرجا فى وقت واحد. وزاد من توجس هنرى وضيقه ، وجود المرأة العجوز ، وكأنها نذير شؤم !..
**على ان الفتاة استغلت فترة ذهوله وتحرجه ، لتملى عينيها من جماله ، وهى منتشية الأحاسيس .. وبدت اذ ذاك لعينى هنرى - فى أبهى آيات فتنتها.. وعلى الرغم من الضوء الواهن ، فقد استطاع ان يرى عينيها تومضان وكأنهما عينا نمر حبيس، اضطر الى ان يكظم غيظه اذ عز عليه ان يحطم قفصه !**

ولم يلبث هنرى ان سأل الفتاة : « من تكون هذه المرأة ؟ » .. ولم يبد عليها انها فهمت قصده ، فكرر السؤال بالانجليزية ، واذ ذاك قالت : « انها المرأة الوحيدة التى أثق بها ، وان كانت قد باعتنى ! انها امى : جارية من ( جورجيا ) ، لاتعرف الكلام بغير لغة موطنها ! » .. وكانت المرأة تجلس كالصنم الجامد ، ومع ذلك فقد أحس هنرى بأن وجودها يعكر عليهما خلوتهما العاشقة ، فقالت الفتاة : « حتى هذا القدر من الحرية لن نحظى به سوى ايام معدودات .. اثنى عشر يوما ! » .. فتساءل : « وبعدها ؟ » .. وشردت نظراتها - شأن المرأة الضعيفة حين تقف امام الجلاد - ثم تمتمت : « وبعدها ؟.. لست أدرى ! » .. **وخيل لهنرى ان الفتاة لغز غامض ، ولكن الأمانى التى كانت تثيرها مفاتن الفتاة فى أعماقه راحت تذكى لهيب رغباته وتضاعف استعارها ، حتى اوشكت ان تفقده عقله ، فصاح : « اذا لم تصبحى لى ، فسوف أقتلك ! »**

واذ ذاك تبدى الجزع على الفتاة ، ونهضت من مكانها ، فارتمت الى جوار أمها ، وانخرطت فى البكاء . ولم تحرك العجوز ساكنا، بل ظلت جامدة، وكأن على وجهها قناعا فولاذيا يخفى انعكاسات مشاعرها .. ولكن عينيها راحتا تتنقلان فى بطء بين ابنتها وهنرى . . وخيل الى الشاب ان المرأتين تلعبان به ! ولكن باكيتا لم تلبث ان رفعت رأسها ورمته بنظرة نفذت الى اعماقه كأنها لهب خارق ، فهتف : « اواه ياباكيتا !.. كونى لى! » . واقبل عليها ، فأطلقت الفتاة صرخة مرتاعة. واذ ذاك تحركت العجوز ، فأمسكت باحدى يديه ، وباحدى يدى ابنتها ، وهو ماض فى مناجاة الفتاة فى وجد انساه كل تعقل !

وانصاعت باكيتا اخيرا للعاطفة العارمة ، فهتفت : « ليس الليلة يا ادولف .. لقد أعطيت كونشا قليلا من الافيون ، ولعلها الان قد أفاقت من المخدر ! .. عد الى نفس البقعة بعد يومين، وقل عين الكلمة لنفس الرجل ، فان « كريستيميو » قد تبنانى، وهو يعبدنى ولا يرهب الموت فى سبيلى .. وداعا ! » . وأحاطت خصره بذراعها ، والتفت حوله وهى تضمه ، ثم رفعت وجهها اليه ، وادنت شفتيها منه ، فاختطفت قبلة ادارت رأسيهما معا .. ثم صاحت : « كفى .. ارحل ! » .. وراحت تردد العبارة وهى متعلقة به !

وما لبث هنرى ان وجد نفسه فى العربة ، وهى تنهب به الأرض ، وكأن الدماء استحالت فى عروق الجوادين نارا ! .. وبدا للشاب ان اللقاء كله لم يكن سوى حلم ، ولكنه من الأحلام التى تخلف فى الكيان شبقا وشوقا غير عاديين ! .. على ان صورة الأم ظلت فى مخيلة هنرى ، كأنها رمز لصنم يوحى بالرهبة وبالوحشية .. **كانت المغامرة كلها تلتف فى جو من الظلمة ، والغموض ، والعذوبة ، والحنان ، والرهبة .. جو امتزجت فيه نفحات الجنة بلفحات الجحيم !** .. وخليق بنا ان نذكر ان هنرى – على صغر سنه – اوتى تلك القوة المسيطرة

التى تجعل من الرجل الشرقى سيدا مستبدا ، فهو لا يحجم عن شىء فى سبيل متعه وغروره .. والنساء يشغفن بهذا الصنف من الرجال ، الذين يدوسون الخوف ولا يعبأون بالمخاطر .. وقد اذكى اللقاء العجيب هذه الروح فى نفس هنرى ، فراح يحلم بذات العينين الذهبيتين أحلاما يسودها العنف والبطش !

* * *

• **وظل** طيلة اليومين التاليين مختفيا لا يدرى أحد له مكانا . ولكنه فى الموعد المحدد ، ظهر فى المكان المعهود ، فاذا العربة جاثمة .. واقترب منه الرجل الأسمر «كريستيميو» ، فنطق له بعبارة فرنسية بدا ان شخصا ما لقنه اياها دون ان يفقه معناها : « اذا شئت ان تأتى ، فهى ترجوك ان تقبل ان أعصب عينيك » .. ورفض هنرى ، فأرسل الرجل صفيرا خافتا ، تحركت على أثره العربة ، واذ ذاك صاح هنرى وقد أهاجه ان يفقد اللقاء المرتقب : «حسنا .. قبلت ! » . **وما ان استقر فى العربة ، وهم «كريستيميو» بان يعصب عينيه ، حتى حاول ان يقاوم ، فاذا بعينى الأسمر تبرقان ، واذا به يلصقه فى مكانه بيد حديدية ، بينما انتضى باليد الأخرى خنجرا .. ولم يكن هنرى يحمل اى سلاح ، فآثر ان ينصاع ، واذ ذاك عصب الرجل عينيه بمنديل .** وكان بوسع هنرى - وهو الذى يعرف كل شبر من باريس - ان يستدل من اتجاهات العربة على الطرق التى كانت تسلكها ، ولكنه شغل عن ذلك بانفعالاته. وما لبثت العربة ان توقفت ، وأحس الشاب بالرجل الأسمر والحوذى ينقلانه على محفة رفعاها فيما بينهما ، مجتازين حديقة .. وكان الصمت شاملا . وصعد به الرجلان سلما ، ثم اوقفاه على قدميه .. واقتيد خلال حجرات عديدة ، ثم ألفى نفسه وحيدا فى غرفة ذات جو معطر ، فرشت أرضها

ببساط سميك غاصت فيه قدماه !

واذ ذاك دفعته يد انثوية الى أريكة ، ونزعت العصابة عن عينيه . واذا باكيتا ماثلة أمامه فى ابهى فتنتها وأشدها اثارة. وكانت الحجرة فخمة الأثاث : كل ما فيها من ذهب ومرمر وحرير ثمين ، وقد سادها جو شرقى يثير المشاعر ! .. **جو تشيع فيه العطور الشذية ، وقد ظهرت خلاله باكيتا فى ثوب ابيض ، وقدمين حافيتين .. وركعت أمامه تتغزل فيه وكأنه اله هذا المعبد العجيب ! .. اما هو ، فقد خيل اليه ان الغرفة كانت صدفة كبيرة من اصداف البحر ، انشقت لتنساب من بين دفتيها « فينوس » ، حية !** .. واحتضنها وكأنه نسر ينقض على ضحيته ، وأخذ يغمغم مناجيا اياها فى همس ، فاستحثته على ان يرفع صوته ، اذ كانت الحجرة مصنوعة بحيث لم يكن ينفذ خلال جدرانها أى صوت .. حتى ليقتل المرء فيها دون أن يسمع أحد استغاثاته ! .. وسألها هنرى : « منذا الذى اوتى من الغيرة ما أوحى اليه بمثل هذه الاحتياطات ؟ » .. فأجابت وهى تفك وشاحه عن عنقه : « لا تسألنى عن هذا » .. ولكنه شعر بأن ذلك المجهول كان كشبح يخيم على هناءته ، فعاد يسألها : « واذا كنت راغبا فى ان أعرف من صاحب السيادة هنا ؟ » .. فتأملته دون ان تتكلم

ـ اذن فلست أنا سيد هذا المكان .. اين انا ؟

وارتجفت الفتاة ، بينما دفعها عنه ، ثم هتفت فى جزع : « اقتلنى ! هبنى كل ما يمنحه الرجال عند ما يحبون ، حتى اذا واتانى النوم فاذبحنى ! .. انما أنا مربوطة الى قدر معين ، ولست أدرى كيف أوتيت القوة على ان أمد معبرا فوق الهوة التى تفصل بيننا . الا اسكرنى بحبك ثم اقتلنى ! .. انما أحبك وحدك ، ولولا ذلك لكنت قد خدعتك كما تفعل الماكرات من النساء ، حتى اذا رويت عطشى الى الحب ، أمرت بالقائك فى بئر ، فلا يستطيع ان يعثر عليك أحد ! » .. ورمقها هنرى ،

فامتلأ قلبها طربا ، اذ كانت نظرته خلوا من الخوف .. وهتفت : « ولكنك لم تستدرج الى شرك هنا ، وانما وقعت على قلبى.. فتعال الى يا حبيبى ! »

واذا كان من المستحيل تصوير المباهج التى حظى بها العاشقان ، الا ان خبرة دى مارساى كانت كافية لأن تمكنه من ان يوقن بأن الفتاة قد تكون عذراء ، ولكنها لم تكن ساذجة .. **كان الغموض يمتزج بالواقع ، والظلام بالنور ، والبشاعة بالجمال ، والمتعة بالخطر ، والجنة بالجحيم ، بشكل ما عرفه هنرى من قبل فى شاعرية الأحاسيس التى يسمونها غراما ! كانت الفتاة قصيدة من شعر الشرق !** .. وهتفت فى غمرة النشوة : « ألا خذنى بعيدا يا ادولف ، الى جزيرة لا يعرفنا فيها احد ! .. ولنحذر ان نترك أثرا يشى بفرارنا ، فهناك من هو قادر على ان يتبعنا حتى ابواب الجحيم ! .. ها هى ذى بوادر الصباح ، فانصرف وتعال غدا ! » .. وضمته فى وجد مازجه فزع مميت ، فسألها : « واذا أبيت الانصراف ؟ » .. فقالت : « ان فى ذلك تعجيلا بموتى ! »

وانصرف هنرى معصوب العينين كما جاء ، وقد وجد نفسه تحت سلطان مشاعر مضطربة لا يعرفها الحب الحقيقى ، فما كان بوسعه ان يحلل ما كان يصطخب فى قلبه من عواطف ، حتى وهو يستعيد مذاق اشهى شفتين عرفهما فى حياته !

* * *

• **وألفى** نفسه فى طريق ( مونمارتر ) وقد بدأ الصبح يتنفس ، فأشعل سيجارا ودس يديه فى جيبيه ، ثم سار متسكعا . ومن عجب انه لم يفكر اذ ذاك فى الغادة التى كانت باريس بأسرها مجنونة بها ، وانما راح يفكر فى الموت الذى أطل خلال متعته معها .. فانتهى الى رأى اخذ يقوله لنفسه : « انها من هافانا .. اكثر بقاع العالم الجديد اصطباغا بالصبغة

الاسبانية ، ومن ثم آثرت الارهاب بدلا من الصد او الدلال أو التظاهر بالواجب كما تفعل نساء باريس ! »

واستيقظ حوالى منتصف ذلك النهار ، وبنفسه جوع كذلك الذى يحسه الجندى فى غداة النصر . وألفى صديقه بول جالسا فى انتظار يقظته ، فما ان فتح عينيه حتى سأله : « أين كنت ؟ .. لقد طاف بخلدنا جميعا انك احتبست نفسك مع ذات العينين الذهبيتين طيلة الأيام العشرة الأخيرة ! »

وحاول هنرى ان يكتم سره ، فلما لامه بول على ذلك ، قال له : « **ستعرف يوما يا بول ما فى استغفال العالم من مسرة ، اذ تحرمه سر عواطفك ! .. واذا جاز للمرء ان يفخر بشىء ، فهل هناك ما هو ادعى للفخر من نفوذ يكتسبه المرء بنفسه ، فهو سببه وهو نتيجته فى وقت واحد ! .. أن احدا لايعرف ما أحب ولا ما أبغى .. وقد يعرف هذا او ذاك كما تتضح المسرحية فى نهايتها ، أما ان ادع دورى ينكشف ولما يكتمل ، فهذا هو الضعف والخطأ !** » .. وبينما كانا يتناولان الفطور ، راح دى مارساى يستعرض احداث الليلة الماضية فى ضوء جديد .. انه فى البداية لم يفعل اكثر من ان استخدم اسلحته لارضاء متعته ، ولكن الرجل الصلب هو الذى يستغل المرأة لكى لا تستغله هى ! .. وتبين هنرى اذ ذاك ان ذات العينين الذهبيتين قد غررت به . وعندما فكر فى طهر جسدها ، فى خضم الملذات والمباهج التى اخذت ترسلها عليه رويدا حتى اغرقته فى سيول منها ، استطاع ان يفهم السر الذى استغلق عليه .. واتضحت له الكلمات الغريبة التى كانت تبدو له — فى البداية — غامضة .. **لقد تبين انه استخدم ليؤدى دور شخص آخر !** .. ولم يجفل ، فقد كان على دراية بأوجه الرذيلة . . وانما الذى جرح كبرياءه ، هو انه استخدم بديلا لسواه ! .. وأثارت هذه الفكرة حنقه وغيظه ونقمته !

وعول على أمر . وفى انتظار موعد المساء ، اصطحب صديقه

الى أحد المنتديات ، حيث راح يقتل الوقت فى اللعب والشراب . حتى اذا جان الموعد ، ارتضى لعينيه ان تعصبا ، ثم اخذ يتتبع اتجاهات العربة وهو يستعرض خريطة باريس فى ذهنه ، حتى اذا وقفت العربة فى النهاية ، استنتج انه امام قصر سان ريال .. ومن وقع اقدام الرجلين اللذين حملاه فى المحفة ، ادرك انهما اجتازا به الحديقة ، فاخذ يحصى حركاتهما وخطاهما ويتمثل فى باله الطريق الى مخدع باكيتا ..

ووجد نفسه أخيرا على الأريكة ، وقد نزعت الفاتنة العصابة عن عينيه ، وركعت أمامه ككاهنة أمام صنمها المعبود ! .. ولكنها كانت بادية الشحوب ، تنم عيناها عن بكاء طويل ، وقلق . لم تعد تشبه تلك الفتاة الغريبة ، الملهوفة ، التى حملته على جناحى فتنتها الى سماء الحب السابعة ! .. وسألها عما بها ، فقالت : « ألا احملنى من هنا الليلة ! .. سأمنحك من ألوان المتع كل ما تشتهى نفسك ، حتى اذا مللتنى كان لك ان تهجرنى دون ان اشكو ! » .. وقال هنرى : « ولكنى لا أملك أن ابرح باريس . على ان بوسعى ان آوى بك الى مخبأ لا يستطيع سلطان بشر ان يصل اليه » ، فهتفت : **« لا ، انك لا تعرف سلطان المرأة ! » .. ابدا لم يعرف الذعر كما تجلى له فى تلك العبارة .. ترى اية امرأة تعنى ؟ !** .. وعاد يقول : « وما الذى يستطيع ان يصيبك اذا أقمت نفسى درعا بينك وبين الدنيا ؟ .. فقالت ودموعها تجرى : « السم ! .. ان دونا كونشا ترتاب فيك .. ولكن ، دعنا نرشف لذاذات الحياة فى حبنا ! .. ولسوف أبكى وأتوسل وأدافع عن نفسى ، عسى ان تنقذنى الضراعات ! »

وسألها حائرا : « ولمن تضرعين ؟ » ، فهتفت : « صه ! .. اذا ظفرت بالعفو فقد أناله جزاء كتمانى ! » .. وكانت فى ليلتها السالفة قد ألبسته ثياب امرأة ، فلما سألها عن تلك الثياب ، قالت : « لا ، بل ابق اليوم كما انت : واحد من اولئك الملائكة الذين تعلمت ان أكرههم ، حتى وجدتك فشعرت انك أحب

انسان الى تحت قبةالسماء ! .. انك لاتتصور مدى جهلى .. لقد سجنت مذ كنت فى الثانية عشرة ، دون ان يتاح لى رؤية احد .. وما تعلمت قراءة ولا كتابة .. ولست اتكلم بغير الاسبانية والانجليزية » .. فسألها : « اذن فكيف كنت تتلقين الرسائل من لندن ؟ » .. **وعرضت عليه بعض تلك الرسائل ، فاذا بها رموز واشكال غريبة ، رهيبة ، رسمت بالدم ، لتنم عن وجد مشبوب متأجج ..** فهتف : « ماأراك الا فى قبضة داهية جهنمى .. فكيف كنت تخرجين للنزهة ؟ » .. فقالت : « كان فى هذا دمارى ! .. لقد وضعت دونا كونشيتا بين أمرين : الخوف من الموت المباغت ، ورهبة الغضب الذى قد ينصب على رأسها .. كان الفضول يستبد بى لكى أرى الدنيا ، والرجال .. فما رأيت من هؤلاء سوى المركيز وكريستيميو والحوذى والخادم الذى كان يحرس باب العربة »

— أو لست مزهوة بأن يغار عليك عاشقك ومالكك الى هذه الدرجة ؟

**— لا ، فمهما تكن هذه الحياة المستترة ، فانها لا تقاس بالضوء .. الضوء الذى تمثل فيك ، انت الذى لا أحجم عن أهبه حياتى . ما كنت أفقه عن الوجود شيئا من قبل ، أما الآن فاننى أعرف ما هو الحب ! .. لقد كنت من قبل محبوبة فحسب ، أما الآن فاننى عاشقة ! ..** الا خذنى كألعوبة ، واستبقنى بجوارك الى ان يروق لك ان تحطمنى !

★ ★ ★

• **ومع** ان باكيتا لم تكن مسئولة عن ماضيها أمامه ، الا ان أتفه ذكرى لهذا الماضى أصبحت تبدو جريمة فى عينيه ! .. على ان بروده ما لبث ان ذاب فى أنوثتها ، والمباهج — المحفوفة بالمخاطر ! — التى أخذت تشحذ أحاسيسه وروحه معا .. وحملته نشوة المتعة الى أبعد مما كان يهيىء له وجده . وهتفت

له وهى فى أوج نشوتها : « اذا قدر لنا ان نختار ملاذا يليق بنا، فان آسيا هى المكان الوحيد الذى يبسط الحب عليه جناحيه .. ولكن ، لا ترجىء الفرار الى غد ! » .. فهتف بدوره : « ان الرحيل يحتاج الى ذهب كثير ، وهذا يقتضى فى البداية تدبيرا »
ــ ذهب ؟ ! .. ان هنا أكواما منه ، فلنأخذها !
**ــ ولكنه ليس ملكى .. انه لا يمت الى ! .. يا لك من ساذجة، لا تعرفين عن الدنيا شيئا !**
ــ حقا .. هذا هو كل ما أعرف !
وضمته اليها فى عنف ، ثم رفعته بقوة خارقة لتملى عينيها بمرآه .. وفى غمرة هذه المتعة ، احس بخنجر يغوص فى قلبه فيجمد كل عواطفه ، اذ هتفت الفتاة فى نشوتها : **« أواه يا مرجريتا ! » .. فصاح فى زئير غاضب : « مرجريتا ؟ ! الآن عرفت كل ما حاولت ان أحمل نفسى على ان لا تصدقه ! » .. عرف ان الفتاة كانت تتخذه بديلا عن شخص آخر .. وكان هذا الشخص الآخر .. امرأة !**
وقفز كالمسعور محاولا ان يطبق على عنقها . وادركت ان حياتها كانت مهددة ، وان لم تفطن الى السبب ، فاندفعت الى الطرف الآخر من الحجرة . وتبعها ، ودار بينهما صراع ، ثم استطاعت باكيتا ان تلقى بين قدميه بوسادة تعثر فيها فوقع، واذ ذاك أسرعت الى زر ضغطته . وفى اللحظة التالية ، ظهر كريستيميو، فقفز على دى مارساى ، ووضع قدمه على صدره ، ضاغطا بكعبه على عنقه . وكف الشاب عن المقاومة ،



اذ ادرك انه هالك لدى اول حركة . وتساءلت الفتاة : « لماذا اردت ان تقتلنى أيها الحبيب ؟ .. فيم أغضبتك ؟ » .. ولكن هنرى ظل صامتا ، باردا ، شأن الرجل القوى حين يهزم !.. وعادت الفتاة تسأله ، فاكتفى بأن رمقها بنظرة كانت تنطق بما فى نفسه : « يجب ان تموتى ! » .. وفهمت معنى النظرة ، فارتمت عليه قائلة : « اذا كان فى موتى مسرة لك ، فاقتلنى ! »

وأشارت الى كريستيميو فانسحب فى صمت . وعادت الفتاة تضرع الى هنرى : « ألا امنحنى كلمة رقيقة .. لقد اقترب الفجر ! » .. ولكنه لم يجب .. **كان عيبه الأوحد ، أنه لم يكن يعرف الصفح ! .. لقد انطفأت فى قلبه مصابيح الأمل والحب وكل عاطفة كانت تطربه .. ولم تبق لدى باكيتا من قوة – فى أساها الحائر – سوى تلك التى نبهته بها الى الرحيل .. فغادر المكان دون ان يرمقها بنظرة واحدة ، بينما تهالكت هى فى اعياء قاتل ، تحت وطأة الهم !**

ولم تعد ثمة حاجة الى عصب عينيه ، اذ ان كريستيميو ادرك ان هذه آخر مرة يطأ الشاب فيها المكان ، كما انه كان قد اعتزم – فى نفسه – ان يقتل الرجل الذى أوشك ان يقضى على باكيتا .. وقرأ هنرى فى عينيه الرغبة فى الانتقام ، فادرك انه مقدم على حرب وحشية ضارية .. ولكنه لم يدع ذلك يصرفه عن ان يلقى نظرة على ما حوله ، قبل ان يصعد الى العربة !

* * *

• **وقضى** هنرى حوالى اسبوع بعيدا عن داره وصحبه ، فلم يدر احد مكمنه .. وقد انقذه هذا الاختفاء من نقمة الرجل الأسمر . وحوالى الساعة الحادية عشرة من مساء آخر أيام الأسبوع ، استقل الشاب عربة الى باب جانبى صغير فى حديقة قصر سان ريال ، وفى صحبته أربعة رجال من أصدقائه ، تولى

احدهم حراسة العربة، ووقف آخر لدى باب الحديقة، وتربص ثالث داخل الحديقة .. اما الرابع ، فسار مع دى مارساى ، وهو يحمل حلقة ضمت عددا من المفاتيح. وهتف هذا الزميل : « لقد افتضحنا يا هنرى ! » .. فسأله الشاب : « وكيف يا فيراجوس ؟ » .. فأجاب رئيس « المفترسين » : « ان القوم لم يناموا .. انظر ، هناك ضوء ! وعلى ماأذكره من رسم البيت ، أعتقد ان هذا الضوء فى مخدع المركيزة ! »

**ـ آه ، لا بد انها وصلت من لندن اليوم .. ولعلها حرمتنى من الانتقام الذى كنت أنشده ، كما حرمتنى من الحب الذى كنت أمنى النفس به ! .. لو صح هذا ، فلا بد من أن نسوقها الى العدالة !**

ـ اصغ ، اصغ ! انها تسوى الحساب !

وتناهت الى آذانهما انات خافتة ، تثير الاشفاق فى قلب أقسى وحش .. وقال هنرى لرئيس « المفترسين » : « ابق هنا ! » .. ثم تسلل فصعد السلم ، وتلمس طريقه الى المخدع. وما ان فتح الباب ، حتى ارتجف على الرغم منه ، اذ رأى دماء جارية . وكان المنظر رهيبا وغريبا !.. كانت المركيزة امرأة ، ومن ثم فقد رسمت انتقامها فى دقة وعناية .. ووقعت عينا باكيتا عليه ، فتمتمت وهى تحتضر : « تأخرت يا حبيبى ! »

**كانت ذات العينين الذهبيتين غارقة فى بحر من الدماء .. وكانت الفوضى التى سادت الغرفة تشى لعينى الرجل ـ الخبير بمغامرات الهوى ـ بالاسلوب الجنونى الذى اتبعته المركيزة للتأكد من ذنب الفتاة ، ومن انها خانتها واسلمت نفسها لحبيب آخر .. فقد كان جليا ان المركيزة تدلهت فى هوى الفتاة بعاطفة متأججة عاتية ، تفوق حب الرجال للنساء ! ..** وكانت لطخ الدم المتناثرة فى كل شبر تروى قصة نضال عنيف ، طويل.. وكان جسد باكيتا ممزقا اربا بطعنات من خنجر أمسكته يد اخرجها هوس الانتقام عن طبيعة البشر ! .. وكان الخنجر

لا يزال فى يد المركيزة ، والدم يقطر منه ، وقد وقفت مشعثة الشعر ، دامية الأطراف ، ممزقة الثياب .. وكانت تفتح فاها وخياشيمها على سعتهـا ، وكأن الهـواء الذى تستنشقه ـ مشبعا بعبير الدم ـ لم يكن يكفيها ! .. كانت المركيزة أشبه بوحش هائج ، اعماه الغضب عن كل شىء ، فلم تر هنرى ، ولم تشعر بمقدمه . وما لبثت ان قالت لنفسها : « لقد ماتت ! .. اواه ، لسوف أموت كمدا ! »

وفجأة ، لمحت هنرى ، فهتفت وهى ترفع خنجرها : « من انت ؟ » .. وبادر هنرى فأمسك ذراعها .. وتبادلا نظرات حافلة بالمقت ، ثم جمد الدم فى عروقهما اذ غشيتهما دهشة طاغية .. وهتفا فى آن واحد ، كل يخاطب الآخر : **« لا بد ان اللورد ددلى ابوك ! »** .. ومـا لبث هنرى ان قال : « لقد جئت فى الوقت المناسب يا اختاه ، فان العدالة ستطاردك ! » . ولكنها قالت : « ان الوحيـد الذى كان خليقـا بأن يناقشنى الحساب قد مات .. انه كريستيميو ! » .. فسألها : « وأمها ؟ »

ـ لقـد جاءت من بلد لا قيمة فيـه للنسـاء ، فهن يبعن ويشترين كالسلع ، ليستخدمن فى ارضاء الأهواء .. ولقـد اشتريت الفتاة منها ، ويكفى كيس من الذهب لاسكاتها !

وشعر هنرى بأن غيابه عن زملائه قد طال ، فقال لأختـه متعجلا الانصراف : « لابد من ان نلتقى ثانية » . ولكنها قالت : **« لا يا أخى ، فلسوف ارحل الى اسبانيا غدا ، لأدخل الدير .. فليس من عزاء يجدى ، عندما تفقد من كان يبدو لك انه كل شىء فى الحياة ! »**

---

إقرأ معى :



# كتاب الشهر

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب من قبل ، الكتب الشائقة التالية : آراء جريئة فى السياسة . كيف نجحوا فى الحياة . الحياة فى موسكو . مراهق . آلهة ومقابر وعلماء . الألمان ، شعبا وعباقرة . مستقبل زوجك فى يدك . التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر . أقنعة الحب السبعة . فى داخل افريقيا . من فرعون الى فاروق . كفاحى ( لسومرست موم ) . فى داخل مراكش . خفايا العلوم الفرعونية . قناة السويس . دزرائيلى . فى داخل الجزائر . مدينة تذل طاغية . عالم الغد . رابعة العدوية . البرت اينشتين

وهاك اليوم كتابا عن مصر :




# أعيـاد المصريين
## منذ قرن ونصف قرن

ملخصة عن كتاب "أخلاق وعادات أهل مصر الحديثة"
للباحث المستشرق "ادوارد وليم لين"



تلخيص : محمد كامل الدهميس

## تعال نقم بهذه الجولة .. قبل العيـــد !

◆ اليوم ، وأفواج المسلمين تتدفق على البلاد المقدسة لتؤدى شعائر الحج ، يدعوك « كتابى » الى جولة عبر السنين ، ليستعرض معك مواكب سفر الحجاج المصريين ومواكب عودتهم فى القرن الثامن عشر ، ولتعيش معه فترة فى جو بهيج ، بين أعياد مصر ومهرجاناتها القومية ، فى ذلك العهد .. وهى لوحات قلمية بديعة ، أجاد المستشرق « ادوارد وليم لين » رسمها فى كتابه « أخلاق وعادات أهل مصر الحديثة » ، الذى يعتبر مرجعا من أدق المراجع فى وصف المجتمع المصرى اذ ذاك . فقد عاش « لين » فى مصر ، واختلط بجميع طبقاتها ، وأجاد اللغة العربية بجميع لهجاتها المحلية ..

فتعال نقم بهذه الجولة ، ونحن نتأهب للاحتفال بعيد الاضحى المبارك .. أعاده الله على مصرنا الحبيبة وعلى العالم العربى بكل مايحقق أمانى الامة العربية وأهدافها ..

## عشرة أيام .. كلها فرح وذهب !

◆ **يتجلى** كثير من أروع عادات المصريين وأغربها ، فى أعيادهم العامة ومناسباتهم الموسمية ، التى يحتفلون بها فى مواعيد معينة من السنة ، وفقا للتقويم الهجرى ..

فتعتبر الأيام العشرة الاولى من « محرم » — أول شهور السنة الهجرية — من الايام ذات البركة والقداسة ، ومن ثم يحتفل بها كلها فى كثير من الفرح ، وان أحيط اليوم العاشر منها بنوع خاص من التكريم . ومن العادات فى هذه الايام ، بيع « الماء المبارك » الذى يغتسل به القوم اعتقادا منهم بأنه يزيل عنهم السحر ويمنع عنهم النحس طيلة ايام السنة

ومن عادات مسلمى مصر ان يكثروا من الصدقات ، التى يسمونها « زكاة العشر » ، اذ انهم يطلقون على تلك الفترة من السنة اسم « أيام العشر » .. **وفى تلك الايام تخرج النساء الى**

**الطرقات ، وقد حملت كل منهن طفلا على كتفها ، وكلما صادفت رجلا مدت اليه يدها تسأله (( زكاةالعشر )) ، فيمنحها عادة (( عشرة فضة )) ، وهي عملة كانت تعادل ربع القرش .. وكانت الام تبتاع بهذه النقود حلوى لابنها ، أو تخيطها فى طاقية ـ وهذا هو الاغلب ـ لتكون (( حجابا )) يقيه الحسد وعين السوء على مدار العام !**

وكانت « ايام العشر » تقترن فى أذهان النساء بخرافةتزعم أن الجن يظهرون للنـــاس فى تلك الايام من كل عام ، على صورتين : اما فى شكل سقاء ــ ينقل الماء ــ ويسمى « سـقا العشر » ، أو فى هيئة بغل ويدعى « بغل العشر » !.. أما السقاء فانه يدق باب الغرفة التى يقيم بهـا الشخص الذى اختاره الحظ ليؤثره بالخير . فاذا رد صاحب الغرفة على الطرقات ، قال له الجنى : « انا السقا .. أين أفرغ القربة ؟.» .. ولما كان السقاء الحقيقى لايختلف الى البيوت ليلا ، فان الرجل يدرك لفوره شخصية الطارق ، فيقول : « افرغها فى الزير ! » .. **وعندما يكشف عن الزير ـ بعد انصراف السقاء ـ يجده مليئا بالذهب !**

اما اذا جاء الجنى فى صورة بغل ، فانه يحمل على ظهره رأس انسان ميت ، وعلى جانبيه كيسين ــ « خرجين » ــ مليئين بالذهب ، وحول عنقه مجموعة من الاجراس الصغيرة « الجلاجل » .. فاذا بلغ مسكن المحظـــوظ ، وقف وراح يصلصل بأجراسه حتى يخرج المحظوظ ليرفع الـكيسين فيفرغهما ، ثم يضع مكان الذهب أى شىء لديه فى البيت !.. وتلك كانت زكاة الجن فى الأيام العشرة الأولى من العام . ويقول بعض سكان القاهرة ان الجن يقيمون سوقا ــ فى ليالى تلك الايام ــ فى شارع « الصليبة » ، أمام الحوض المرصود (١) .

---

(١) يدخل ذلك المكان فى نطاق شارع قدرى باشا بالسيدة زينب، وقد زرعت حديقة عامة فى مكان الحوض المرصود ، يطلق عليها اسمه .

فاذا صادفهم شخص أثناء مروره ، واشترى منهم شيئا ، فان ذلك الشيء لايلبث أن يتحول فى يده الى ذهب خالص !

## فى مسجد الحسين .. يوم ذكرى استشهاده

• **اما** اليوم العاشر من محرم ــ وهو يوم عاشوراء ــ فيجمع الناس على تكريمه لعدة اسباب : فمن المعتقد انه اليوم الذى قدر لآدم وحواء أن يلتقيا فيه لاول مرة ــ على سطح الأرض ــ بعد طردهما من الجنة .. وهو اليوم الذى نجا فيه نوح من الطوفان !.. وهناك عدة أسباب أخرى ، منها ان العرب كانوا يستقبلون هذا اليوم بالصيام ، قبل الاسلام .. **ولكن اغلبية الآراء ترى ان هذا اليوم هو ذكرى استشهاد (( الحسين )) ــ حفيد النبى عليه السلام ــ فى موقعة كربلاء**

وفى ذلك اليوم ، ذهبت لزيارة صديق لى ــ قبل الظهر بقليل ــ فقدم لى طبق « الحبوب » او « العاشوراء » التى تصنع من قمح ينقع فى الماء يومين أو ثلاثة ، ثم يقشر ويسلق ويضاف اليه العسل وهو على النار ، وقد يصنع هذا الطبق من الارز ، ويزركش بالبندق والجوز واللوز . والى جانب هذا ، تحظى معظم البيوت بمقادير من مختلف انواع الحلوى ، عملا بسنة النبى : **(( من وسع على أهل بيته فى يوم عاشوراء ، وسع الله عليه بقية العام ))**

وعند صلاة الظهر ، ذهبت الى مسجد الحسين ــ الذى ذاع ان رأس الحسين مدفون فيه ــ فاذا به مسرح لاحتفالات رائعة فى ذلك اليوم .. فكانت الطرقات المفضية اليه ــ فى منطقة ( بيت القاضى ) ــ غاصة بالناس ، وقد رأيت بينهم جماعات من « الغوازى » ( الراقصات ) ! وهؤلاء الفتيات سافرات ، غير محجبات ، بينهن جميلات ، وقد ارتدين ثيابا تكشف عن مفاتن أجسامهن !

وما ان دخلت المسجد ، حتى ذهلت لما زخر به من زائرين

معظمهم من نساء الطبقتين الوسطى والدنيا ، ومن الأطفال .. وكانت الضوضاء بدرجة لم أعهدها من قبل قط فى هـــذا المسجد الذى يمتاز بأنه أقدس مساجد القاهرة جميعا !.. وفى ركن من المسجد رأيت صفين من « الدراويش » يجلس احدهما تجاه الآخر ، تأهبا للذكر . وشققت طريقى نحوهم ، فلما اقتربت وجدت الدراويش ينتمون الى مختلف الجنسيات والمذاهب : فكان بعضهم يرتدى العمامة والزى المألوف فى مصر ، بينما كان بعضهم يرتدى « القاووق » التركى وغيرهم كانوا يرتدون الطواقى العالية ، أو الطراطير .. وكان أحدهم يلبس قلنسوة بيضاء نقشت عليها ــ بحروف سوداء ــ اسماء الخلفاء الراشدين ، والحسن والحسين ، والأولياء مؤسسى الطرق الصوفية !

## مع موكب النور ..

• **وفى** نهاية شهر « صفر » ، تحين أوبة الحجاج والمحمل من الاراضى المقدســة ، فتزين البيـوت لاستقبـال الحجـاج العائدين ، وتنقش الرسوم والادعية على أبوابها .. وقـد اكتسب الشهر من هذه المناسبة اسما خاصا هو « نزلةالحج » . وفى اليوم الرابع او الخامس ــ قبل وصول موكب الحج ــ يفد على القاهرة ضابط يلقب ب « شاويش الحج » ، فيطوف بالمدينة وخلفه اثنان من البدو ، اعلانا لقرب وصول الموكب .. وينتهى مطاف « الشاويش » الى القلعة حيث يرفع بشراههذه الى « الباشا » ــ الوالى ــ ثم ينهمك فى توزيع مايكون قـد حملهمعه منرسائل الحجاج الىذويهم ، فيصيبه من وراء ذلك فيض من هدايا اصحاب هذه الرسائل

وفى اليوم الثالث قبل وصول الحجاج ، يخرج أقاربهم ــ رجالا ونساء ــ ليستقبلوهم فى عرض الطريق خارج المدينة ، وهم يحملون لهم ثيابا جديدة ــ او نظيفة على الاقل ــ وبعض

الأغذية الشهية .. وانى لأكتب هذا الوصف عقب خروجى لمشاهدة « نزلة الحج » فى سنة ١٨٢٤ ( ١٢٥٠ هجرية ) . فلما أهل الموكب ، اذا بكل حاج يعتلى صهوة جمل ، ومن حوله الاعلام والبيارق وضاربو الدفوف ، تتبعهم المنشدات .. كذلك صادفت فى طريقى جماعات كثيرة من النساء اللائى بكرن فى الخروج ليسألن عن أقاربهن ، ثم ارتددن نائحات نادبات اذ تلقين نعيهم !

وبعد شروق الشمس بحوالى ساعتين ونصف ساعة ،بدأت القافلة تسعى الى أبواب المدينة ، ثم تشعبت الى ثلاث شعب ، اتجهت احداها الى « باب النصر » ، والثانية الى « باب الفتوح »، والثالثة الى « باب العدوى » .. وتطوف الشعب عادة بشوارع المدينة، ثم يتجه كل حاج فى موكب خاص الى داره. فاذا أوى اليها ، توافد أصحابه ومعارفه ــ ليلا ــ لتهنئته . وتسمى زيارتهم هذه « زيارة النزلة » .. **ويظل الحاج فى بيته أسبوعا كاملا لايبرحه . فاذا كان اليوم السابع ، خرج ليزور أصدقاءه ومعارفه ، فيوزع عليهم مايكون قد حمله معه من هدايا مختلفة من الأراضى المقدسة .. وتسمى تلك (( زيارة السبوع ))!**

ولقد سرت ــ بعد مشاهدة الموكب ــ الى الموقع الذى قضت فيه القافلة ليلتها السابقة ، فاذا « أمير الحج » وضباطه وجنوده ومرافقوه قد عسكروا بمعزل عن بقية القافلة ، وقد غرست فى الارض حربة ــ الى جانب خيمة الأمير ــ وقف الى جوارها « المحمل » وعليه كسوة الرحيل موشاة بنقوش وآيات !

فاذا كان الصباح التالى لدخول الحجاج المدينة ، بدأ موكب المحمل سيره . **والمحمل من التقاليد القديمة ، ويقال ان (( الظاهر بيبرس )) هو اول من ابتدع هذا التقليد ، وان كان التاريخ يقرر ان (( شجرة الدر )) قد سبقته اليه ، وكان يسمى فى عهدها (( الهودج ))**

وشاهدت المحمل وهو يدخل المدينة خلال « باب النصر » ،

بعد مشرق الشمس بساعة ، وخلفه تلك الشخصية الطريفة : «شيخ الجمل » ، وهو شيخ مكتهل طويل الشعر ، يكاد يكون عارى الجسد ، اذ لايستره سوى سروال قديم .. وهو لايكف عن هز رأسه يمينا وشمالا ، مشرفا على الناس من فوق جمله الذى يتبع جمل المحمل .. وكان من المعتاد ان تركب الجمل التالى لجمل « شيخ المحمل » امرأة يقال لها « أم القطط » ، اذ انها تحمل خمس أو ست قطط ، ولا يستر جسدها — هى الأخرى — سوى قميص .. ثم يتبع هؤلاء فريق من الفرسان الأتراك على صهوات الجياد ، يتبعهم عشرون جملا مزدانة بالاسرجة الملونة ، وقد حملت تحفا معدنية .. ثم ينتهى الموكب بمجموعة كبيرة من فرسان البدو . وعلى هذا النحو يطوف الموكب بطرقات المدينة وشوارعها الرئيسية ، حتى ينتهى به المطاف الى مقر « الباشا » فى القلعة !

## مغامرات « ابو زيد الهلالى » .. فى ليالى مولد النبى

• **فاذا** كانت الايام الاولى من شهر ربيع الأول ، احتفل المصريون بمولد النبى ، فتقام السرادقات الواسعة فى منطقة « بركة الأزبكية » — ( مكان حديقة الأزبكية الآن ) — وتمتلىء هذه السرادقات بحلقات الذكر ، ويقام فى وسطها صار من الصاريات الطويلة ، تتدلى منه مجموعة كبيرة من المصابيح يلتف حولها الذاكرون ، بينما يلتف الناس فى الطرقات المحيطة حول « الشاعر » — أو « المحدث » — ينصتون الى ما يقصه عليهم من أمر « أبو زيد الهلالى » ومغامراته .. ذلك فى النهار ، اما فى الليل ، فان مواكب الدراويش تتوافد على المكان حاملة مصابيح رفعت على عصى طويلة .. وتسمى « مواكب الاشارة » !

وتستمر الاحتفالات على هذا النحو ، حتى اذا كانت ليلة اليوم الثانى عشر ونهاره ، ازدادت الاحتفالات والمواكب .

ولقد خرجت لمشاهدة هذه الاحتفالات فى ليلة المولد ، فمررت بشارع « سوق البكرى » ، فى الطـرف الجنوبى من بركة الازبكية ، فاذا مجموعة كبيرة من رجال الذكر قد اصطفوا فى أردية خضراء ، وهم يجلسون على حشيـات مفروشة ، تحت ثريا حملت حوالى ثلاثمائة مصباح ، وشرعوا يتمايلون يمنة ويسرة وهم يكررون بصوت خفيض منغوم : « لا اله الا الله ».
**وتعالت حولهم أصوات المنشدين . وما لبثوا ان انتفضـوا قائمين ، واندمج بينهم رجل أسود طويل القامة ، عرفت انه .. طواشى « الباشا » .. واشتد بالذاكرين الحماس ، ولكن العبد .. اقهم ، فاذا بحركاته تبلغ ذروة العنف .. وراح يطوح يديه ورأسه وهو يصيح فى هياج صاخب : « الله .. الله .. الله » .. ومالبث ان خر على الارض وقد تشنجت أطرافه ، وانبعث الزبد من فمه .. فقد صار « ملبوسا » !..** وكانت نوبة من الصرع لايستطيع من يراها ان يزعم انها مصطنعة ، فهى بلاشك نتيجة انفعال دينى شديد . ولم يبد أحد أى دهشة أو انزعاج ، بل استمر الذكر ، وتكررتهاوى «الملبوسين» .. حتى صلاة الفجر !

## جواد يدوس الدراويش .. فى موكب « الدوسة » !

• **وقبيل** ظهر اليوم التالى ، تكاثر الناس حول بركة الأزبكية والمنطقة المحيطة بها .. وبعد صلاة الظهر ، غادر امام وخطيب مسجد الحسين ، المسجد ، على صهوة جواده ، ميمما شطر بيت الشيخ البكرى ــ الذى يرأس جميع الطرق الصوفية فى مصر ــ بعد ان قضى الليلة السالفة فى عزلة يتلو القرآن ويردد ادعية خاصة .. وكانت تحيط بالشيخ ، الذى كان يدعى الشيخ المنزلاوى ، جموع من دراويش الطريقة السعدية التى يرأسها .. وسار هذا الموكب ــ الذى يسمى «موكب الدوسه» ــ من مسجد الحسين حتى بلغ بيت الشيخ البكرى ، وهناك

رأيت أغرب منظر ، اذ ارتمى عدد من الدراويش على الارض ، منبطحين على وجوههم ، وأجسادهم متلاصقة ، فى طريق جواد الشيخ المنزلاوى .. **وما لبث أن سار فوقهم اثنا عشر درويشا ، ثم انبرى اثنان منهم فأمسكا بعنان جواد الشيخ ، وقاداه فوق الاجساد المنبطحة .. وانبعثت من المتفرجين صيحة عالية : « الله .. الـ لا .. لا .. لاه ! »**

عجيب أمر هؤلاء الدراويش !.. لقد سار الجواد عليهم جميعا ، يدوسهم بسنابكه ، فلا يتجاوز الواحد منهم ، حتى ينتفض الرجل قائما ويتابع الجواد .. ويقال انهم يستخدمون بعض الاسماء السحرية لتقيهم أذى هذه « الدوسة » ! (١)

وكانت لهم عادة اخرى ، اذ يجتمعون فى حديقة بيت الشيخ البكرى ، ويأتون بثعابين نزعت عنها انيابها السامة ، فيقضم الواحد منهم رأس احدى الافاعى ويلوكه ثم يبتلعه ! ولكن الشيخ حرم عليهم هذه العادة ، لمجافاتها للدين (٢)



## الاتراك يطوفون بضريح الحسين

• **وفى** شهر « ربيع الثانى » امتلأ مسجد الحسين بالناس ،

(١) ظلت هذه العادة متبعة حتى حمل عليها الشيخ محمد عبده وحاربها باعتبارها بدعة مذمومة

(٢) فى الجزء الثانى من قصة « بيللا دونا » - الذى صدرت به مطبوعات كتابى - وصف طريف لذلك

وتلألأت فيه اضواء القناديل والشموع ـ اربعة عشر يوما وخمس عشرة ليلة ـ احتفالا بمولد الحسين .. وكان يتناوب شراء واضاءة القناديل والشموع الطويلة اشخاص وهيئات معينة ، فيتولاها فى الليلة الاولى « ناظر المسجد » ، وفى الليلة التالية محافظ المدينة ، ثم طبقات الدراويش والطوائف الصوفية تباعا ، حتى تنقضى فترة الاحتفال

ومن المعتاد ان تسهر الشوارع المحيطة بالمسجد ـ فى تلك الليالى ـ حتى الفجر ، فتظل حوانيت الطعام والشراب مفتوحة، وتغص المقاهى بالرواد ، وتطوف « مواكب الاشارة » بالطرقات على اضواء المشاعل ، وهي تدق الدفوف .. وينبث الشعراء والمنشدون فى كل مكان يقصون الروايات شعرا ونثرا ..

أما المسجد فتتناثر فيه حلقات تقرأ بعض سور معينة من القرآن، ويطلق على كل حلقة منها اسم «المقرأ» . **ومن الحلقات من يقرأ افرادها معا « دلائل الخيرات » فى صوت سريع منغوم ، وتزداد سرعة القراءة رويدا ، حتى تختلط اصواتهم وكلماتهم فلا تتبين الآذان منها الا أزيزا !**

وفى الغرفة القائمة تحت قبة المسجد ، وجدت كثيرا من الاتراك يطوفون بالضريح !

## الدراويش « العيسوية » .. يأكلون الجمر وهم يرقصون !

• **ولم** ألبث أن سمعت دقات الدفوف تتعالى من أقصى المسجد ، فسعيت الى هناك ، لأشهد أغرب عرض فى ذلك المولد ، ويقوم به الدراويش « العيسوية » .. وهم دراويش من بلاد المغرب ، يتبعون « سيدى محمد بن عيسى »

.. رأيت نحو عشرين درويشا منهم يجلسون فى حلقة وهم يدقون دفوفا امسكوا بها فى أيديهم ، بينما أخذ اثنان منهم يرقصان ـ خارج الحلقة ـ على دقات الدفوف واصوات «الذكيرة» الذين كانوا يرددون : «الله ،الله مولانا» !.. على ان

رقصهما لم يكن منتظما متناسقا ، وانما كان يتألف من حركات « هستيرية » .. فكان الواحد منهم يدور حول نفسه ، وينحنى الى الامام والى الخلف ، ويأتى مايعن له من حركات دون ان يتقيد بنظام معين !

وبعد دقائق ، اشتد تحمس واحد من الراقصين ، واصبحت حركاته بدائية ثائرة عنيفة ، ثم اندفع الى وسط الحلقة ، فقدم له قارعو الدفوف طبقا مليئا بالجمر المتوهج .. **واذا به يتناول قطعة ملتهبة منه ، فيقذف بها الى فمه ، ثم يتبعها بثانية فثالثة ، حتى امتلأ فمه بالجمر المتقد فأخذ يلوكه بين شدقيه الى ان ابتلعه عن آخره بعد ان ظل فى فمه حوالى ثلاث دقائق ، لم يبد على الرجل خلالها اى ألم ، بل لاح كأن الجمر كان يكسبه نشاطا وحمية !..** ومالبث زميله ان قفز الى وسط الحلقة ، فانتقى اكبر قطعة من الجمر ودسها فى فمه ، ثم أبقاه مفتوحا حوالى دقيقتين ، فكانت أنفاسه تزيد الجمرة توهجا .. واخيرا ، مضغها ثم ابتلعها وعاد الى الرقص دون ان يظهر عليه أى ألم أو ارهاق !

وفى آخر ليالى المولد ــ وتسمى « الليلة الكبيرة » ــ علقت القناديل على ابواب الحوانيت والوكالات والبيوت فى ارجاء المدينة ، وأوقدت هذه القناديل فى الليل فأحالته نهارا .. وغادر الناس بيوتهم ، وأخذت المواكب الصوفية تجوس خلال الاحياء ساعية الى مسجد الحسين ، حيث أقيمت حلقات الذكر

وكان الاعتقاد السائد هو ان النبى يحل بالمسجد فى ذلك اليوم ، ليرى زائرى حفيده فى عيد مولده ، ولذلك كان الناس يتكدسون فى مسجد الحسين يومذاك اكثر منهم فى أى يوم آخر !

### لماذا يحتفل بليلة الاسراء أمام مسجد الطشطوشى ؟

• **وفى** منتصف شهر « رجب » ، يحتفل الناس بمولد

السيدة زينب .. فاذا أوشك الشهر على نهايته، وحان اليوم السابع والعشرون ، احتفلوا فى مسائه بليلة « الاسراء والمعراج» ، فتسهر المدينة ،وتضاء مآذن المساجد الكبرى .. وفى ذلك اليوم ، يعاد مشهد « الدوسة » ، امام مسجدالشيخ الطشطوشي .. اما السر فى اختيار هذا المسجد دون سواه فله قصة :

يقال انه كان ثمة حاكم فى مصر ينكر استطاعة الرسول مبارحة فراشه وزيارة المسجد الاقصى والتنقل بين السموات فى ليلة واحدة .. وفى ذات يوم ، كان الحاكم يلعب الشطرنج مع وزيره ، واذا بالشيخ الطشطوشي يدخل عليهما .. وعرض الشيخ على الحاكم ان يلاعبه على ان يصدع المغلوب منهما بما يأمره به الغالب !.. وقدر للشيخ ان يهزم الحاكم ، فطلب اليه ان « يغطس » فى حوض مليء بالماء

**وما ان فعل الحاكم ، حتى رأى ـ وكأنه يشهد حلما ـ انه امرأة تعلق بها احد الخلفاء فتزوجها وانجب منها اولادا ، وسعد معها زمنا طويلا !.. ومالبث الحاكم ان استرد وعيه فخرج من الماء مفزوعا ، وروى لوزيره مارأى . وهنا ذكره الشيخ الطشطوشى بقصة الاسراء ، فآمن بها ..** ومنذ ذلك اليوم تقرر ان يكون الاحتفال بتلك الليلة امام ضريح الشيخ !

## قصة « شجرة المنتهى » فى ليلة نصف شعبان !

• **ويحتفل** القوم فى شهر « شعبان » بمولد الامام الشافعى ولليلة النصف من هذا الشهر شأن عظيم لدى المسلمين . فهم يعتقدون ان فى السماء شجرة تسمى « شجرة المنتهى »، تحمل من الاوراق عددا يساوى عدد بنى البشر ، وقد كتب على كل ورقة اسم واحد من بنى آدم .. **فاذا كانت ليلة النصف من شهر شعبان ، اهتزت الشجرة فسقطت عنها بعض اوراقها .. بعدد من قدر عليهم ان يودعوا الحياة خلال**

**السنة !**

لذلك نراهم يحيون هذه الليلة بالذكر والادعية ، كمايرددون فى المساجد والبيوت دعاء خاصا .. هو دعاء نصف شعبان !

**(( رمضان )) .. بعد (( شعبان )) !**

• **وهناك** احتفالات شهر « رمضان » !

ففى آخر ليالى شعبان ، يوفد الى الصحراء عدد من الرجال ليحاولوا رؤية الهلال الوليد .. ويسير موكب « المحتسب » من القلعة الى بيت القاضى ، يتبعه مشايخ الحرف ، والجنود ، والمنشدون والموسيقيون . ويمكثون عند بيت القاضى ، حتى يعود واحد ممن اوفدوا لمشاهدة الهلال ، أو يتقدم من يؤكد رؤيته . **واذ ذاك ينطلق الموكب فيتفرق الى جماعات تجوس خلال المدينة ، وهى تعلن : (( يا أمة خير الانام .. غدا صيام ! صيام ! )) .. اما اذا لم تكن الرؤية قد تأكدت ، فانهم يصيحون: (( غدا من شهر شعبان .. افطار ! افطار ! ))**

وفى الحالة الاولى يسهر الناس فى سرور ومرح حتى الفجر ، وتفتح حوانيت المأكولات والمشروبات ابوابها طيلة الليل ، وتعلق المصابيح على المآذن .. وبعد ان يصلى القوم الفجر ، تسكن الحركة ، وتنام المدينة ، فلا ترى الناس فى الطرقات الا عندما يشرف ضحى النهار التالى على نهـايته ، وتغلق الحوانيت أبوابها أثناء النهار !.. فاذا اقترب غـروب الشمس ، دبت الحركة شيئا ما فى الطرقات ، ويعود الى البيوت من كانوا خارجها وهم يحملون لفافات المأكولات .. ويجلس رب البيت - فى معظم الاحيان - فى قاعة الاستقبال بداره ، بين الذين دعاهم الى الافطار من أصدقائه . ثم تمد امامهم « صينية » تحمل بعض الحلوى والشراب والياميش ، والوانا من الطعام

فاذا ماسمعوا المؤذن يدعو الى صلاة المغرب ، تناول كل منهم قدحا من الشراب ، يتبعه ببعض الحلوى و « النقل » ،

ثم ينهضون الى الصلاة ، ويعودون بعد أدائها فيتناولون الطعام .. وتقضى المدينة ليلها ساهرة متلألئة الانوار .. ولكن هذه السهرة لاتنقضى حتى نشهد شخصية من أهم معالم رمضان : شخصية « المسحراتى »

ويبدأ المسحراتى طوافه بعدالعشاء ، ممسكا فى يسراه بطبلة، وفى يمناه بعود يطرقها به ، ويتبعه غلام يحمل قنديلين لانارة طريقه .. وهكذا يطوف المسحراتى بالبيوت ، مناديا ساكنيها بأسمائهم ، فيما عدا النساء .. وبين وقت وآخر ، تطل عليه امرأة من « المشربية » ، فتلقى اليه بقرش – او بضعة قروش – فى ورقة مشتعلة ليتبين مكان سقوطها . واذ ذاك يقف ليروى بعض القصص !

**والليالى العشر الاخيرة تحاط بجو غامض طريف . فقد نزل فيها القرآن ، ولكن احدا لايدرى فى أية ليلة منها كان نزوله .. انها ليلة مجهولة ، ليلة القدر .** على انها وان كانت مجهولة ، الا ان لها امارات .. وقد كان يقال ان الماء الملح يتحول فيها الى ماء عذب ، ولذلك كان كثيرون من الناس يحتفظون فى بيوتهم بآنية بها ماء ملح يتذوقونه فى كل ليلة ، عسى ان يجدوه عذبا ، فيتعرفوا على الليلة المباركة !

## زيارة المقابر .. فى اول ايام عيد الفطر

• **وينقضى** رمضان ، فاذا الايام الثلاثة الأولى من «شوال»، هى ايام عيد الفطر

وفى اليوم الاول منها ، يرتدى الناس ثيابا جديدا ، أو نظيفة – على الاقل – ان لم يستطع احدهم شراء جديد .. ويقصدون المساجد فى الصباح لتأدية « صلاة العيد » ، فاذا رجعوا الى بيوتهم ، توافد عليهم الاصدقاء مهنئين ، وأخذوا يوزعون « العيدية » بسخاء على الخدم والاطفال ..

ويتناول المسلمون عادة – فى هذا العيد – الكعك والسمك،



المجفف المملح . ويختلفون الى المقابر فى صباح اليوم الاول ، حاملين اعواد «الجريد» والريحان ينثرونها فوق القبور وهم يقرأون القرآن ، أو يكرمون من يقرأه على ارواح موتاهم .. ومنهم من يقضون الليل فى خيام تضرب بين القبور ، ومن ثم فقد كان من المعتاد ان تقام فى المقابر سرادقات يروى فيها الشعراء قصة « أبو زيد » ، وينشد المنشدون القصائد ، ويرقص الراقصون !

## احتفالات صاخبة .. قبل سفر كسوة الكعبة

• **وتنقضى** بعد العيد ثلاثة ايام ، ثم تحمل « كسوة الكعبة » من القلعة ـ حيث تصنع على نفقة السلطان ـ الى مسجد الحسين ، على اربع حمير يتبعها جمع من الدراويش ، ثم عدد من الجمال المصبوغة بالحناء ، ثم فريق من «الرفاعية» يمسك كل منهم بقضيب يدفعه فى عينيه ثم ينتزعه دون ان يبدو عليه أثر جرح !.. ويلى ذلك ضابط تركى يحمل مفتاح الكعبة .. وفى النهاية ، يقبل « شيخ الجمل » كما وصفناه من قبل ! .. على ان المحمل لا يسافر الى مكة الا فى الثالث والعشرين من شوال ، فيتحرك فى موكب صاخب غريب . **اذ تدق الطبول ، ويسير خمسمائة فارس تركى فى صف طويل ، تتبعهم ابل محملة بالزاد .. وينقضى نصف ساعة ثم تقبل طوائف الدراويش ، تتبعها جمال مصبوغة بالحناء ومزدانة بسعف النخيل ، يليها « التختروان » المعد لامير الحج .. وفى أثره خمسون من خدم « الباشا » ـ الوالى ـ فى ثياب مختلفة الالوان ، ثم جماعة**

**من الضباط ، يعقبهم رجلان شبه عاريين ، وهما يتبارزان بالسيوف .. وينتهى هذا الجزء من الموكب بدراويش يصيحون بالابتهالات والصلوات على النبى !**

ويسود الصمت نصف ساعة ، والناس على جانبى الطرق ينتظرون .. ثم ينبعث صوت الطبول مقبلا من بعد ، معلنا مقدم صفوف طويلة من جنود النظام ، يظهر فى وسطها الوالى وامير الحج تحف بهما مجموعة من الكتاب والمبلغين الذين سيبلغون الدعوات على جبل عرفات .. ويتبع ذلك فريق من الحمالين و « السقايين » الذين يحملون قرب الماء على ظهورهم لتزويد المسافرين بما يقيهم العطش .. ويقبل بعد ذلك أئمة المذاهب الاسلامية الاربعة فى مصر ، وخلفهم ارباب الحرف والصناعات .. ثم يظهر المحمل من بعيد ، فتتعالى الصيحات ، ويتدافع الناس متنافسين للمس الكسوة التى ستوضع على قبر الرسول !

## شم النسيم .. ووفاء النيل

• **وفى** العاشر من « ذى الحجة » يحتفل المسلمون بآخر اعياد السنة : عيد الاضحى .. ولا تختلف مظاهر الاحتفال به عما يتبع فى عيد الفطر ، اللهم الا فى نحر الذبائح

على ان ثمة أعيادا اخرى للمصريين ــ الى جانب تلك الاعياد الدينية ــ منها شم النسيم ، ووفاء النيل .. ويبدأ الاستعداد لاولهما منذ يوم الاربعاء السابق عليه ــ وهو أربعاء ايوب ــ فيغتسل القوم بالماء البارد و « رعرع أيوب » اعتقادا منهم بأن ذلك يشفيهم من جميع الاسقام !.. وفى يومى الخميس والجمعة يقبلون على أكل البيض المصبوغ بمختلف الالوان ، ويصنعون صنفا من الطعام يقال له « الخلطة » ، يتألف من « الكشك » و « الفول النابت » ! **.. فاذا كان « سبت النور » ، فانهم يكحلون اعينهم ــ رجالا ونساء ــ حتى اذا حل يوم الاثنين ،**

**وهو اول ايام الخماسين ، استيقظوا مع الفجر ، فيكسر الواحد منهم بصلة ويشمها ، ثم يخرجون الى الضواحى والخلاء .. ليشموا النسيم !**

ويعتقد المصريون أن ثمة نقطة من الماء تسقط فى النيل فى ليلة ١٧ يونيو - أو ١١ بؤونة على الأصح - فتسبب فيضانه.. ومن ثم فانهم يقضون تلك الليلة ساهرين ، ويوقدون المصابيح فى المنازل - لكل فرد مصباح - فيتركونها الى مطلع الفجر ثم يتفقدونها .. فمن كان مصباحه سليما كان ذلك بشيرا بأنه لن يموت فى ذلك العام !

ويبدأ النيل فى الازدياد التدريجى ، حتى اذا كان اليوم السابع والعشرين من بؤونة ، خرج فى كل حى مناد يعلن درجة ارتفاع النيل .. ويظل كذلك فى كل يوم ، ينبىء القوم بما يطرأ على النيل من ارتفاع ، حتى يبلغ الفيضان ذروته . واذ ذاك يعلن يوم « جبر البحر » ، فيخرج الناس فى المراكب الى الخليج ، وتتوسط موكب المراكب فى النيل سفينة - كانت تستخدم من قبل لالقاء عروس النيل - وعليها مدفعان يطلقان احتفالا بالمناسبة !

وفى الصباح التالى ، يتوجه محافظ المدينة وقاضيها الى سرادق يقام الى جوار مدخل الخليج ، حيث يكتب القاضى « حجة البحر » ، مثبتا ان النيل بلغ ذروة ارتفاعه .. **ثم يتجه موكب من المراكب الى الخليج عندما يفتح ، فيلقى المحافظ بكيس من العملات الذهبية لعمال الحفر ، كما يرمى بحفنة من الذهب فى النيل ، فيتبارى الرجال فى الغوص لالتقاط القطع الذهبية !**

عندما ترفع
الستار..



روائع
المسرح
العالمى
(التمثيلى ... والغنائى)

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :
• خطايا الحب • نزاهة الحكم • سلاح المرأة • فولبون • جيوكندا • كلام الناس • مدرسة الفضائح • سيرانو دى برجراك • لعبة الحب والموت • مروحة الليدى وندرمير • فاوست • فى سبيل الحب • الأم • الملك يلهو • الجنس الآلى • هرنانى • ترويض النمرة • الحياة نفاق • اغلال الحب • المنافق • بيت الليل • علموهم الحب • زوج مثالى • سالومى • مدرسة الأرامل • برهان الحب • لوسيد • كيف نقع فى حبائلهن • حلاق أشبيلية • كاليجولا • هوراس • حوادث سعيدة بالجملة • الهاربة من الفضيحة • رجل الأقدار • جوديث • نيكراسوف • أنباء مثيرة • البخيل

واليوم ، أقدم لك مسرحية ذات مغزى خاص :




تلخيص : ميخائيل بشاى

## لابد للجريمـــة .. من ثمن !

◆ للقدر سخريات لايفوقها شيء في مرارتها .. وله انتقام لاتضارعه في قسوته كل ألوان الانتقام البشرى ! .. لقد عاشت « مارتا » ـ بطلة هذه المسرحية ـ تحلم باليوم الذى تستريح فيه من عناء الخدمة فى الفندق الريفى المنعزل ، الذى كانت أمها تمتلكه .. عاشت تحلم بالحياة الرغدة ، وبالآمال التى تداعب قلوب العذارى عادة .. وكان مرور الاعوام يزيد من سعارها ولهفتها ، حتى انها لم تحجم عن ارتكاب الجريمة لتجمع من الاموال مايكفى لان تحقق أحلامها . وعندما خيل اليها أن الامانى قد دنت من التحقق ، صفعها القدر فى قسوة عنيفة ، أجاد تصويرها الكاتب الفرنسى « البير كامى » ، فى المسرحية التى يقدمها لك « كتابى » فيما يلى :

## الفصل الأول

◆ **ترفع** الستار عن البهو الرئيسى فى أحد الفنادق الريفية باقليم (مورافيا) ، ونرى « الأم » ـ صاحبة الفندق ـ وابنتها «مارتا» ، تتبادلان حديثا يدور حول نزيل يوشك ان يحل ضيفا عليهما ، فهما تتمنيان أن يكون غنيا ، وان يكون وحيدا كذلك .. فالنزيل الغنى ، الوحيد ، هو ـ دون غيره ـ الذى يلائم أغراضهما، ولو ان هذا «النوع» من النزلاء قدندر هبوطه على فندقهما فى الأعوام الأخيرة ، حتى لقد تعسرت أحوالهما ، وضاقت بهما سبل العيش

وتمضى مارتا فى شكاتها، فتقول لها الأم: « ان مطالب الأغنياء كثيرة » ،فتجيب مارتا : «ولكنهم يدفعون كثيرا ! » .. وبعد فترة صمت ، تستأنفان حديثهمـا ، فتكون الأم هى القلقـة ، المبادرة بالشكوى ، فى هذه المـرة ، ولكنها لاتلبث ان تحدث ابنتها عن الأمل الوحيد الذى يتراءى لهـا الآن : « اننى أتطلع

فقط الى الطمأنينة والدعة ، والى شيء من الراحة بعد طول العناء .. وثمة ليال يراودنى فيها ما يشبه أن يكون أحاسيس دينية ! ففى نهاية العمر ، يمكن للمرء ان يترك نفسه على سجيتها ، ولا يستطيع ان يتشدد على الدوام ويقسو . كما تفعلين يا مارتا .. انك تأخذين الحياة بكثير من الجد ، وهذا شيء لا يناسب سنك ، وانى لأعرف فتيات ولدن معك فى عام واحد ، ولا يحلمن الا بالحماقات ! »

**مارتا :** ولكن حماقاتهن لاتقاس بما نرتكب ، كما تعرفين !

**ويتقدم الحديث خطوة ، فاذا بسر المرأتين ينكشف ، واذا نحن أمام قاتلتين عريقتين فى الاجرام ، قد استمدتا قسوة القلب من قسوة الحياة !.. فكلما حل بفندقهما ضيف وحيد غنى ، قدمتا اليه المخدر فى قدح الشاى ، حتى اذا فقد وعيه ، جردتاه من ماله واوراقه ، وحملتاه الى النهر فغيبتاه فى جوفه ، وسره معه !**

ولكن الحديث يكشف لنا - كذلك - عن موقف كل من المرأتين من هذا الاجرام .. فان الأم تؤثر ان تكفا عنه ، وهى تعانى من عذاب الضمير اكثر مما تكابد من وطأة الفقر والشيخوخة .. بل انها - الى جانب ذلك - تحس ضعفا ازاء الرجل الذى كان يوشك ان يحل بالفندق ، وتود فى قرارة نفسها لو تتيح له الأقدار ان يفلت من أيديهما !.. ولكن «مارتا» على النقيض من ذلك .. فهى تصر على قتله ، وتعلق على ذلك - وعلى ما ستستولى عليه من ماله - سعادتها الوشيكة ! .. ولا تملك الأم الا ان توافقها ، وهى مغلوبة على أمرها .. وتلاحظ الفتاة ان أمها توافق وهى كارهة

**مارتا :** أراك تقولين هذا بطريقة غريبة !

**الأم :** الحق اننى متعبة ، وأود - على الأقل - أن يكون ذلك هو الرجل الأخير .. فالقتل مزعج الى حد يثير الفزع ! ورغم انه لايهمنى أن أموت على ساحل البحر أو فى وسط سهولنا ،

فانني اود أن نرحل بعد ذلك معا !

**مارتا :** سنرحل! تمالكى نفسك يا أماه، فلم يبق الا القليل.. انه سيشرب قدح الشاى ، وينام . ولسوف نحمله ــ وهو لايزال ينبض بالحياة ــ الى النهر ! لقد قلت لى يوما ان ضحايانا يعانون أقل مما يعانى غيرهم ، وان الحياة اكثر قسوة منا !.. تمالكى نفسك يا أماه ، ولسوف تجدين الراحة التى تبتغين ، كما اننى سأرى فى النهاية ما لم أر من قبل !

ويدخل خادمهما الشيخ ، فيأخذ مجلسه وراء المكتب دون ان ينبس بكلمة . وتنهض الأم فتنسحب ناحية الباب وهى تقول لابنتها : «أعدى كل شىء يامارتا .. اذا كان الأمر يساوى حقا ما نعانى فى سبيله ! » .. ولا تلبث الفتاة ان تغادر المكان بدورها

★ ★ ★

• **ويفد** « جان » ــ النزيل ــ فيخرج الخادم الشيخ ، ولا تلبث ان تقبل «ماريا» زوجة جان .. ويسؤوه مقدمها ، الا انها تبدى له ما يساورها من قلق . . فهى لاتريد منه أن يبعد عنها ، اذ انهما كانا ينزلان فى فندق آخر ، ولكن جان رغب فى ان يدعها فى ذلك الفندق ليقضى ليلته فى فندق الأم وابنتها . وتحاول «ماريا» ان تثنى زوجها عن عزمه ، ولكنه كان مسوقا الى هذا المكان بفكرة معينة تجعله يتشبث بالمبيت فيه !.. واذ ذاك تسأله : « اهذا هو المكان ؟ »

**جان :** أجل ، انه هو .. ومن هذا الباب خرجت منذ عشرين عاما !

**ماريا :** لا أستطيع ان أصدق أنهما لم تتعرفا عليك بمجرد أن رأتاك ، فالأم خليقة بأن تعرف ولدها . . وهذا اقل ما يمكنها عمله !

**جان :** اجل ، ولكن عشرين عاما من الفراق تغير الأشياء

قليلا . ولقد طعنت أمي في السن ، وضعف بصرها ، فلم أكد أعرفها أنا نفسي !.. **لقد جئت الى هنا أحمل معي حظي ، والسعادة .. اذا استطعت أن أحققها !..** فقد ادركت ـ عندما علمت بوفاة ابي ـ ان على مسئوليات نحو الاثنتين !

**ماريا :** ولماذا لم تعلنهما بحضورك ؟

**جان :** لسوف استطلع أحوالهما عن كثب ، وارى ما يحقق لهما السعادة .. ثم ابحث ـ بعد ذلك ـ عن وسيلة لأعرفهما بنفسي

**ولكنها تأبى ان يتركها تبيت وحدها في فندق آخر ، ليقضي هو ليلته في هذا الفندق ، لا لشيء الا ليستطلع في الخفاء أحوال المرأتين اللتين عرفنا الآن أنهما .. أمه وأخته !**

**ماريا :** قد تكون على صواب ، فأرجو عفوك . ولكنني أسيء الظن بكل شيء منذ حللت بهذا البلد الذي أتلمس فيه ـ دون جدوى ـ طلعة سعيدة ! .. لنرحل ياجان ، فلن نعثر على السعادة ها هنا !

**جان :** ليست السعادة هي البغية التي جئنا نبحث عنها .. فنحن نحظى بها بالفعل

**ماريا :** فلماذا لا نقنع بها ؟

**جان :** ليست السعادة كل شيء . . وللرجال واجبات يلتزمون بها ، فمن واجبي ان أبحث عن أمي ، وان أجد موطنا لي . انما يفتقد المرء سعادته في الغربة أو في غمرة النسيان ، وهو لايستطيع أن يظل على الدوام غريبا . **حقيقة ان الانسان في حاجة الى السعادة ، ولكنه في حاجة ايضا الى ان يجد ما ينتسب اليه !**

وأمام اصراره هذا ، **لاتملك ماريا الا ان تتركه** وتمضي واجفة ملتاعة ، بينما يبقى جان ، فلا تلبث ان تفد مارتا ، وتسأله في خشونة ان يدلي اليها بالبيانات المألوفة كي تكتبها في سجل الفندق . ويفكر في ان ينتهز الفرصة ليكشف لها عن شخصيته ،

ولكنه يجد نفسه حائرا بين رغبتين تتنازعانه : فهو يريد ان يفصح عن الحقيقة ، ولكنه يريد كذلك ان يستخفى الى حين . وينتهى من حيرته الى ان يذكر لها اسما مستعارا ، ويتعثر فى حديثه الذى يلتوى ويصبح كالألغاز. فاذا ما سألته مارتا عن المكان الذى سيقصد اليه بعد مبارحته الفندق ، اجاب مراوغا : « لست أعلم .. ان هذا سيتوقف على اعتبارات شتى ! »

**مارتا :** أتريد أن تستقر هنا ؟

**جان :** سوف أقرر الامر على ضوء الدواعى التى أراها !

**مارتا :** ألا ينتظرك أحد ؟

**جان :** مبدئيا .. لا أحد !

ولكنها حين تطلب منه ما يثبت شخصيته ، يرحب بالفرصة ويقدم اليها جواز سفره ، مؤملا أن تعرف الحقيقة من تلقاء نفسها . **ولكنها تترك البطاقة بين يديها ، اذ يشرد ذهنها فتحلم بأشياء أخرى ، ولا تلبث أن ترد البطاقة اليه دون أن تنظر فيها ! ! .. ولعلنا نفهم – من تلقاء أنفسنا – ان ما ذكره عن عدم وجود من يرتقب عودته قد طمأنها الى انها وقعت على صيد طيب !**

ويحاول جان أن يستدل منها على نوع الحياة التى تحياها هى وأمها ، ولكنها تصده فى شىء من الخشونة ، فان حياتهما شىء يخصهما وحدهما دون سواهما .. أما اذا كان يصر على الكلام ، فليتحدث عن نفسه ، بينما تكتفى هى بالانصات اليه . فالانصات هو بعض الواجب الذى تتناول وأمها عنه أجرا !

* * *

• **وتدخل الأم** ، فيدور بينها وبين جان حديث آخر ، وتتهيأ له الفرص الكثيرة ليكشف عن شخصيته .. ولكنه يتردد مرة أخرى ، فيعمد الى «الدوران» والالتواء فى الحديث . وهو يذكر فى خلال حديثه : المودة ، والقلب الوفى ، فتصرخ

فيه مارتا : « **ليس للقلب من عمل هنا ! !** » ، ولـكنه يفلح فى اثارة أشجان الأم !

**جان :** انك تلوحين مدركة للأمور . . أتقيمين فى هذا الفندق منذ أمد بعيد ؟

**الأم :** منـذ أعوام وأعوام كثـيرة ، حتى اننى لا أذكر كيف كانت بداية اقامتى . . بل اننى نسيت ما كنت عليه اذ ذاك ! . . ان هذه الفتاة ابنتى ، وقد لازمتنى طوال ذلك العهد ، فلهذا أعرفها . . ولعلهـا بغير ذلك كانت تصبح هى الأخرى نسيـا منسيا بالنسبة لى !

**جان :** أجل ، انى ادرك هذا . ولكن . . لو ان لك ولدا تعارك ساعده ، فما أراك كنت تنسينه ؟

**الأم :** ولدا ! . . أواه ، اننى امرأة طاعنة فى السن ، والعجائز لا يعرفن حتى كيف يحببن أولادهن ! . . لقـد وهن القلب يا سيدى !

ويثير حديث الأم ثائرة مارتا من جديد ، فتقف بينهما وتقطع حديثهما ، ثم تسلم جان مفتاح غرفتـه ، وتخرج . . واذ ذاك تهم الأم بالنهوض ، فيهب الشاب لمعاونتهـا ، ولـكنها تقول له : « خل عنك يا ولدى ، فلست عاجزة . انظر الى هاتين اليدين . . انهمـا لا تزالان قويتين ، وتستطيعـان ان تقبضـا على ساقى رجل ! »



ولا يجد جان ما يدعوه الى البقاء ، فيتجه الى غرفتـه . وتحدث الأم نفسها ، وهى تتأمل يديها : « انها لفـكرة غريبة ،

أن أحدثه عن يدى .. ولو أنه نظر اليهما ، فلعله كان يدرك مارفض أن يفهمه من حديث مارتا ! .. **ولكن ، لماذا يبدو جنوح هذا الرجل الى الموت شديدا ، ورغبتى فى معاودة القتل ضئيلة ؟** .. لكم أود أن يرحل ، فأستطيع أن ارقد فى هذه الليلة أيضا ، وأستغرق فى النوم. اننى طاعنة فى السن ، ولست أقوى على أن اطبق يدى على رسغيه ، وأشعر باهتزازات جسده على طول الطريق المؤدية الى النهر ، وابذل ذلك الجهد الاخير حين القيه فى الماء ، ثم أعود مرتخية الذراعين ، مبهورة الأنفاس ، مشلولة لا اقوى على نفض العرق الذى تفصد من جسدى .. لا بأس ! .. ان الضحية فى ابانها ! »

**وتدخل مارتا ثائرة ، فتطلب الى امها أن تبادر الى العمل ولا تجعل لمشاعرها سلطانا عليها .** فتجيبها الأم : « أرجو أن تكون هذه آخر مرة نضطر فيها الى ان نتجرد من مشاعرنا .. ولكنك تقولين لى هذا لكى تبددى ما يعاودنى من احساس ضئيل بالامانة ! »

**مارتا :** ان ما تسمينه احساسا بالأمانة ليس الا رغبة فى النوم !

**الأم :** الحق معك . ولكن ، لماذا ترسل الينا المصادفة ضحية قليلة الجاذبية مثل هذا الرجل ؟ !

**مارتا :** انه كثير الشرود ، وهو طيب الى حد كبير ، ولكن.. **ماذا يصير اليه العالم لو ان المحكوم عليهم اشاعوا فى جلاديهم أحاسيس العطف والرحمة ؟ !**

**الأم :** ولكننى اليوم متعبة ، وأنت ثائرة ، فلماذا نتشبث بالعناد ونطرح كل اعتبار ، فى سبيل شىء من المال ؟

**مارتا :** كلا ، ليس من أجل المال مانفعل ، ولكن من أجل نسيان هذا البلد ، ومن أجل بيت على شاطىء البحر .. ولئن كنت أنت قد سئمت حياتك هذه ، فاننى مضناة حتى الموت ، من هذا الأفق المغلق ! .. انك ، فى هذه السن المتقدمة ،

لا تريدين الا أن تغلقى عينيك ، وتنسى .. **أما أنا ، لتى تستشعر فى القلب قليلا من رغبات أعوام عمرها العشرين ، فأريد ان أحقق هذه الرغبات ، ولو تحتم على أن أوغل فى الحياة التى نريد أن نهجرها !**

**الأم :** ان من العسير أحيانا فهم امرأة عجوز ! ولكننى أريد أن أقول لك : ليس هذا المساء ! .. لنترك له هذه الليلة ، فقد تكون نجاتنا على يديه !

**مارتا :** اذن ، أقسم لك بأن نجاتنا فى متناول أيدينا بالفعل ، وليس علينا الا ان نخرج من هذا التردد .. فليكن ذلك الليلة ، والا فلن يكون مطلقا !

## الفصل الثانى

• **فاذا** كان الفصل الثانى ، انتقلنا الى غرفة جان ، والمساء فى أوله .. والرجل يحدث نفسه : « ان ماريا محقة ، فما أثقل هذه الساعة ! .. ترى ماذا تفعل هى الان ، وفيم تفكر ؟ .. لقد كانت ليالينا ـ هناك ـ تفيض بالسعادة . أما هنا فالأمر على النقيض . ولكننى لا أرى ما يدعو الى هذا القلق . انما يجب أن يعرف المرء ما يريد .. وفى هذه الغرفة سيعالج الموقف ، وتسوى الأمور ! »

وتدخل مارتا متعللة بتغيير المنشفة والماء ، فيدور بينهما حديث يتراوح بين الجفاف والرقة ، ويحدثها عن البلد الذى جاء منه .. فهو بلد جميل ، على شاطىء البحر ، نهاره شمس مشرقة ، وليله أعياد رائعة !

**وكأنه كان بهذا الحديث يعجل بمصيره ، اذ انه اذكى فى مارتا شوقها الى تحقيق أملها .. لقد كانت تتوق الى مبارحة الفندق ، وقضاء ما بقى من عمرها فى بلد كهذا الذى يصفه جان!**

**مارتا :** لطالما حلمت بتلك البقاع . وكثيرا ما اذكر فى مثل ربيعنا هذا الكئيب ، ما هنالك من بحر وأزهار ( فى صوت

أصم ، مجرد من العاطفة )وهذا الذى اتخيله يجعلنى عمياء عن كل ما حولى !

**جان** : اننى أقدر هذا . والحق أن الربيع ــ هناك ــ يغمرك، والأزهار التى تغطى الأسوار البيضاء تحيط بك من كل جانب. ولو أنك تنزهت ساعة بين الروابى الدائرة حول بلدى ، لعبقت اردانك بأريج ورودها الصفراء !

**مارتا** : ما أبدع ذلك ! .. أما ماندعوه ربيعا هنا ، فلا يعدو وردة وبرعمتين ، تتفتح فى حديقة الدير ، وهذا يكفى لفتنة الرجال فى بلدى ! .. ان روحهم شبيهة بتلك الوردة الضنينة ، وان لفحة قوية واحدة لخليقة بأن تيبسهم .. فلهم الربيع الذى يستحقون !

**جان** : ألاحظ أنك تخاطبيننى ــ للمرة الأولى ــ بلهجة انسانية !

**مارتا** : ان الشىء الانسانى الوحيد الذى عندى هو الرغبة.. **وفى سبيل الحصول على مشتهاى ، أرانى خليقة بأن أحطم كل شىء فى طريقى !**

وتخرج مارتا .. واذ ذاك يمضى جان الى الفراش فيجلس فوقه ، ثم يعود الى حديثه مع نفسه : « ان هذه الفتاة تحرضنى على أن أغادر المكان ، وان ألحق بماريا .. لكم أكون سعيدا اذ ذاك ! .. انها حماقة لعمرى ، فماذا ترانى أصنع هنا ؟ .. ولكن ، لا .. فها هنا أمى وأختى ، ولقد أغفلت أمرهما طويلا ! »

**وتعود أخته ، فتتقدم اليه الشاى ــ على الرغم من أنه لم يطلبه ــ وتخرج . ولا يكاد يفرغ فى جوفه محتويات القدح ، حتى يقرع الباب بشدة ، وتدخل الأم لكى تحاول أن تمنعه من احتساء القدح ، ولكنها حين تراه قد شربه ، تدرك ان لا جدوى من محاولة انقاذه !..** ويتبادلان حديثا قصيرا يعلنها فى خلاله بأنه سيغادر المكان لفوره ، بعد ان يعطيهما اجرة

المبيت . وتخرج الأم ، فيعود الى حديثه مع نفسه ، وقد بلغ منه الاعياء مبلغه بتأثير المخدر : « سأعود غدا بصحبة ماريا وسأقول : « هـذا أنا ! » ، ولن يعوقنى شىء عن جعلهما سعيدتين .. لقد كانت ماريا على حق .. أواه ! لست أحب هذا المساء الذى يبدو كل شىء فيه بعيدا بهذا الشكل . نعم .. ام .. لا ؟ ! » . ثم يغرق فى النوم !

* * *

• **ويقبل** الليل ، وتدخل المرأتان ومعهما ضوء ، يبدو تحته جسد النائم . وتحاول الأم – للمرة الأخيرة – ان تثنى ابنتها عن اقتراف الجريمة ، ولكن هذه تزداد اصرارا ، وتنتزع حافظة جان من جيبه ، فتحصى ما بها من نقود . بينما تسألها الأم ان تجلس قليلا ، فتهتف مارتا : « هنا ، بالقرب منه ؟ »

**الأم :** أجل ، ولم لا ؟ .. انه يوشك أن يمضى فى رقدة تنقله الى عالم بعيد .. انه لن يستيقظ وشيكا ، فيسألنا عما نفعل . أما عن بقية الدنيا ، فانها ستتوقف على باب هذه الغرفة المغلقة . فهو ، ونحن ، نستطيع أن ننعم فى سلام بهذه اللحظة وتلك السكينة ( تجلس ) أحرى بك ان تجلسى ، فان لدينا من الوقت ما يكفى . انظرى اليه ! .. انه الآن فى اللحظة التى يبدو فيها كل شىء – حتى مصيره – غريبا عنه ، وحيث تقبع مقدرات حياته فى ايد غير مكترثة .. **الا فلتبق يداى هاتان ، كما هما ، متراخيتين على فخذى حتى يطلع الفجر ، فيبعث من جديد ، دون أن يعرف شيئا مما حدث ! .. بل لتزحفا نحوه ، ولتصنعا حول رسغيه حلقات قاسية وتجرانه الى مصيره ، فيدخل – الى الأبد – فى عالم خال من الذكريات ! ..** انه الآن متخفف من أثقال حياته . انه لم يعد يعرف مايصحب تقرير الأمر من شجن ، ولا توتر الأعصاب ، ولا المضى فى عمل حتى النهاية ، ولا الذهول أو الوهن ! لم يعد يحمل صليب

هذه الحياة الداخلية التى تقضى على راحة النفس . وأعتقد أن هذه هى السعادة !

**مارتا :** ليس لدينا من الوقت مايكفى للتساؤل عن السعادة!

**الأم :** اكنت تعلمين برغبته فى الرحيل هذا المساء !

**مارتا :** لا ، لم أكن أعلم . ولو اننى علمت لما بدل هذا من خطتى شيئا ! . .انه هو الذى شجعنى على ان اقرر مصرعه . فلقد ترددت مثلك فى النهاية ، ولكنه حدثنى عن بلاد .. اتوق اليها ، وعرف كيف يمس مشاعرى ، فزودنى بسلاح ضده .

**الأم ( وهى تتقدم نحو السرير ) :** هيا ، يامارتا . . لكم يبدو لى ان ذلك الفجر لن يصل ابدا !

## الفصل الثالث

• **وترتفع** ستار الفصل الثالث والأخير ، فنرى الخادم الشيخ يكنس المكان ، ويرتب الاشياء .. وترى الأم ، ومارتا خلف المكتب ، تطرح شعرها الى الوراء ،وتمنى نفسها بتحقيق الآمال !



**مارتا :** هأنتذى ترين ان الفجر قد جاء ، واننا قد اوفينا على نهاية ذلك الليل !

**الأم :** اجل ! وفى غد سأشعر بأن انتهاءنا من ذلك العمل شىء طيب حقا . اما الآن ، فلست أحس الا بحاجتى الى النوم وبجفاف قلبى .. لقد كان الليل قاسيا !

**مارتا :** ولكن هذا الصباح هو أول صباح احياه منذ سنوات!.

لكأننى أسمع البحر سلفا ، وان فى نفسى لجبورا يدفعنى الى الصياح .. ألا دعينى أهنأ بسعادتى خلية البال ، فلقد عدت الشابة التى كنتها ! .. ان جسدى يستعيد دفئه ، وانى لأشعر برغبة فى الانطلاق .. ألا خبرينى ، يا أماه : أترينني لا أزال جميلة ؟

وبعد قليل تخرج الأم ، ويعثر الخادم على جواز سفر الابن ، فيفتحه ويتفحصه ، ثم يقدمه مفتوحا الى مارتا التى ترفض أن تأخذه ، ولكن يد الخادم تظل ممدودة به حتى تأخذه ، فيتركها وحدها ويخرج .. وتقرأ مارتا جواز السفر ، فتجمد فى مكانها دون ان يبدو عليها أثر لأى انفعال ، ثم تنادى امها وتعطيها اياه ، فتقرأه الأم بدورها ، وتتسمر عيناها على الكلمات فى صمت رهيب ! .. ولا تلبث أن تقرر أمرا ، ويدور بينها وبين ابنتها هذا الحوار الأليم :

**الأم :** ويحى ، لقد كنت أعرف أن الدائرة ستدور هكذا يوما !

**مارتا :** أماه !

**الأم :** دعينى يا مارتا ! لقد عشت مايكفى .. **عشت كثيرا ، أكثر من ولدى ، وليس هذا فى نظام الطبيعة ! .. الآن أستطيع أن انضم اليه فى أعماق ذلك النهر ، حيث تغطى الأعشاب وجهه !**

**مارتا :** أماه ! .. لن تتركينى وحيدة ؟ !

**الأم :** ان قلبى الهرم الذى كان يعتقد أنه بمنجاة من كل شىء ، يعود اليوم فيستشعر الألم . **وعندما تعجز أم عن أن تتعرف على ولدها ، فان دورها على الأرض يكون قد انتهى !**

**مارتا :** كلا .. انه لم ينته بعد ، طالما كانت سعادة ابنتها توشك أن تتحقق !

**الأم :** ان فى العالم قوى لاتقبل الانكار . وان لنا يقيننا على هذه الأرض .. وحب الوالدة لولدها هو الآن يقينى ! كيف أستطيع الآن أن اتحول عن حب ولدى ؟

**مارتا :** يا له من حب جميل نسيته عشرين عاما !

**الأم** : أجل ، حب جميل ظـل حيا خلال عشرين عاما من الصمت .. حسبى هذا الحب الجميل ، ما دمت لا استطيع أن أحيا خارجه !

**مارتا** : لا يمـكن ان تقولى ذلك دون ان يكون بنفسك ظل من ثورة ، ودون أن تفكرى فى ابنتك !

**الأم** : بل انه ممكن ، وان يكن قاسيا عليك .. لست أفكر فى شىء ، أو أثور على شىء ، وأحسب أن هذا هو العقاب !

**مارتا** : ما اعتدت ان تقولى هذا من قبل .. بل انك – فى خلال تلك الأعوام كلها – كنت تقفين بالقرب منى ، وتقبضين بيد ثابتة على سيقان اولئك الذين كتب عليهم الموت ! لم تكونى تفكرين اذ ذاك فى الحرية وفى الجحيم .. ومـا رأيت مرة ان الحياة حرام عليك !

**الأم** : كان الحزن خليقا بتغيير هذا كله . وماذا يعنى الحزن لمجرمة ؟ .. هأنتذى ترين انه ليس حزنا حقيقيا تعانيه أم .. فما ندت عنى صرخة .. ما هو الا معاناة لآلام مولد الحب من جديد ، وانها لتفوق احتمالى !

**مارتا** : لا تنسى اننى أنا الباقية على قيد الحياة ، وانه هو قد رحل ، وأنك وجدتنى بجوارك عمرا بأسره .. أما هو فقد القى بك فى زاوية النسيان ، فـلا بد لذلك من ثمن .. لقـد منحته الحياة كل ما تستطيع ان تمنحه انسانا . فلقد غادر هذا البلد ، وعرف البحر ، وعاشر قوما احرارا .. اما انا فقد بقيت هنا .. نشأت صغيرة كئيبة ملولا ، وكبرت فى جلمود هذه الاراضى .. ما من أحـد لثم فمى ، وحتى أنت لم ترى جسدى بغير ثياب ! .. ان ما حدث له ليس بضرر مهول ، اذ لم يبق فى الدنيا شىء لم يعرفه . أفينبغى ان يسلبنى حب أمى كذلك ، وان يقتادك الى غير نهاية ، فى صقيع نهره ؟

**ولكن الأم لا تنثنى عما اعتزمت ، فتخرج ساعية الى حيث تلقى مصيرها بجوار ابنها ، فى جوف النهر ! .. وحينئذ يجن**

**جنون الابنة ، وتنفجر فى صياح وحشي ، فتصب جام سخطها وحقدها على أمها وأخيها ، وتذكر الأحلام المنهارة ، والبحر الذى عشقته وتمنت أن تعيش على شطآنه ، حيث الشمس والهواء الطلق والحرية . وتتمثل لها وحدتها الرهيبة ، فتقرر أن تقتل نفسها هى الأخرى !**

* * *

. **ويطرق** الباب ، وتدخل ماريا سائلة عن زوجها ، فتخبرها مارتا بأنه .. قد مات !

وتذهل ماريا ، ولا تصدق ما تسمع ، ولكنها تطلب ان ترى زوجها ، ولو ميتا ! .. فتقول مارتا ان ذلك مستحيل لأنه الآن فى أعماق النهر حيث ألقته هى وأمها ، بعد أن خدرتاه !

**ماريا :** اننى اسمع من الكلمات ما لم يتردد قط على هذه الأرض ! **وبينما توقف كلماتك مجرى الحياة فى عروقى ، اعتقد اننى انما اسمعك تتحدثين عن كائن آخر غير هذا الذى شاركنى ليالى ، وعن تاريخ بعيد لم يكن لقلبى نصيب فيه ..** ولكن لماذا ، لماذا فعلتما ذلك ؟

**مارتا :** باسم من تسأليننى ؟

**ماريا ( صارخة ) :** باسم حبى !

**مارتا :** ماذا تعنى هذه الكلمة ؟

**ماريا :** تعنى ما يمزقنى الآن ، وينهشنى ! .. **تعنى ذلك الجنون الذى يهيىء يدى للقتل ! .. تعنى مسرتى الماضية ، وهذا الألم الجديد الذى تجلبينه الى . ولتعلمى ، ايتها المخبولة ، انه لولا ذلك الشك العنيد فى قلبى ، لعرفت ما تعنى هذه الكلمة ، حالما تشعرين بوجهك يتمزق تحت اظافرى ! ..** هاتى ، اوضحى ما أريد أن اعرف جليته ، قبل أن تخوننى شجاعتى !

وعلى هذا النحو يمضى الحديث بين الزوجة الملتاعة التى فقدت زوجها ، ووجدت نفسها ـ على حين فجأة ـ وسط أحداث لا تصدق ، وبين الأخت أو الابنة التى تبلد احساسها ذلك التبلد الذى ينشأ عن الشقاء العنيف ، والذى تتذرع به النفس كنوع من الاحتجاج والتحدى. وتعلن مارتا أنها ستشنق نفسها بعد قليل ، وتدعو ماريا الى أن تحذو حذوها لتنضم الى زوجها فى العالم الآخر !

**مارتا :** ماذا يجدى ذلك الحرص الشديد على الوجود ، ورجفة الأرواح هذه ؟ .. وفيم اللهفة على مواجهة البحر ، او على الحب ؟ .. ان زوجك يعرف الآن الجواب ، ولسوف تعرفينه انت الأخرى .. وداعا يا أختاه !

وتخرج مارتا ، فتهتف ماريا صارخة ضارعة : « أواه ! يا ربى ! .. لا أستطيع أن اعيش فى هذه الصحراء . اننى أوجه اليك قولى .. اليك أوبتى فكن شفوقا على ، والتفت نحوى ! .. اسمعنى يامولاى ، اعطنى يدك ! .. ألا كن شفوقا على اولئك الذين يتحابون ، وأولئك الذين يكابدون الانفصال !»

ويفتح الباب ، ويظهر الخادم الشيخ ، وهو يظن أنها تدعوه. وحين تطلب اليه العون ، يجيبها بالكلمة الوحيدة التى يلفظها ـ وكأنها حكم القدر : « كلا » !

**وتسدل الستار**




تلخيص : الدكتور ناجي يسى

## معجزات العلم .. فى طريقها الينا !

◆ ان المخترعات الاليكترونية ، والأبحاث الذرية ، تشير الى مستقبل لا يكاد يتصوره العامل فى مصنعه ، ولا الموظف الادارى فى مكتبه ، ولا ربة البيت فى دارها .. فلسوف يجد العامل ان آلات المصنع تدير ذاتها ، وتراقب بنفسها سير عملها ، ولن يحتاج هو الى ان يمد يده الى شىء منها .. ولسوف يجد الموظف الادارى ان ثمة « عقولا » آلية تتولى عنه أعماله .. أما ربة البيت ، فسيتحول المطبخ فى دارها الى قاعة جميلة للجلوس ، اذ سيغنيها التطور الآلى عن الطهو وعن أعمال التنظيف ، بل وعن مراقبة طفلها .. ولن يبقى أمامها سوى ان تستغل وقتها فى عمل مربح ، أو .. فى قراءة الروايات والثرثرة مع الجارات !

هذه لمحات خاطفة من النبوءات التى أوردها الباحث العالمى « ا. م. لو » فى هذه الحلقة من كتابه الخطير : « عالم الغد » !

## الى أين يسوقنا .. هذا التقدم فى الصناعة !؟

◆ **اذا** شئنا ان نعرف الاتجاه الذى تسير فيه الصناعة ، وجب ان ندرس تطوراتها فى الماضى. فقد كان الصانع فى العصور السالفة يعمل فى داره ، بأدوات يصنعها بيديه. ثم انتقل رويدا الى المصنع ، حيث ادى تعاون عدد من العمال الى عدة ميزات استمتعوا بها جميعا، كما هيأ لهم نظام المصنع فرص تخصص كل منهم فى عملية معينة ، مما أتاح له الحذق فى ادائها ، والاقتصار عليها ، ومن ثم لم يعد يوزع جهوده على أكثر من عملية واحدة . وباتساع نطاق المصنع ، اتجه الانسان الى استغلال الطاقة المحركة ، بدلا من الجهد الآدمى، فاستخلصها من مساقط المياه ، ثم من الفحم ، ومن البترول !

ولقد كان تقسيم عمليات الصناعة المتعددة الى سلسلة من الخطوط البسيطة ، هو حجر الزاوية فى سرعة انتاجنا للسلع الاستهلاكية .. وبعد أن كان الفرد يقضى شهورا فى

صنع سلعة كالدراجة البخارية ، أصبحت فرق الصناع المتعاونين فى المصنع ، تنتج – بالاستعانة بالآلات – مئات الدراجات فى اليوم الواحد . ولم يعد العامل مضطرا الى أن يجيد أكثر من خطوة واحدة ، فأصبح فى الامكان أن يشترك فى صناعة السلعة ، بأن يحذق صنع جزء منها ، دون حاجة الى أن يضيع عمره فى الالمام بصنع جميع الأجزاء . **وشيئا فشيئا ، أخذت الآلة المستخدمة فى الصناعة تزداد تعقيدا ، بينما أخذ عمل الانسان المكلف بها يزداد بساطة فلم يعد يحتاج الى قدر كبير من المهارة ، بل انه لم يعد يتجاوز – فى كثير من الحالات – أن ينقل العامل القطعة التى تلفظها أمامه الآلة ، الى العامل الذى يليه !** .. وهكذا نشأ « خط التجميع » الذى لم يكن من سبيل الى صنع جهاز معقد – كالدراجة البخارية – بغيره !

## البقاء لمن : للعامل .. أم للآلة ؟ !

• **وكانت** المرحلة التى أعقبت ذلك ، هي مرحلة تصميم آلات تستطيع القيام بكل العمليات البسيطة دون استخدام الجهد البشرى اطلاقا . ولن يباهى مصنع المستقبل بعدد العمال الذين يستخدمهم ، بل سيأتى اليوم الذى تصبح فيه المصانع أماكن تقوم فيها الآلات بكل الأعمال ، تشرف عليها فى ذلك آلات أخرى ، بينما ينحصر واجب الانسان فى التأكد من أن آلات الاشراف تقوم بعملها بدقة !.. وقد تم بالفعل انشاء مصنع لانتاج أجهزة الراديو دون أى قدر من العمل اليدوى . ويستخدم هذا المصنع خمسين عاملا ، ولكن انتاجه يعادل انتاج مصنع عادى به ألف وخمسمائة عامل .. كل ما هنالك أن صفوفا من الأجهزة المغلقة تتراص بعضها الى جوار بعض أمام الآلات ، بدلا من العمال ، ويتناثر بينها عدد من المشرفين . وقد استخدمت فى هذا المصنع تصميمات من شأنها تبسيط

الصناعة ، وتجنب أسباب الخطأ فى التوصيلات الكهربية .. **وأمكن بذلك انتاج جهاز الراديو بتكاليف لا تزيد عن جنيهين ، فى حين أن الجهاز المماثل ـ الذى ينتج بالطرق العادية ـ تصل تكاليفه الى ثمانية جنيهات .** ومما يجدر بنا ملاحظته ، أن انتاج هذا المصنع يختلف فى تصميمه عن الأجهزة المعروفة اختلافا جوهريا ، اذ قلب أصحاب المشروع كافة النظريات والآراء المتعارف عليها فى صناعة الراديو ، حتى تتيسر لهم الافادة الكاملة من امكانيات الآلات التى كانت تخضع فى تركيبها للتصميمات المتعارف عليها من قبل . وقد تمضى سنين طويلة قبل انتاج آلات ذات تصميمات جديدة ، وقبل التخلص من الأفكار القديمة المتسلطة على الصناعة ، كما هو شأننا فى التشبث بأن السيارة « عربة بلا حصان » ومن ثم فنحن نحتفظ لها بشكل العربة !

ان المصنع الآلى لأجهزة الراديو طريف .. ولا تزال هناك بعض عقبات فى سبيل استخدام مصانع على نمطه لانتاج سلع زهيدة التكاليف ، ولكن وجوده يشير الى الاتجاه العام الذى تتخذه الصناعة . **فلن تلبث الأجهزة الأليكترونية الدقيقة أن تحل ـ فى المستقبل ـ محل الانسان فى المصنع ، بحيث تصبح أهم ظاهرة فى مصنع سنة ٢٠٥٠ هى اختفاء العمال منه ، بحيث لا يزيد عدد الآدميين الذين يبقون فيه على بضع رجال ونساء يتناثرون فى أرجائه ، أمام منصات تحمل مجموعة من العدادات والمؤشرات ، وبعض مفاتيح يعبثون بها من آن لآخر .** وأكبر الظن أنهم لن يرزحوا تحت مسئولياتهم هذه ، لاطمئنانهم الى أن الأجهزة المشرفة على الآلات كفيلة بأن تنبههم عندما تكون ثمة ضرورة تدعو لتدخلهم .. ثم ان الآلات ذاتها لن تشبه الآلات المستخدمة حاليا ، اذ أنها ستتطور بحيث تصبح أقرب الى أجهزة الرادار أو الراديو منها الى الشكل المألوف !



**طفولة « سير والتر رالى »**

لوحة للفنان « ميليه » ( اقرأ المقال فى هذا العدد )

## « الأليكترون » .. ساحر القرن القادم !

• **وأعظم** امتياز للآلة على الانســـان ، هو عدم تعرضها للتعب ، وعدم تأثر انتاجها بعوامل لا سبيل الى التنبؤ بها مقدما ، كانحراف المزاج بسبب المشكلات العائلية ، وغير ذلك من العوامل التى تؤثر فى كفاءة العامل الآدمى !

وكما كانت الأجزاء المؤلفة للقاطرة البخارية معروفة قبل اختراع القاطرة ذاتها ، فان أجزاء الجهاز الأليكترونى ـ الذى سيدير حركة مصنع المستقبل ـ معروفة لدينا الآن ، وسينحصر الشطر الأكبر من الاختراع فى تحسين هذه الأجزاء وتحويرها وجمعها معا فى جهاز واحد .. ومن هذه الأجزاء «العين السحرية» . ذلك لأن العين من أهم الأعضاء فى الاشراف على المصنع .. وقد اكتسبت الآلة الحديثة قوة الابصار بواسطة الخلية الضــوئية الكهربائية التى يمكن عن طريقها الاستجابة لذبذبات الضوء ، باحداث تيارات كهربائية دقيقة يسهل تضخيمها حتى تستطيع التحكم فى عمليات كهربائية على درجة كبيرة من الأهمية . **وهناك مثال بسيط لهذه العين ، تم تحقيقه بالفعل لفتح الأبواب .. اذ يكفى ان يقع ظل الشخص القادم على مكان معين من الباب ، لتنشيط خلية « ضو كهربائية » ، فتتحكم فى عدة عمليات تؤدى الى فتح الباب دون أن تمتد اليه يد انسان !**

ومن الممكن أن يؤدى استخدام هذه الخلايا الى عمليات كثيرة التعقيد ، كما يحدث فى أجهزة التليفزيون ، حيث تصل قدرة الخلية على «الابصار» الى قدرة العين البشرية تقريبا .. كذلك تسنى استخدام الخلايا الضوئية الكهربائية بالفعل فى مراقبة آلات النسيج . كما أمكن اســتخدام المبتكرات الأليكترونية فى عمليات المكاتب ، كمراجعة البطاقات وفرزها فى ادارات المستخدمين أو « الأرشيف » ، وذلك باحداث ثقوب

مختلفة المواقع فى البطاقات ، ثم تمريرها على ذبذبات كهربائية متباينة ، فتسقط البطاقات المثقوبة عند حرف « ا » مثلا فى قسم خاص ، والبطاقات المثقوبة عند « ب » فى قسم آخر ، وهكذا !.. **وقد استخدمت هذه الطريقة فى تنسيق ملايين التحويلات التى تصدر يوميا فى انجلترا ، كما شاع استخدامها فى دوائر الأعمال ، وفى تبادل البرقيات عن طريق المبرقة الكاتبة « التليبرينتر » !**

ومن الممكن التوسع فى تطبيق نظـرية احلال الذبذبات الكهربائية محل الكلمات ، بحيث يتطور الأمر الى استخدام لفائف من الورق الذى تتناثر فيه الثقوب طبقا للعمل المطلوب ، فتكون هذه اللفائف هى « الجهاز الادارى الآلى » لمصـانع الغد .. اذ يستعاض عن رسم تصميم السلعة المراد انتاجها فى المصنع ، بتسجيل من الورق المثقوب ، فتوجه الثقوب الآلة الأليكترونية الى أن تقطع قطعة من المعدن بشكل وحجم معينين — مثلا — ثم تحفر فيها مجرى عمقه ملليمترا ، وتثقبها فى مواضع معينة ، ثم تتولى صقلها وتحـولها الى الآلة التالية لتجرى عليها عملية أخرى من عمليات الصناعة ، تحت ارشاد تسجيل مثقوب آخر ، وهكذا

## آلات آمرة .. وآلات منفذة .. وآلات مراجعة !

• **على** أن المشكلة الأساسية فى المصنع الآلى ، هى فى الجمع بين ثلاثة أنواع من « المبتكرات » ، للحصـول على الانتاج المطلوب : والنوع الأول يتمثل فى الآلة التى تتلقى التعليمات وتتصرف على هديها فى العمل ، وقد أوردنا لها أمثلة ، منها الخلية الضوكهربائية ، واللفائف المثقوبة . وهناك اليوم مئات من المبتكرات التى تستطيع الاستجابة لعوامل مختلفة كتغير المجال المغناطيسى أو تغيير اللون أو درجة الحرارة أو التركيب الكيميائى ، بمجرد اصدار « أمرها » الى النوع الثانى من

« المبتكرات » .. وهو النوع الذى يتحكم فى القوة المحركة للأدوات المختلفة . فاللفائف المثقوبة ـ مثلا ـ توجه الآلة الاليكترونية كما أوضحنا فى مثال سابق . أما النوع الثالث من المبتكرات ، فيتمثل فى الأدوات التى تقوم فعلا بالانتاج . وقد أمكن اختراع أدوات على درجة كبيرة من الحذق والمهارة ، تستخدم حاليا فى كثير من الصناعات . فمنها ما يقوم بلف السجائر وتعبئتها ، ومنها ما يفحص سلامة لحام علب المأكولات المحفوظة ، كما أن منها ما يقوم بفرز بطاقات العمال فى المصانع الكبيرة ، لتسجيل البيانات الخاصة بساعات العمل والأجور

وتتمثل الخطوة الأولى ، فى سبيل تحقيق مصنع المستقبل ، فى العمل على جعل تصميمات كل من هذه المبتكرات الثلاثة مرنة قابلة للتكيف تبعا لاحتياجات الانتاج ، اذ أن من أهم الصعوبات التى تعترض وجود مصنع بلا رجال ، امكان تحويل الآلة المعينة ـ بعد أداء مهمتها ـ الى أداء عمل آخر ، كما هو الحال بالنسبة لليد الآدمية . فاذا تسنى للعلماء ذلك ، لم يبق أمامهم سوى اخضاع هذه الآلات لتوجيه الوحدات الآمرة ـ كاللفائف المثقوبة ـ فتؤدى العمليات المطلوبة فى الوقت المحدد !.. وتخضع كل مجموعة من هذه الوحدات « اداريا » لجهاز كبير يملى عليها ترتيب انتاج الوحدات وتجميعها وفحصها واختبارها قبل تعبئتها . وستختلف درجة تعقيد هذا الجهاز الادارى وضخامته وفق نوع السلعة التى يشرف على صنعها .. **فانتاج سيارة كاملة الأجزاء من المواد الخام مباشرة عن طريق التحكم الآلى ـ وهو أمر لم يعد مستحيلا ـ يحتاج الى رقابة اليكترونية معقدة تشبه « المخ الأليكترونى » الذى يستطيع القيام بعمليات حسابية خيالية .** ووحدات من هذا القبيل لا شك تكون باهظة التكاليف ـ حسب الأوضاع القائمة فى الصناعة حاليا ـ الى حد يجعل استخدامها غير سليم من الناحية الاقتصادية ، فى حين أن استخدام الانسان فى هذه

الناحية ميسور بتكاليف أقل .. على أن هذه الأوضاع صائرة حتما الى زوال ، قياسا على ما جرى من قبل !

**والعائق الوحيد الذى يقف فى طريق ثورة صناعية من هذا النوع ـ تجعل الآلات عبيدا تؤدى ، دون الانسان ، الشاق من الأعمال ـ هو ضخامة رؤوس الأموال الواجب انفاقها قبل أن تؤتى المصانع الآلية الحديثة انتاجها** . ولو أننا أعتزمنا انشاء مصانع أليكترونية ، دون تقيد بالتكاليف ـ كما كان الأمر ازاء الأبحاث الذرية فى الحرب العالمية الثانية ـ فمن الجائز أن يتحقق ذلك خلال خمســـة أعوام .. ومما يذكر ، بهذه المناسبة ، أن خطورة العمليات المتعلقة بالتفتيت الذرى ، اقتضت أن يجرى العمل فى منشئات الأبحاث الذرية على أساس آلى الى حد كبير . ففى ( أوك ريدج ) ـ وهى أكبر المحطات الذرية فى أمريكا ـ لا يكاد يعمل أكثر من عشرين رجلا فى كل ميل من صفوف الآلات التى تدور تحت اشراف مركزى. كما تدل التقارير على أن المؤسسات الذرية الأمريكية تستخدم حوالى أربعة عشر ألف ابتكار آلى ، تقوم بالعمليات بدلا من الأيدى البشرية !

## هل يخيم شبح البطالة على العالم ؟ !

• **وقد** يكون من حسن الحظ أن يأتى التطور تدريجيا ، وخلال زمن طويل ، لأن مضاعفة الانتاج الصناعى قد تقلب أوضاعنا الاقتصادية ، وتسبب بطالة ربما نشأت عنها نتائج خطيرة !.. ولقد أثير أخيرا كثير من المخاوف بشأن التطور الآلى المنتظر . ومن أمثلة ذلك الهواجس التى أحاطت بالآلات الحاسبة الاليكترونية ـ أو «العقول الاليكترونية» كما تسمى ـ لا سيما حين علم أن لبعض هذه الأجهزة المعقدة مقدرة على « التفكير » وعلى « التذكر » . ويكفى لتبديد هذه الهواجس أن نذكر أن الآلات الحاسبة الأليكترونية لا تختلف فى شىء عن

الآلات الحاسبة العادية التي تستخدم آلاف منها في دوائر الأعمال في جميع بلدان العالم . وكل ما هنالك أن الشحنات الكهربائية حلت محل الأذرع المعدنية لتسجيل الأرقام ، كما أن المكثفات الكهربائية قامت مقام المفاتيح اليدوية ، وهكذا . **فالآلة الأليكترونية ليست سوى مجموعة من الأسلاك والصمامات ، لا تقوى الا على أداء ما يطلبه منها الانسان ، وفقا لما قدره وصممه مبتكر الجهاز ..** ومن السخف أن نتوجس من أن ينصرف « العقل الأليكتروني » ــ اذا ما عهدنا اليه بادارة مصنع للسيارات مثلا ــ الى صنع طائرات ، من تلقاء نفسه ! .. وما « الذاكرة » لدى هذا الجهاز الا المقابل الكهربائي لفهرس الكتاب !

## لا خوف من المخ الاليكتروني .. على الانسان !

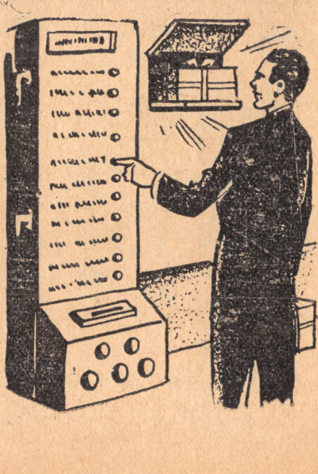
• **والحق** أن المقارنة بين العقل الانساني والعقل الأليكتروني غير جائزة . فان الأخير مصمم بحيث يؤدي واجبات معينة ، محدودة . وغاية ما هنالك أنه يستطيع أداء هذه الواجبات بسرعة ودقة تفوقان ما يؤديها بهما العقل الانساني الذي أودعه الله قوة التفكير ، وهي قوة عجيبة ، بالغة التعقد !.. وقد قدر العلماء عدد الخلايا العصبية التي تقوم بهذا العمل في مخ الانسان بحوالي عشرة آلاف مليون خلية مختلفة الوظائف . **ولو أننا أردنا صنع مخ أليكتروني في قوة المخ البشري ، لاحتجنا الى مبنى يبلغ أضعاف حجم حظيرة الطائرات لايوائه ، والى قوة تعادل قوة شلالات نياجرا لتشغيله بضع دقائق !.. لذلك نرى أن وظيفة العقل الأليكتروني واضحة ، ومستقبله محدود ، فهو مجرد مساعد يخفف عن المخ البشري أعباء العمل الممل ، ويوفر عليه الوقت !**

واذا كان العالم يتجه الى رفع مستوى معيشة الفرد بتخفيض تكاليف الخدمات الأساسية ــ كالنقل والتوزيع وما

اليهما – فلا بد لنا من أن نتوقع التوسع فى احلال الآلات محل الناس فى هذه الأعمال ، لأنها أسرع أداء لها ، ولأن الآلة الواحدة تغنى عن عدد كبير من الرجال والنساء الذين يبدد نشاطهم البشرى فى أعمال تافهة !

## سوف نزيد ساعات العمل .. فى عالم الغد !

• **ولعل** أقرب التطورات الى التحقق ، وأعظمها شأنا ، هو احلال الآلات الأليكترونية فى المتاجر الكبيرة محل آلاف الرجال والنساء ، فى تحصيل الأثمان ، وتسليم المشتريات ، فلا يغدو على المشترى أكثر من أن يضع الثمن فى ثقب آلة خاصة ، ثم يتلقى سلعته !.. وهذا الانقلاب يلائم المتاجر الكبيرة ، التى تبيع عددا كبيرا من السلع المتباينة . ومن المنتظر أن يتمخض الانقلاب الآلى ، فى مثل هذه المتاجر ، عن خطوة أخرى .. **فبدلا من أن يضطر العميل الى الطواف بالأقسام المختلفة لالتقاط السلع التى يحتاج اليها ، سيصبح فى مقدوره أن يكتفى بأن يؤشر أمام الأصناف التى يبتغيها على بطاقة خاصة ، ثم يدفع هذه البطاقة الى جهاز اليكترونى ، يقوم بتجميع السلع المطلوبة ، ويسلمها للمشترى مغلفة عند باب المتجر ، وهو يتأهب للخروج .**



وسيترتب على ذلك امكان ابقاء المتاجر مفتوحة لساعات أطول من ساعات العمل الراهنة ، دون أى ارهاق للعمال .. ومن هذا القبيل ، حظيرة للسيارات – يجرى العمل حاليا فى تصميمها – ترسل لك سيارتك

بمجرد أن تدير أرقامها على قرص خاص !

**وليس معنى هذا الانقلاب تعطل عدد كبير من العمال ، وانما هو يؤدى الى تحرير مواهبهم المبتكرة ، لتنصرف الى العمل المثمر الذى يعود عليهم وعلى المجتمع بمزيد من الخير .**
وهذا ما سيدعونا الى اعادة النظر فى جميع نظرياتنا الاقتصادية . واليك مثالا لما نستطيع توقعه من تغير :

ان النفقات الباهظة التى سيتكلفها انشاء الأجهزة والمصانع الآلية ، ستتطلب التغاضى عن فكرة تحديد ساعات العمل – حتى يتسنى الحصول منها على انتاج يوازى هذه النفقات – لا سيما بعد أن توصل العلم الى استنباط سبائك معدنية أكثر مقاومة من المواد الراهنة لعوامل البلى والتآكل الناشئة عن ارهاق الآلات . فضلا عن أن وسائل المراقبة الأليكترونية ستتكفل بالتنبيه الى الضعف أو الخلل قبل حدوثه بالآلة ، ان لم تتكفل أيضا باصدار « أوامرها » لاتخاذ الاجراءات اللازمة لاصلاح الخلل تلقائيا !.. ومن نواحى تخفيض نفقات مصانع الغد ، الاستغناء عن الجدران والسقوف ، لأنها لن تأوى سوى عدد بسيط من العمال ، يعملون على مسافات متباعدة .. كما أن المعادن الحديثة – التى تستخدم فى صناعة الآلات – لا تتأثر بالعوامل الجوية . وقد أنشئت بالفعل بعض مصانع للخيوط الصناعية ، أقيمت كلها فى العراء ، ما عدا بضع أكواخ متناثرة لايواء المشرفين .. ولعل من فوائد هذا التطور تقليل أخطار الانفجارات والحرائق كذلك

## أقمشة صناعية .. بغير نسيج !

• **ومن** الصناعات التى قطعت شوطا بعيدا فى الاستغناء عن العمال ، مصانع المواد الكيميائية ، حيث تتوالى خطوات الصناعة تباعا ، باشراف آلات أليكترونية أكثر دقة من الانسان . وباستخدام الوسائل التى من هذا القبيل ، تسنى

تخفيض نفقات بعض المنتجات الكيميائية الحديثة ، كالحرير الصناعى . والحديث عن الحرير الصناعى يجرنا الى تطور جديد فى الصناعة ، قوامه انتاج مواد غير معروفة حاليا . **وقد تسنى خلال الأربعين عاما الأخيرة انتاج مئات عديدة من اللدائن ـ (( البلاستيك )) ـ متباينة الأشكال والخصائص . ولا يزال ابتكار أنواع جديدة منها مستمرا تبعا لاحتياجات الصناعة** . وقد يؤدى الحصول على صنف جديد من اللدائن الى انقلاب كامل فى احدى الصناعات ، لاسيما وان اللدائن تمتاز عن المعادن بسهولة صبها وتشكيلها دون حاجة الى عمليات الخراطة والبرادة التى تتطلبها المعادن . كما أن الأبحاث فى ميدان الأقمشة الصناعية قد تفضى الى انتاج أقمشة بغير نسيج ، والى صنع الملابس جاهزة فى المصنع ، دون غرزة واحدة ، وذلك بالطرق الآلية !

**لن نحتاج الى النار .. لاجتلاب الحرارة !**

• **كذلك** يمضى التقدم مطردا فى مضمار اكتشاف السبائك المعدنية . وقد يؤدى للوصول الى مادة فى صلابة الحديد ، وفى نصف وزنه . ولسوف تستخدم المعادن فى المستقبل فى صور جديدة ، وذلك بانتاج سبائك مستحدثة وفقا لمواصفات كل عملية . فليس على مصمم الآلات الا أن يعطى عالم المعادن الميزات التى يحتاج اليها فى مشروعه ، فيخلق له هذا منتجات مستحدثة لها صفات غير معروفة من قبل . فقد أخذ العلم يتغلغل ـ فى السنين الأخيرة ـ فى معرفة ما يحدث لجزئيات المعادن المختلفة ، عند خلطها لتكوين سبائك جديدة . وسيكون لاستعمال معدات البحث الحديثة ـ مثل النظائر المشعة ـ فضل كبير فى تسهيل الحصول على سبائك جديدة ، فضلا عن تخفيض نفقات انتاجها

**وسيتبع الاهتداء الى مواد مستحدثة ابتكار وسائل جديدة فى الصناعة . فمنذ مائة عام ، لم تكن هناك وسيلة لرفع درجة**

**حرارة أى شىء ، الا بوضعه فى النار . أما الآن ، ففى الامكان انتاج الحرارة بوسائل أليكترونية ، وبالفرن الذرى الذى سيشيع استخدامه ويتسع نطاق استغلاله فى وسائل الصناعة الحديثة !**

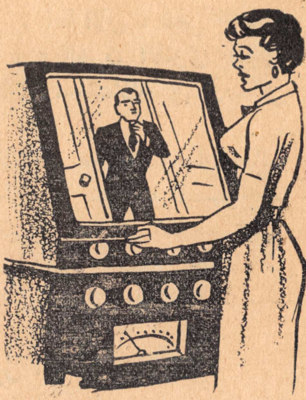
ولقد بدىء أخيرا فى استخدام الأشعة الصوتية العالية الذبذبة فى شئون الصناعة . وبذلك تيسر تنظيف المنسوجات دون حاجة الى معالجتها بالماء أو الكيميائيات . كما سيتيسر استخدام هذه الأشعة فى مزج سوائل لا سبيل حاليا الى مزجها ـ كالماء والزيت ـ مما سيكون له أثر بعيد فى تزييت وتنظيف الآلات

## عجائب .. فى منزل الغد !

• **ولنلق** الآن نظرة على نصيب منزل الغد من مستحدثات العلم ..

فلقد أصبحت بعض الأجهزة الحديثة ـ كالراديو وآلات تكييف الهواء والغسيل وما اليها ـ من مستلزمات البيت العصرى ، حتى لدى الطبقات الوسطى ، مع أنها كانت منذ عشرين عاما من العجائب التى لم يكن كثير من ربات البيوت يطمعن فى اقتنائها . وقياسا على ذلك نستطيع أن نتصور ما سيكون فى متناول الزوجة فى الغد القريب :

لسوف يختفى الغبار والسناج ( الهباب ) الناشئين عن احتراق الفحم والكيروسين ، باستخدام الذبذبات العالية فى ترسيبهما ومنع انطلاقهما فى الهواء . وقد تجهز الحجرات بآلات أليكترونية تجمع الغبار من الهواء ، فتصبح عملية التنظيف اليومية قاصرة على تفريغ « جامع الغبار » !.. **أما المطبخ ، فسيجهز بأفران أليكترونية تقوم بتحضير الطعام فى أربع أو خمس دقائق ، دون ما حاجة الى اشراف الزوجة ، اذ يتولى « المراقب الأليكترونى » عنها هذه المهمة !..** وقد لا تبقى هناك حاجة للاحتفاظ بمطبخ فى البيت ، عندما يشيع استعمال المصانع الكبرى فى صناعة المأكولات وتوزيعها على المستهلكين



مثلجة تثليجا عميقا يحفظها من التلف .. فان تحضير الطعام فى المنزل يتعارض مع المبادىء الاقتصادية السليمة ! فكم من ملايين الساعات تنفقها ربات البيوت فى تجهيز الطعام ، بوسائل لا تتمشى مع عصر التصنيع . **ومن ثم يتجه الرأى الآن الى التوسع فيما يجوز أن نسميه « التغذية الجماعية » !..** حتى مشكلة غسل الأوانى قد تختفى ، اذ لابد أن تصنع الأوانى من اللدائن التى يبلغ رخص ثمنها حدا يمكن من القائها فى سلة القاذورات بعد استخدامها

كذلك سيتسنى الاستغناء عن خدم المنازل بفضل الأجهزة الأليكترونية . فبواسطة « التليفزيون » الداخلى ، سيسهل على الأم مراقبة طفلها أينما ذهب ، فى البيت أو فى الحديقة . وعندما يضغط زائر جرس الباب ، ستظهر صورته على « الشاشة » ، كما سيتسنى فتح الباب بالطرق الأليكترونية ، دون أن تتحرك ربة البيت من مكانها !

**واذا استعملت الأشعة العالية الذبذبة فى تدفئة المنازل ، فسيأتى اليوم الذى يشعر فيه السكان بالدفء دون حاجة الى ملابس أو أغطية ، ولو تركوا النوافذ مفتوحة فى أشد أوقات البرد !.. وليس من المستبعد أن يتسنى تكييف هواء المدن تكييفا شاملا !**

وهكذا ستجد سيدات المستقبل أنفسهن وقد تحررن من أعباء الأعمال المنزلية ، مما قد يؤدى الى نتائج اجتماعية بعيدة الأثر !

## المدنية الأمريكية مهددة بالانحلال !

◆ يتناول الدكتور كينزى ورفاقه فى هذه الحلقة من أخطر بحث فى تاريخ البشرية – وهو « السلوك الجنسى لدى الانسان » – ظاهرة أصبحت من أخطر الظواهر الجنسية فى المدنية الحديثة .. ظاهرة المعابثة ، بما تتضمن من قبلات وعناق وتلامس واحتكاك وغير ذلك . وتدل الاحصاءات والبيانات التى أوردها كينزى وزملاؤه فى هذا الصدد ، على مدى الانحلال الذى أصاب المجتمع الامريكى منذ سنة ١٩٠٠ .

## الفتيات يبدأن المعابثة .. فى نهاية المرحلة الثانوية !

• **تدل** الاحصاءات بين المتزوجات – فيمن أجرينا دراساتنا عليهن – على أن ٨ فى المائة منهن عرفن المعابثة قبل الزواج بعام أو بعض عام ، وأن ١٥ فى المائة عرفنها قبله بعامين أو ثلاثة ، وأن ٢٣ فى المائة مارسنها قبل الزواج بأربع أو خمس سنوات ، وحوالى ٤٠ فى المائة مارسنها قبل الزواج بفترات تراوحت بين ٦ و ١٠ سنوات . على أننا يجب أن لا ننسى أن عدد السنوات انما يتوقف – لدى كل أنثى – على السن التى تزوجت فيها . ومن الأمثلة التى نسوقها فى هذا الصدد ، أن بين الاناث اللاتى لم يتزوجن الا بعد أن تجاوزن الثلاثين من أعمارهن ، ٧٣ فى المائة مارسن المعابثة قبل الزواج بأحد عشر عاما أو أكثر !

**وبوجه عام ، نجد أن نسبة كبيرة من الاناث – اللاتى دارت دراساتنا حولهن – بدأن المعابثة عندما كن فى العامين أو الأعوام الثلاثة الأخيرة من التعليم الثانوى !..** وتدل البيانات التى حصلنا عليها من المتزوجات ، عن ممارستهن للمعابثة قبل الزواج ، على أن الفتاة – فى ١٠ فى المائة من الحالات –

كانت تقتصر على زميل واحد ، وفى ٣٢ فى المائة كانت تمارس هذا اللون من النشاط الجنسى مع عدد يتراوح بين اثنين وخمسة من الذكور ، وفى ٢٣ فى المائة مع عدد يتراوح بين ٦ و ١٠ ذكور ، وفى ٣٥ فى المائة مع أكثر من ١٠

والذى نخرج به من هذه البيانات ، هو أن الفوارق التى تبدو فى احصاءات ممارسة المعابثة قبل الزواج – سواء من حيث عدد المرات أو عدد الزملاء – بين المستويات الدراسية المختلفة ، فوارق نسبية .. ذلك لأن الفتاة التى تمضى فى الدراسة الى نهاية المرحلة الجامعية ، تتزوج – بطبيعة الحال – فى سن متأخرة عن سن زواج الفتاة التى تقتصر على الدراسة الثانوية مثلا ، وبالتالى تطول فترة ممارستها لهذا اللون من النشاط الجنسى ، وتنفسح الفرص لديها لتعدد الزملاء

## الجيل الحالى يفوق الأجيال السابقة فى المعابثة !

• **على** أن حالات المضى فى المعابثة – حتى ذروة اللذة – تكاد تتعادل فى مختلف المستويات الدراسية . ويقدر المتوسط – بوجه عام – بما يتراوح بين ٥ و ١٠ مرات فى العام ، بغض النظر عن المستويات الدراسية . **واذا كانت ألوان النشاط الجنسى الأخرى تتأثر بالجيل الذى ولدت فيه الأنثى وبالنشأة الدينية والعوامل الاجتماعية ، فان الأثر الوحيد لهذه العوامل كلها فى حالة المعابثة يقتصر على تأجيل السن التى تبدأ فيها الأنثى المعابثة !..** كذلك بدا من البيانات أن الطبقة الاجتماعية قليلة الأثر فى هذا اللون من ألوان النشاط الجنسى ، سواء من حيث عدد ممارساته من كل طبقة أو من حيث معدل الممارسة ، فلم تكن ثمة فوارق ترتبط بمهنة الأب ، أو بالبيت الذى نشأت فيه الأنثى

**ومع أن المعابثة قبل الزواج كانت موجودة بين الأمريكيات فى أجيال وقرون سابقة ، الا أنها ازدادت انتشارا بين أولئك**

**اللاتى ولدن بعد سنة ١٩٠٠ ، كما ازداد معدل الاقبال عليها ومرات ممارستها باطراد حتى اليوم .** كذلك تدل البيانات على أن الجيل الأحدث بدأ الممارسة فى سن تصغر كثيرا عن سن البداية لدى سابقه . فالاناث اللاتى ولدن قبل سنة ١٩٠٠ - ممن درسنا حالاتهن - كن قد تجاوزن الثامنة عشرة قبل أن يبدأ نصفهن ممارسة المعابثة . أما بنات الجيل التالى ، فان نصفهن بدأن فى سن السادسة عشرة !

## قلة الاقبال على المعابثة بين المتقدمات فى السن

• **وبالرغم** من أن « المعابثة » تعتبر - كما تنم الاحصاءات - من ألوان النشاط لدى الشباب ، الا أنه لا يوجد ما يجزم بأن تناقص نسبتها بتقدم السن راجع الى عوامل عضوية أو نفسية تلعب الشيخوخة فيها دورا ما .. فالواقع أن عوامل الشيخوخة لا تبدو ذات أثر واضح فى الحياة الجنسية لدى اناث البشر ، الا بعد سن الخمسين ، بل وبعد الستين فى بعض الحالات . **وانما يرجع تناقص الاقبال على المعابثة لدى كبيرات السن - فى الغالب - الى أنهن ولدن فى بداية القرن الحاضر ، حين كانت العوامل الاجتماعية لا تمكن الاناث من ممارسة المعابثة الى درجة اللذة القصوى !..** وأكثر من ذلك ، نلاحظ أن الفتاة التى لا تشترك فى المعابثة لانها تراها عيبا أخلاقيا ، أو لأنها لا تميل الى الذكور ، أو لأنها غير جذابة لهم .. هذه الفتاة يحتمل - فى الغالب - أن تبقى بلا زواج الى سن متقدمة . ومن الطبيعى أن عدد الذكور غير المتزوجين - من أقرانها فى السن - يقل على مر الأعوام ، كما أنها لا تجد سوى القليل من الفرص لممارسة المعابثة مع ذكور أصغر منها سنا ، لأن هؤلاء لا يميلون الى من يكبرنهم من الاناث .. فضلا عن أن أبحاثنا فى السلوك الجنسى لدى الذكور ، دلت على أن ربع المسنين من غير المتزوجين منهم ، ينســاقون الى علاقات

جنسية مع أفراد من نفس جنسهم .. والذين لا ينساقون منهم الى هذه العلاقات ، يؤثرون الجماع على المعابثة

كل هذه أسباب تؤكد أن قلة الاقبال على المعابثة بين المتقدمات فى السن ، لا ترجع الى عوامل بدنية ذات علاقة بالشيخوخة !

## ثبات معدل المعابثة بين المستويات الاجتماعية

• **ولا تدل** البيانات التى لدينا على معدل ممارسة المعابثة عامة ، وان كانت توضح معدل المعابثة التى أدت الى ذروة اللذة بين الاناث اللاتى كن محور دراستنا . ولعل كثرة حدوث المعابثة ، وكثرة الفرص التى تسنح لها ، وعدم انتظامها ـ بحيث أنها قد تحدث عدة مرات فى يوم واحد ، ثم لا تحدث مطلقا لعدة شهور ـ جعل من العسير على « العينات » أن يقدرن متوسطا دقيقا لمعدل مرات الحدوث .. أما المعابثة التى تؤدى الى ذروة اللذة ، فان مجرد بلوغها هذه الدرجة يسهل على الأنثى تذكرها ، وبالتالى مكننا من الحصول على تقدير لها !.. ومن ثم فان الاحصاءات التى سنوردها هنا تمثل فى الواقع معدل بلوغ ذروة اللذة فى المعابثة .. ونحن نجد هذا المعدل ثابتا ـ بشكل غريب ـ بين مختلف المستويات الاجتماعية والدراسية للاناث بين سن البلوغ والخامسة عشرة من العمر. وهذا المعدل يتراوح بين ٤ و ٦ مرات فى العام .. وهو يهبط عن ذلك ، فى مراحل من العمر أكثر تقدما

كذلك من الملاحظ أن هنـــاك تباينا ملحوظا فى المعدل بين أفراد المستوى الواحد . ومع أن المعابثة هى أكثر ألوان النشاط الجنسى انتشارا بين الاناث غير المتزوجات ـ فى عيناتنا ـ الا أنها فى كثير من الحالات لا تبلغ اللذة القصوى

ولا توفر المعابثة أكثر من ٤ فى المائة من مجموع التفريج الاجمالي للفتيات الحديثات عهد بالبلوغ . على أن أهميتها

تزداد فيما بين السادسة عشرة والعشرين من العمر ، اذ تكون مصدر ١٨ فى المائة من التفريج الجنسى . **غير أن المعابثة تتخذ لونا جديدا عندما تناهز الانثى العشرين من عمرها ، اذ أنها غالبا ما تتزوج حوالى هـــذه السن ، ومن ثم تتفوق أهمية الجماع الجنسى مع فرد من الجنس الآخر ـ هو الزوج ـ على المعابثة** . ثم تقل أهمية المعابثة تدريجيا بعد سن الخامسة والعشرين ، حتى تصبح مصدر ٥ فى المـائة ـ فقط ـ من مجموع التفريج الجنسى لدى الاناث اللاتى يبقين بلا زواج حتى سن الاربعين ، ثم تهبط الى ٣ فى المـائة لدى اللاتى يبقين بغير زواج حتى سن الخمسين ، بينما ترتفع نسبة الجماع والاستمناء !

## المعابثة لا تؤدى الى « شىء » .. قبل سن العشرين !

• **واذا** كانت ألوان النشاط الجنسى الفردية ـ كالاستمناء والاحتلام ـ تقترن فى كثير من الأحيان بتخيلات تدور حول أشخاص آخرين ، الا أن هذه الألوان تعتمد أول ما تعتمد على ميول مزاولها وعلى مقدرته على الاستجابة الجنسية . أما الألوان الأخرى ـ المشتركة ـ كالمعابثة والجماع ، فتتوقف على مدى استعداد كل من الشخصين المشتركين فيها لأن يكيف مقدراته وميوله ورغباته الجنســـية وفقا لمقدرات وميول ورغبات الآخر . ومن ثم فان مدى الاقبال على هذه الألوان وعدد مرات ممارستها ، يمثلان عادة شيئا من التوفيق بين حد أعلى لا يستطيع أقل الشريكين استجابة أن يتجاوزه ، وحد أدنى لا يرتضى أكثرهما استجابة أن ينزل عنه اذا أريد للعلاقة بين الاثنين أن تستمر . ويترتب على هذا أن معدل ممارسة العلاقات المشتركة لا يعتبر مقياسا صالحا دقيقا للمقدرة الجنسية لدى الأنثى أو لدى الذكر ، وان كان من الممكن اعتباره مقياسا لاستعداد وقابلية أحدهما للانسجام مع

الآخر .. **وفى معظم العلاقات المشتركة ، يكون الذكر هو الأكثر ميلا الى الاكثار من الاتصالات ، ومن ثم فهو الذى يعين الحد الأدنى لهذه الاتصالات**

أما فى حالة الأنثى ، فان الاستجابة الى درجة ذروة اللذة تعتبر مقياسا لميولها وامكانياتها الجنســـية . لذلك يجب التمييز – فى أية علاقة جنسية مشتركة – بين اقبال الأنثى وبين عدد مرات استجابتها الى درجة ذروة اللذة !

وفى « العينات » التى أجرينا عليها دراساتنا ، نجد أن اللائى مارسن المعابثة كن : ٣٦ فى المائة ممن تراوحت أعمارهن بين البلوغ والخامسة عشرة ، و ٨٨ فى المـائة ممن كن بين السادسة عشرة والعشرين ، و ٨٨ بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين ، و٨٣ فى المائة بين السادسة والعشرين والثلاثين ، و٧٨ فى المـائة بين الحادية والثلاثين والخامســة والثلاثين ، و ٧٠ فى المائة بين السادسة والثلاثين والأربعين . **على أن المعابثة لم تنته الى ذروة اللذة – فيما بين البلوغ والخامسة عشرة – الا لدى ٣ فى المائة من مجموع ((العينات)) . ولكن هذه النسبة ارتفعت الى ٢٣ فى المائة فيما بين السادسة عشرة والعشرين . وحوالى الثلث ممن لم يتزوجن بلغن ذروة اللذة عن طريق المعابثة فى المرحلة بين العشرين والثلاثين من العمر .** ولكن هذه النسبة تهبط تدريجيا حتى تصبح ٧ فى المائة فقط لدى اللائى لم يتزوجن حتى السنين الأخيرة من العقد الخامس من أعمارهن !

## هل تنمى المعابثة الامكانيات العاطفية لدى الشباب ؟ !

• **وقبل** أن نخوض فى تحديد قيمة المعابثة ، نعود فنلفت النظر الى أنها تشمل كل اتصال جنسى بين الذكر والأنثى ، من القبلة البسيطة حتى تماس الأعضـــاء التناسلية دون ما التحام .. وعلى هذا الضوء ، نجد أن الشرائع اليهودية

والمسيحية تستنكر كل سعي أو قبول ــ متعمد ومقصود ــ لأى نشاط يؤدى الى الاثارة الشهوية التى لا يكون التناسل هدفها النهائى . ومن ثم فان استهجان المعابثة يرجع فى الواقع الى هذا الاستنكار الدينى . بل ان التعاليم اليهودية المتعصبة تحرم كل تعرية للجسم ، فيما عدا الوجه واليدين ، كما تحرم النظر الى الاجزاء العارية ، أو عرض الاجسام العارية ، سواء أكان ذلك فى مكان عام او فى بيوت أصحابها .. وهى تذهب فى هذا الى درجة تحريم العرى اثناء الاتصالات الجنسية بين الزوجين كما تحرم أن يتأمل أحد الزوجين جسم الآخر عاريا ــ فى خلوة ــ أثناء استبدال الثياب أو الاستحمام !

واذا كانت الفلسفة الخلقية الكاثوليكية لا تعتبر صراحة أيا من فنون المعابثة اثما ، الا أن الشريعة تنص صراحة على اعتبارها جميعا من الآثام ، ما لم تستخدم كوسائل مساعدة فى الجماع بين زوجين .. وعلى شريطة أن تكون الغاية من هذا الجماع احداث حالة حمل لدى الأنثى !.. واذا كانت الشريعة الكاثوليكية لم تسمح بأى استثناء فى هذا المجال ، الا أن بعض الجماعات البروتستانتية تميل الى تقبل المعابثة ، على ان تكون بين خطيبين أو بين شخصين يعتزمان عزما أكيدا أن يرتبطا بخطبة تفضى الى الزواج . **وقد بدأ عدد ــ مطرد الازدياد ــ من رجال الكنيسة والعلماء البروتستانت فى أمريكا ، يعتقدون أن المعابثة قبل الزواج قد تكون ذات قيمة فى تنمية الامكانيات العاطفية لدى الشباب ، والمساعدة على تكيفهم وانسجامهم اذا ما تزوجوا !**

**( يتبع )**




# مصير البشرية

## أبقاء ونماء .. أم اندثار وفناء ؟!

للباحث العالمي : " ب . ل . دى نووى "

تلخيص : أنطون العبيدى

## وهل تبغى الانسانية غير السلام .. مصيرا ؟!

◆ ان تطورالكائنات ، وظهورالانسان وسموه عن أصله الحيوانى ، وحظوته بالعقل، ليست عبثا، وانما هى حلقات فى اتجاه طويل رسمه الله – لا الطبيعة كما يزعم أنصار المذهب المادى – للوصول بالبشرية الى أسمى مصير .. فالتطور يهدف اذن الى غاية !.. هذه هى النظرية التى بسطها الباحث العالمى « ب. ل. دى نووى » ، فى هذا الكتاب الخطير ، الذى أثبت فيه وجود الله بأدلة استقاها من العلم الحديث . وهو فى هذه الحلقة – التى يختتم بها دراسته الممتعة – يضع الخطوط الأخيرة فى نظريته التى أحدثت ضجة فى الأوساط الفكرية والثقافية عامة ، ويرسم منهجا لتربية الأجيال المقبلة ، على أسس تكفل تحقيق السلام الدولى الدائم

و « كتابى » اذ يلخص هذه الآراء الجليلة ، لا يقتصر على تنبيه رجال التربية فحسب الى قيمتها ، وانما هو يقدمها الى كل أب وأم .. بل الى كل انسان يتوق الى رقى البشرية ، والى استتباب السلام ، فى هذا العالم الذى مزقته الأحقاد .. وتكاد تأتى عليه الحروب !

## هذه الدنيا شىء عظيم .. رغم (( عيوبها )) !

◆ **كثيرا** ما يقول المعترضون على دور الله فى تطور الانسان : « اذا كان الله قادرا على كل شىء ، فلماذا لم يخلق الانسان كاملا من البداية ؟!.. وما الحكمة فى البطء الشديد فى الوصول بالنوع الانسانى الى الكمال خلال تطورات متعاقبة ، عبر حقب طويلة من الأزمان ؟!» .. وخليق بهؤلاء المعترضين ان يذكروا ما أوردناه فى فصل سابق من اننا انما ننظر الى الأحداث خلال ذواتنا وحواسنا ، ونقيسها بادراكنا. **ومن ثم فان ما يبدو لنا من بطء فى احداث التطور، انما هو بطء بالنسبة لنا ولوسائل ملاحظتنا .** وكما ان القواعد والمقررات العلمية هى جماع جهود ودراسات بذلها العلماء فى مختلف الأجيال ، فواصل علماء كل

جيل جهود من سبقوهم ، فكذلك التطور .. انه يبدو لنا طويل الأمد ، وبالتالى بطيئا ، فى حين انه ليس سوى حلقات متصلة لعمل متصل .. حلقات حية متغيرة باطراد ، أو هى مراحل متعاقبة لعمل واحد لم يتم بعد !

وهناك اعتراض آخر : « لماذا يسيغ الله وجود كائنات حية، ليس لها ـ فى الظاهر ـ نفع ، بل هى ضارة بالنوع الانسانى .. كالأفاعى والميكروبات ؟! » .. وجوابنا هو ان حكمنا على هذه الكائنات بأنها عديمة النفع أو بأنها ضارة ، انما هو حكم ذاتى يقوم على حواسنا ونفسيتنا ومداركنا البشرية .. ولكى يكون حكمنا صادقا ، يجب ان ننظر الى التطور فى مجموعه ، ومنذ بدايته ، متعقبين سيره عبر العصور والأجيال ، حتى وقتنا الحاضر .. **ذلك لأنك حين تتأمل عملا ضخما ، انما تتأمله فى مجموعه وليس فى دقائقه، فان بدت لك بعض تفصيلاته معيبة، غضضت الطرف عن هذه الهنات تقديرا منك لعظمة العمل !..** هذا الى اننا حينما تناولنا نشأة الحياة وسير التطور فى فصول سابقة ، لم نجد بدا من الاقرار بوجود قوة عليا هيأت لظهور الحياة، ودفعت عجلة التطور.. كما اتضح لنا وجود نواميس عليا تسيطر على نواميسنا الطبيعية وتوجهها ، وهى تهدف الى غرض معلوم تقرر منذ البداية، ولكن وسائل بلوغه لم تعين وانما رسمت سنن التطور لتحقيقه ، وحمل الانسان نفسه تبعة المساهمة فى السعى الى بلوغه !

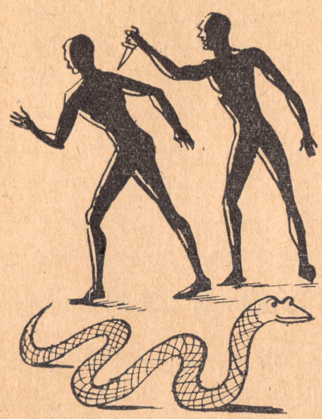
## لم نؤت من العلم .. الا قليلا !

• **وهذه** النواميس العليا ـ وهى النواميس الحقيقية الأصلية ـ انما وضعت لتعمل ، شأنها شأن النواميس الدنيا أو الطبيعية ، التى يتألف منها علمنا . وكلا النوعين مرتبط بالآخر متعاون معه، فالنواميس الدنيا تعمل بتوجيه العليا .. وكل ظاهرة تبدأ لابد من ان تسير سيرا أعمى ، حتى تبلغ

مداها المقرر لها . وهذا يفسر لنا ظهور انواع من الكائنات ذات احجام هائلة – فى مراحل التطور الأولى – وظهور أنواع أخرى لم تلبث ان اختفت ، وأنواع ثالثة تكيفت مع البيئة فتوقف نموها وتطورها ، الى جانب أنواع اخرى لم تستطع التكيف فظلت تتبدل وتتطور . واذن فعمل الطبيعة ناقص أصلا ، ومن ثم تتدخل النواميس العليا لاصلاحه أو اكماله – فى الوقت المناسب – وفقا لما يقتضيه سير التطور ، **ومع ذلك ، فان ما نعتبره نقصا أو قصورا فى عمل الطبيعة ، انما ينبنى على حكم نصدره ونحن جاهلون بالنواميس وعلاقاتها بعضها ببعض ، اذ اننا لم نؤت من العلم الا قليلا .. فنحن نعرف – مثلا – ان البذرة تصبح نبتة ، ولكننا لا نعرف بعد كيف تصبح نبتة معينة بالذات ، لها مميزات خاصة بها من حيث الشكل والنوع والحجم !**

والواقع ان العيب ليس فى الطبيعة ، وانما هو فى انه لا تزال تعوزنا المعرفة والعلم . وتعدد النواميس المسيطرة على عالم الجماد ، وتلك التى تتحكم فى عالم الأحياء ، وترابط هذه وتلك بعلاقات تخفى علينا ، هو الذى يجعلنا عاجزين عن ادراك عمل الطبيعة على حقيقته ، ومكان كل من هذه النواميس بالنسبة لسواه .. لهذا فان ظاهرة اختفاء بعض أنواع الكائنات ، وظاهرة تكيف أنواع أخرى مع البيئة وتوقفها عن التطور ، قد تبدوان معوقتين لسير التطور . فى حين ان التعمق فى البحث يبين ان التوقف عن التطور انما هو الى حين ، وان اختفاء بعض الأنواع انما حدث لكى تنشأ منها أنواع ارقى وأكمل . وهذا دليل على ان الأنواع تخضع – الى جانب قوانينها الطبيعية الخاصة – لقوانين أعلى فى سلم النواميس الكونية .. وفى هذا رد كاف على من يتساءلون عن علة وجود الانواع التى لا نفع لها ، والأنواع الضارة !

## الانسان أخطر على نفسه .. من الأفاعى !



• **ولا يزال** التطور سائرا فى طريقه ، وعلى الانسان ان يواصل كفاح أعدائه واستكشاف أسرار الطبيعة وتذليل قواها ، بقوة عقله وبما اكتسب – عبر الأجيال – من معرفة وتجارب. فان ذلك الكفاح لازم لبقاء النوع الانسانى ، وهو الذى ادى الى نمو الطاقة الحسية والعقلية لدى الانسان ، مما باعد بينه وبين الحيوان . **على ان الطاقة العقلية وان كانت خيرا ، فانها – كذلك – قوة يخشى خطرها ، اذ انها ابتكرت الى جانب ماينفع الانسان ، وسائل وادوات تفتك بالبشرية .. وان عدد الذين يموتون فى الحروب أو الذين يذهبون ضحايا للسيارات والقطارات وما اليها ، ليفوق بكثير عدد من يموتون بسم الأفاعى ، وغيره من أسباب الموت الناشئة عن الطبيعة .. وقد أصبحنا ندرك – بعد اختراع القنبلة الذرية – ان العقل البشرى عرضة لأن يطغى ويصبح حربا على نفسه وعلى البشرية ، ما لم يقم عليه رقيب من الأخلاق يحد من جبروته واندفاعه صوب التخريب !**

ومن هنا نستطيع ان نلمس أهمية الرقى بمستوى التربية الأخلاقية على نحو يفهمه أفراد المجتمع ويدركون مرماه .. وهذا يقودنا الى الأساليب التربوية والتعليمية كوسيلة لغايتنا. وهنا يمكن القول بأن مناهج التربية والتعليم كانت فى الماضى أفضل مما هى عليه اليوم ، **لأن انتشار التعليم قد يكون خطرا**

**اذا هو لم يستند الى أساس متين من الأخلاق .. بل اذا لم يكن هدفه ـ قبل كل شيء ـ هو تكوين النشء خلقيا.** والواقع اننا نخلط اليوم بين التربية والتعليم . فالأولى هى تلقين النشء الحقائق الخلقية المرعية فى جميع الاقطار ، لتوجيهه ـ فى سنيه الأولى ـ توجيها يمكنه من ان يشب متين الخلق والخصال. أما التعليم فهو تلقين النشء عناصر المعرفة العقلية واوضاع الحضارة فى جيله . أى ان التربية ترسى دعائم الحياة الاجتماعية عند النشء ـ وهى دعائم ثابتة يجب ان ترسخ فى نفسه ـ فى حين ان التعليم يتيح له وسائل التكيف مع بيئته ، وهى وسائل دائبة التغير ، لأن البيئة فى تغير مستمر

## روضوا أطفالكم على الطاعة والنظام .. وهم فى المهد !

• **وهناك** عامل هام فى التربية ، لم يلق حتى الآن نصيبا كافيا من الاعتبار .. ذلك هو: القيمة النفسية (السيكولوجية) للزمن . فان الزمن السيكولوجى يختلف عن الزمن الفسيولوجى، أى البدنى .. ولايضاح ذلك ، نقول ان العام الواحد فى عمر الطفل قد يعدل عامين فى عمر الشخص البالغ . وكلما تقدمت سن الانسان تضاءل الفارق بين الزمنين . وآية ذلك ، ان الطفل يكتسب فى سنيه الأولى من المدارك والمعارف اضعاف مايكتسبه فى الكبر ، كما أن العقل ينمو فى الطفولة بأسرع مما ينمو فى الكبر ! **ومن ثم فان الأعوام الأولى من عمر الطفل تمثل فترة من أهم الفترات التى يجب على الوالدين والمربين ان يستثمروها لبناء شخصيته وارساء أصول خصاله وعاداته ، فهو فى هذه الفترة يكون أكثر قابلية للتكييف والتشكيل اللذين يكفلان نموه نموا ملائما ـ فى الناحيتين البدنية والخلقية ـ عن طريق ترويضه على حياة منظمة ، وتعويده ـ منذ السنين الأولى ـ الطاعة والحرمان ، كلما اقتضاهما الأمر !**

والواقع ان الطفل يبدأ فى تعلم أشياء كثيرة وهو بعد فى

الشهر الثالث من عمره . ومن الميسور تعويده الخصال الحميدة وهو فى المهد ، بنفس السهولة التى تعود بها بعض الأمهات أطفالهن على تجنب وضع أصابعهم فى أفواههم . وكل ماهنالك هو ان الأمر يتطلب مصابرة يجب على الوالدين ان يتذرعا بها لينشأ طفلهما وهو على استعداد لأن يتكيف ببيئته ويتلاءم معها

## .. وعلموهم السيطرة على أنفسهم !

• **فاذا** ما شب الطفل عن الطوق، صار من الضرورى العمل على تشكيل خلقه قبل ان تواجه شخصيته العالم الذى يعيش فيه . . فيلقن الحدث قواعد السلوك المعترف بها فى مختلف الأقطار على انها التراث الخلقى الذى انتهى الى جيلنا عبر العصور، والذى تقوم عليه حضارتنا . على ان من واجب الآباء والأمهات ان يروضوا أطفالهم على الطاعة قبل أى شىء آخر . ثم عليهم بعد ذلك ان يمرنوهم على السيطرة على أنفسهم ومجاهدة أهوائهم الذاتية . . ومن أساليب المران فى هذا الصدد ، ان يدرب الطفل على ألا يسمح لنفسه بالغضب أو البكاء أو الصياح كذريعة لتحقيق رغباته .. **وغنى عن القول، ان هذا الترويض والمران يجب ان يتم فى رفق ، ليتعود الطفل هذه الخصال فتصبح جزءا من كيانه ـ وكأنها من فعل الطبيعة ـ دون ان يشعر بأنه أرغم عليها ارغاما ، حتى لايقاومها !**

ولما كان الطفل لم يؤت ما لدى البالغ من مقدرة على تركيز ذهنه، لذلك يحسن الاكتفاء بستة أو سبعة توجيهات ـ لايتجاوز كل منها خمس دقائق ـ يوميا ، على ان تكون متباعدة، وليست كلها دفعة واحدة . وهناك طريقتان للتوجيه :

**الأولى :** ان يقال للطفل : « هذا الأمر محظور ، وستعاقب اذا انت فعلته .. وهذا الأمر محتوم عليك ، فان لم تفعله عوقبت ، أما اذا فعلته فستحصل على بعض الحلوى » ! . .

هذا الأسلوب يؤدى الى نتائج طيبة ، طالما كان الطفل فى أعوام عمره الأولى . أما اذا تكونت شخصيته ، فيجب الاقلاع عن هذا الأسلوب حتى لاتنشأ عنه انعكاسات ضارة

**الثانية** : وهى تلائم الأطفال الكبار ، فيقال للواحد منهم : « لا تأت هذا الأمر ، فانه لايتفق مع كرامتك . . وافعل ذاك فانه يرفعك فى نظر نفسك وأنظار الغير ، وقد تجد يوما — فى الشعور الشخصى بالرضى — جزاء عنه » .. وواضح ان هذه الطريقة لاتتبع الا فى مجتمع راق !

## التربية الاخلاقية أجدر بالتقدم على التربية العلمية !

• **هذا** هو الشأن بالنسبة للأطفال. على ان الكبار بدورهم ينقسمون الى فريقين : فمن الرجال من لا سبيل الى تهذيبهم الا بالتخويف من العقاب والاغراء بالجزاء ، فهم أشبه بالأطفال فى عقليتهم !.. ومن الرجال من لايعنيهم العقاب ولا الجزاء ، وانما يصدرون فى أفعالهم عن تجرد ونزاهة . وهؤلاء قليلون، فخليق بالمجتمع ان « يستكثر» منهم ، لأنهم هم الذين يهيئون لظهور الجيل المرتقب المتحرر من رواسب الماضى . وكذلك الحال بالنسبة للتعليم ، فهناك طائفتان من المتعلمين : طائفة الذين احتفظوا بثقافتهم ولم يضيفوا اليها شيئا ، وطائفةالذين واصلوا البحث والتبحر ، فأضافوا الى التراث العلمى معارف وفنونا ، تحدوهم الى بذل الجهود المضنية تربية اصيلة وخلق قوى

ومن المؤسف حقا ان التربية الأخلاقية لاتشغل فى معاهد التعليم— فى عصرنا— سوى مكانة ثانوية.. **أما المعاهد الدينية، فتعنى أول ما تعنى بالتاريخ وبالتعاليم الدينية والمنازعات المذهبية، وتأبى مسايرة التطور ومناقشة الآراء الحديثة، لأنها ترى فيها خروجا على الأصول التقليدية !..** وكان الأحرى بها ان تدع المنازعات جانبا ، وتبصر طلابها بالحقائق المشتركة

والمتفق عليها بين مختلف المذاهب ، مع ابراز وحدة الوحى الذى تنبع منه تلك الحقائق !

## تدريس التاريخ بوضعه الحالى يثير الحروب !

• **والواقع** ان الثقافة العقلية يجب ان تستند الى المبادىء الخلقية القويمة ، والا كانت ثقافة جوفاء ، لايمكن ان يكون لها من المتانة ما يؤهلها لحمل كيان حضارة سليمة. والمشاهد — فى عصرنا الحاضر — هو ان الرجل العادى ينال من الثقافة العقلية حظا يفوق كثيرا حظه من الثقافة الدينية والخلقية . فهو من ناحية الدين أسير لتعاليم قديمة، فيها كثير من الجمال بلا شك، ولكن الفلاسفة والقادة الدينيين لم يبذلوا جهدا يذكر فى الملاءمة بينها وبين التطورات التى ألمت بالعالم !.. ان الكون لم يعد فى نظر أبناء الجيل الحاضر، ذوى العقلية العلمية، نفس الكون الذى عرفته العصور الخوالى، وانما كشف العلم عن كثير من جوانبه التى كانت خافية على أسلافنا . ولهذا أصبح المتعلمون — فى عصرنا — بحاجة الى ان تفسر لهم الحقائق الأزلية المدونة فى الكتب المقدسة ، على ضوء ما يقرره العلم ، وما تدل عليه أحداث تطور الحياة والتطور النفسى

وعلى ذكر الحقائق العلمية والقواعد الخلقية ، نشير هنا الى فرع من فروع الثقافة العقلية من شأنه ان يثير الأحقاد والبغضاء فى قلوب النشء ، فيشبون على الرغبة فى الثأر .. — مما أدى الى كثير من الويلات والحروب — **ذلك هو : التاريخ. فقد درج المؤرخون على تدوينه اقليميا ، متأثرين باعتبارات قومية وعنصرية .. وعندنا ان الطريقة المثلى لتدوينه ، هى ان تتولى الأمر لجنة دولية تسجل الأحداث بأمانة تامة ، وتحدد المسئوليات والتبعات تحديدا دقيقا ، بعيدا عن النعرات، حتى يصبح سجلا موحدا يدرس فى جميع الدول على السواء ..** اذ لا سبيل لأن تنعم البشرية بسلام حقيقى دائم ما لم يتم توحيد

تاريخ العالم وتلقينه للنشء كما تلقن كتب التعليم الدينى ، استئصالا لبذور الفرقة والشقاق !

## هل يتخلص الانسان من الأثرة وحب البطش ؟!

• **عرفنا** مما تقدم ان للتطور غاية معلومة وأهدافا معينة يسعى الى بلوغها . وهذا هو قوام النظرية «الغائية» التى تنبذ ما يزعمه الماديون من ان الحياة نشأت مصادفة واتفاقا ، والتى تبرهن على ان هناك عوامل طبيعية سبقت ظهور الحياة وأدت اليه ، وان هذه العوامل تخضع لنواميس كونية تعمل فى سبيل غاية معلومة . ثم تذهب النظرية الى ان تطور الكائنات الحية حقيقة لا مراء فيها ، وان هذا التطور واصل سيره بالنسبة للكائنات الحية ـ ما عدا الانسان ـ حتى بلغ بعضها نقطة التكيف مع البيئة ، فوقف تطوره ، بينما اقتصرت التطورات التى طرأت على البعض الآخر على تعديلات فى البناء العضوى والتركيب الجسدى

**أما بالنسبة للانسان ، فقد توقف التطور ـ من ناحية الجسد ـ بظهور المخ ، واستمر بالنسبة للعقل البشرى لكى يبلغ بالانسان مرتبة سامية ، يحيا فيها حياة روحية بحتة** .. فالانسان مرحلة وسطى ـ فى تطور الكون ـ تحمل رواسب الماضى وآمال المستقبل التى تتمثل فى مصير البشرية .. ذلك لأن القوة العليا ـ التى تسير الكون ـ تريد للانسان ، على ما هو ظاهر من تطوره عبر العصور والأجيال ، ان ينفصل تماما عن اصله الحيوانى ، بحيث تتلاشى منه كل ميول بهيمية ـ كالأثرة وحب السيطرة والبطش ـ وبحيث يتحرر من كل المساوىء ، فلا يبقى له سوى الجانب الروحى !

## الفكر الانسانى نشأ فرديا .. ثم أصبح دوليا !

• **على** ان الوقت لم يحن بعد لكى يبلغ الفكر البشرى هذه

القمة ، ولكى نطالب الناس بأن يفكروا تفكيرا عالميا ، باعتبارهم لبنات فى بناء واحد ، او عناصر لكيان واحد!.. على ان المتتبع لسير الفكر البشرى ، يرى ان هذا التفكير نشأ فى بادىء الأمر فرديا ، ثم غدا قبليا ، فمدنيا ، فوطنيا قوميا . وظل فى هذا النطاق طيلة الأجيال التى كانت أسباب الاتصال فيها بين الدول والبلدان بطيئة صعبة .. على ان ذلك كان كافيا لقيام الحضارات ، وازدهار العلوم والفنون بين الجماعات البشرية

ومنذ أكثر من قرن ، ظهرت القاطرة والباخرة ، فاختزلتا المسافات ، وقربتا بين ارجاء المعمورة .. **ثم ظهرت الطائرة والراديو فى مستهل القرن العشرين ، فتغلب الانسان على المسافات والزمن ، وأصبح على اتصال بكافة أطراف العالم ، وعلى دراية بأنبائها واحداثها . وهكذا خطا الفكر الانسانى خطوة واسعة الى الأمام فأصبح دوليا،بعد ان ظل أجيالا وهو قومى بحت** . وهذه بادرة طيبة تبشر بعهد جديد ، لا سيما وقد أصبح الانسان يملك من الوسائل ما يمكنه من السيطرة على قوى الطبيعة ، وتحطيم الحواجز التى كانت تفصل بين الناس ــ فى الماضى ــ ليعملوا جميعا كخلايا فى كيان واحد هو: البشرية !

## العصر الذهبى آت .. بلا حروب ولا وحشية !

• **غير** ان هناك جانبا قاتما من الصورة، يتمثل فيما نشهده من ارتداد البشرية الى الضراوة الأولى ، نتيجة التقدم المذهل الذى احرزه الانسان فى ميدان الآلة، وفى مضمار ابتكار الأسلحة الفتاكة وأدوات التدمير الشامل . ومهما يكن ايماننا بالعقل البشرى ، فلسنا نحسب انه قادر على ايقاف الحروب قبل جيل أو جيلين . وجيل أو جيلان ليسا بالزمن الطويل ــ اذا قيسا بعمر الكون ــ للوصول الى العصر الذهبى الذى يعى فيه الانسان دوره فى الرقى بالأسرة البشرية عامة، كوحدة متماسكة،

متذرعا فى سبيل ذلك بمبادىء الأخلاق وتعاليم الأديان ، لكى يجاهد نفسه وأهواءه ، ويضحى بمنافعه الذاتية فى سبيل المجموع !

**ان الدين - فى اعتقادى - هو الوسيلة الوحيدة لخلاص البشرية .. الدين المنزه عن الآراء الدخيلة ، والممتزج بالعلم .. ومهما تكن الظلال القاتمة الآن، فاني موقن من ان التطور يسير صاعدا بالانسان الى المكانة المرموقة ، التى ينفصل فيها عن حيوانيته الأولى ..** وليس الفساد الذى نلمسه فى عصرنا الحاضر فى بعض النواحى، سوى عارض طارىء عرفت البشرية كثيرا من امثاله فى تاريخها الطويل ، فلم تتقاعس ، ولم تنثن عن غاياتها ، بل كانت دواما تتغلب على الأزمات، لتواصل تقدمها ورقيها

## هذا هو مصير البشرية ..!

• **ولقد** حان الوقت لتعرف الأمم ويعرف الأفراد مايريدون، فان التركة التى ورثناها عن الأجيال الماضية تركة فاسدة، ولم تعد تجدى فى علاجها معاهدات، وانما يجب ان ينبع العلاج من الباطن .. من باطن الفرد نفسه .. من الاصلاح الذاتى والرقى الخلقى !

ان أسباب الحروب كامنة فى ذواتنا ، ولن تزول الا بمضى الزمن ، وبتوفرنا على مكافحتها فى أنفسنا بعزيمة صادقة . والوسيلة المثلى لذلك هى بعث الحقيقة التاريخية المجردة من النعرات ، وتلقينها للشباب فى كافة الأقطار بحيث يلتفون حولها ، فلا تتطرق الى نفوسهم عوامل التفرقة .. وهى أيضا فى شعور الجميع بالكرامة الانسانية، والنهوض بالفرد عن طريق اخضاع الشهوات والغرائز الحيوانية ، وتحريره من رواسب الماضى . **ان الفرد وحده هو محور التطور، ومن ثم فهو وحده الذى يجب ان يؤخذ فى الاعتبار ، وان تتجه اليه الجهود، حتى**

**تنمو الفردية البشرية وتزدهر ، لأن الدولة هى جماع المصالح الفردية ، وهى خادمة الفرد لا سيدته !**

ويتحدث الجميع اليوم عن تنظيم السلم ، وعن المعاهدات والمواثيق التى تعزز ذلك ، ولكنهم ينسون الأسس الباطنية .. **ينسون السمو الروحى والأخلاق التى تصبح المواثيق بغيرها قصاصات لا قيمة لها !.. يجب ان نعالج المشكلة من أصولها، وهذه الأصول تكمن فى الذات الانسانية وحدها !**

ان مشكلة السلام أخطر وأعقد من ان تحل بمثل هذه الوسائل السطحية التى تتمثل فى المعاهدات والمواثيق ، فهى تتطلب عملا مباشرا ، يستهدف تربية الأطفال على أسس خلقية ثابتة الدعائم ، متأصلة فى النفوس . واذا اشرب النشء الشعور بالكرامة الانسانية ، تكون منهم جيل يحتزم العهود ، ويقدر قيمة المواثيق الدولية !

لقد بلغ الانسان من التطور والارتقاء درجة تمكنه من ان يدرك مكانته ازاء المخلوقات الأخرى ، وسموه عليها ، ودوره فى دفع عجلة التطور، وفى الرقى بنوعه. **وكلما ازداد عدد المدركين لهذا الدور على حقيقته ، ازدادت خطوات البشرية اسراعا نحو الكمال المنشود.. للبشرية! الكمال الذى تسعى اليه سنن التطور وتستهدفه مصيرا للبشرية !**

**تم الكتاب**



امرأة ، وعقد ، وأزهار !
لوحة للفنان « دانتي جابرييل روزيتي »









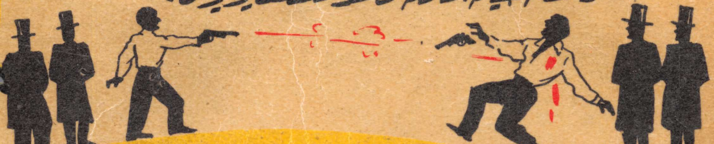
عندما خطب ود "ناتاليا جونشاروف"، أجمل فتيات (سانت بيترسبرج) - اعترف لصديق له بأنها المرأة الثالثة بعد المائة فى قائمة غرامياته! .. وكان هو وقتئذ فى الثالثة والثلاثين فقط من عمره، وكانت هى فى التاسعة عشرة، يعشقها قيصر روسيا نفسه "نيقولا الأول"! وبعد ستة أعوام لقى الأديب الكبير مصرعه فى مبارزة من أجل المرأة التى يحبها .. وكان قاتله عديله وعشيق زوجته، الضابط الفرنسى "دانتيس"!

## إنه شاعر روسيا الأعظم

# الكسندر پوشكين

اقرأ قصة حياته المثيرة الشبيهة بالأساطير، كما كتبتها الأديبة الفرنسية "ليديا لاجبير" بأسلوب قصصى رائع .. لتقف على سر الأديب العاشق الذى وجد الوقت والقوة الذهنية ليكتب أحد عشر مجلدا خالدا، الى جانب غرامياته! .. الأديب الذى كان شاعرا فى سن ١٥، ودبلوماسيا فى سن ١٨، وبطلا منفيا فى سن ٢٥!

اقرأ قصة حياته الحافلة فى عدد منتصف يوليو من:




يصدرها حلمى مراد

# مطبوعات كتابى

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية